الأول 1 على لائحة «نيويورك تايمز» للكتب الأكثر مبيعاً

دانيال ستيل

DANIELLE STEEL

صاحبة السمو الملكي

H.R.H.

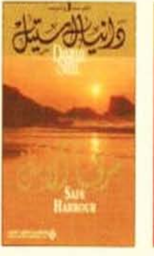
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

اقرأ أيضاً لدانيال ستيل


















ISBN 978-9953-87-137-0


جميع كتبنا متوفرة على شبكة الانترنت في
نيل وفرات.كوم
www.neelwafurat.com


الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

الفصل 1

جلست كريستيانا أمام نافذة غرفة نومها، تنظر إلى المطر المنهمر على منحدر التلّ. كانت تراقب كلباً أبيض كبيراً، مبللاً بشدة مع وبر متلبد، يحفر بإثارة في الوحل. وبين الحين والآخر، كان ينظر إليها ويلوّح بذنبه، ثم يعاود الحفر مجدداً. إنه من نوع البيرِنيه، أهداها إياه والدها قبل ثمانية أعوام. اسمه تشارلز، وهو أفضل صديق لها في العديد من النواحي. ضحكت وهي تراقبه يطارد أرنباً تملّص منه، واختفى بسرعة. نبح تشارلز باهتياج شديد، ثم غاص بسعادة في الوحل مجدداً، بحثاً عن شيء آخر لمطاردته. كان يمضي وقتاً رائعاً، تماماً مثل كريستيانا التي كانت تراقبه. إنه آخر الصيف ولا يزال الطقس دافئاً. لقد عادت إلى فادوز في يونيو، بعد أربع سنوات جامعية في بيركلي. كانت العودة إلى المنزل بمثابة صدمة بالنسبة إليها، وبدا تشارلز لغاية الآن أفضل شيء في عودتها. فباستثناء أقاربها في انكلترا وألمانيا، ومعارفها في أوروبا، كان تشارلز صديقها الوحيد. إنها تعيش حياة محمية ومعزولة، ولطالما فعلت ذلك. وبدا من المستبعد أن تلتقي بأصدقائها في بيركلي مجدداً.

بينما كانت تراقب الكلب وهو يختفي في اتجاه الاسطبلات، خرجت كريستيانا بسرعة من غرفتها، وهي تنوي اللحاق به. أمسكت بمعطفها الواقي من المطر وبجزمة من المطاط كانت تحتفظ بها عادة في مربط حصانها، ونزلت مسرعة على السلالم الخلفية. شعرت بالامتنان لأن أحداً لم يلاحظها، وبعد برهة أصبحت في الخارج، تنزلق عبر الوحل، وتركض وراء الكلب الأبيض الكبير. نادته باسمه، وبعد برهة قفز عليها فكاد يوقعها أرضاً. لوّح

بذنبه، ناثراً الماء في كل مكان، ووضع كفه المليء بالوحل عليها. وعندما انحنت للتربيت عليه، تمدد نحوها، ولعق وجهها، ثم ركض بعيداً مجدداً فيما ضحكت هي. ركضا جنباً إلى جنب بمحاذاة الطريق. الطقس ممطر جداً اليوم لإمتطاء الخيل.

حين انحرف الكلب عن المسار، نادته باسمه، فتردد لبرهة واحدة فقط، ثم عاد إليها مجدداً. كان حسن السلوك عادة، لكن المطر أثاره، وراح يركض وينبح. كانت كريستيانا تستمتع كثيراً بقدر الكلب. وبعد مرور ساعة تقريباً، حين انقطع نفسها تقريباً، توقفت، فيما الكلب يلهث بقوة قربها. حينها أخذت طريقاً مختصرة، وبعد نصف ساعة، عادا مجدداً إلى حيث انطلقا. كانت نزهة رائعة بالنسبة إليها وإلى الكلب، وبدا كل واحد منهما متسخاً وأشعث أكثر من الآخر. كان شعر كريستيانا الطويل، الأشقر لدرجة البياض، متلبداً على رأسها، فيما كان وجهها رطباً وحتى أهدابها ملتصقة ببعضها. لم تكن تضع الماكياج أبداً، إلا إذا اضطرت للخروج أو إذا كان من المرجح أن تُلتقط لها الصور، وكانت ترتدي الجينز الذي أحضرته معها من بيركلي. إنه تذكار من أيامها الخوالي. لقد أحبت كل لحظة في سنواتها الأربع التي قضتها في بيركلي. حاربت بشدة ليُسمح لها بالذهاب. لقد ذهب شقيقها إلى أوكسفورد، واقترح عليها والدها الذهاب إلى السوربون. لكن كريستيانا كانت متحمسة للذهاب إلى جامعة في الولايات المتحدة، في نهاية الأمر، أذعن لها والدها، وإن على مضض. لكن الذهاب بعيداً جداً عن المنزل أعطاها الحرية، وقد وجدت متعة كبيرة في كل يوم قضته هناك، حين تخرجت في يونيو، نفرت من فكرة العودة إلى المنزل. لقد تعرفت إلى أصدقاء تشتاق إليهم الآن بشدة، والذين أصبحوا جزءاً من حياة أخرى تشتاق إليها كثيراً. لقد عادت إلى المنزل لتواجه مسؤولياتها، وتنفذ ما هو متوقع منها. بالنسبة إلى كريستيانا، بدا الأمر بمثابة عبء ثقيل، تخفف منه مثل هذه اللحظات، أي الركض في الغابات مع كلبها. أما بقية الوقت منذ عودتها إلى المنزل، فكانت تشعر كما لو أنها في سجن، تنفذ حكماً بالسجن المؤبد. ما من أحد تستطيع البوح له بذلك، وإذا فعلت

ستبدو ناكرة للجميل تجاه كل ما تملكه. فقد كان والدها لطيفاً جداً معها. كان يشعر بحزنها، أكثر مما يلاحظه، منذ عودتها من الولايات المتحدة. لكن ما من شيء يستطيع فعله حيال ذلك. وكانت كريستيانا تدرك تماماً مثله أن طفولتها، والحرية التي استمتعت بها في كاليفورنيا، وصلتا إلى النهاية.

نظر تشارلز إلى سيدته حين وصلا إلى نهاية الطريق، كما لو أنه يسألها ما إذا كان يتوجب عليهما فعلاً العودة.

"أعرف"، قالت كريستيانا بنعومة، وهي تربّت عليه. "أنا لا أريد العودة أيضاً". انهمر المطر بنعومة على وجهها، ولم تكترث لكونها تبللت، وأصبح شعرها الأشقر الطويل مبللاً، أكثر من وبر الكلب نفسه. لقد حماها المعطف، وكانت الجزمة ملطخة بالوحل. ضحكت فيما نظرت إليه، وهي تُفكّر كم يصعب التصديق أن هذا الكلب البني الملطخ بالوحل هو في الأساس أبيض.

كانت تحتاج إلى التمرين، تماماً مثل الكلب. لوّح بذنبه فيما نظر إليها، ثم عادا إلى القصر بخطوة مسرحية نوعاً ما. أملت أن تتمكن من التسلل عبر الباب الخلفي، لكن دخول تشارلز إلى المنزل، في حالته المزرية، سيكون تحدياً كبيراً. كان قذراً جداً لتحمله معها إلى الطابق العلوي، وعرفت أنه يجب عليها أخذه إلى المطبخ. إنه بحاجة ماسة إلى حمام بعد رحلتهما الموحلة.

فتحت باب المطبخ بهدوء، على أمل الإفلات من الانتباه لأطول وقت ممكن. لكن ما إن فتحت الباب، حتى قفز الكلب الضخم الملوث بالوحل وراءها، واندفع إلى وسط المطبخ، وراح ينبح بحماس. كان هذا كثيراً بالنسبة إلى دخول هادئ، فابتسمت كريستيانا، وقد بدت عليها الكآبة وألقت نظرة خاطفة ومعتذرة على الوجوه المألوفة حولها. الأشخاص الذين يعملون في مطبخ والدها كانوا دوماً لطفاء معها، وتمنّت أحياناً لو أنها تستطيع الجلوس بينهم، وتستمتع برفقتهم وبجوهم الودود، تماماً مثلما كانت تفعل حين كانت صغيرة. لكن هذه الأيام انتهت بالنسبة إليها أيضاً. لم يعودوا يعاملونها مثلما كانوا يفعلون حين كانت صغيرة هي وشقيقها فريدريك. كان فريدريك أكبر

منها بعشر سنوات، وهو مسافر إلى آسيا خلال الأشهر الستة المقبلة. أما كريستيانا فقد أصبح عمرها هذا الصيف ثلاثة وعشرين عاماً.

بقي تشارلز ينبح، وينثر الماء عنه بحماس لدرجة أنه لوّث جميع من حوله بالوحل، فيما حاولت كريستيانا عبثاً تهدئته.

"أنا آسفة جداً"، قالت فيما مسحت تيلدا، الطاهية، وجهها بوزرتها، وهزّت رأسها، وابتسمت بطيبة للشابة التي عرفتها منذ ولادتها. أشارت بسرعة إلى شاب، فأسرع لاصطحاب الكلب إلى الخارج. "أعتقد أنه متسخ كثيراً"، قالت كريستيانا وقد ابتسمت للشاب، متمنية لو أنها تستطيع غسل الكلب بنفسها. إنها تحب فعل ذلك، لكنّها تعرف أنهم على الأرجح لن يسمحوا لها. نبح تشارلز باستياء فيما أخذه الشاب بعيداً. "لا أمانع أن أغسله..."، قالت كريستيانا، لكن الكلب كان قد ذهب.

"طبعاً لا، سيدتي"، قالت تيلدا، وقد قطّبت حاجبيها أمامها، ثم استعملت منشفة نظيفة لتمسح بها وجه كريستيانا أيضاً. لو أن كريستيانا لا تزال صغيرة، لكانت وبّختها وقالت لها إنها تبدو أسوأ من الكلب. "هل ترغبين في تناول بعض الطعام؟" لم تُفكّر كريستيانا في ذلك، وهزّت رأسها. "لا يزال والدك في غرفة الطعام. لقد أنهى للتو تناول الحساء. أستطيع إرسال شيء لك". ترددت كريستيانا ثم أومأت برأسها.

لم ترَ والدها طوال النهار، وهي تستمتع باللحظات الهادئة التي تتشاركها معه حين لا يعمل، ويخصص دقائق قليلة لنفسه، وهذا أمر نادر. كان يُحاط عادة بمجموعة متجانسة من موظفيه، ويكون على عجلة للوصول إلى الاجتماعات. لذا، كان يحب كثيراً الاستمتاع بوجبة طعام لوحده، ولاسيما معها. إنها تقدّر كثيراً الوقت الذي يمضيانه معاً. في الواقع، إنه السبب الوحيد الذي جعلها تعود طوعاً إلى المنزل من بيركلي. لم يكن لديها أي خيار آخر، رغم أنها كانت تحب الذهاب إلى كلية للدراسات العليا لتتمكن من البقاء في الولايات المتحدة. إلا أنها لم تجرؤ على طلب ذلك. عرفت أن الجواب سيكون

لا. أرادها والدها في القصر. عرفت أنه عليها التحلي بمسؤولية مزدوجة لأن شقيقها لم يكن كذلك على الإطلاق. لو رغب فريدريك في تحمل مسؤولياته، لخفف عنها العبء كثيراً. لكن لا أمل أبداً في ذلك.

تركت معطفها معلقاً على محمل خارج المطبخ، وحملت جزمتها. كانت جزمتها أصغر من أي زوج أحذية آخر. فهي تمتلك قدمين صغيرتين، وكانت بنيتها صغيرة جداً لدرجة بدت نسخة مصغّرة. وعندما كانت تنتعل الأحذية المسطحة الكعب، كان شقيقها يمازحها غالباً قائلاً إنها تبدو مثل فتاة صغيرة، ولاسيما مع شعرها الأشقر الطويل، الذي ما زال ينسدل رطباً على ظهرها. كانت يداها صغيرتين، ووجهها مثالياً لا علاقه له بالأطفال أبداً، فبالرغم من أنها قصيرة جداً ونحيلة جداً، إلاّ أن وجهها مثل الحجر الكريم. قال الناس إنها تشبه أمها، ونوعاً ما والدها، الذي كان أشقر بقدر ما هي شقراء، رغم أنه هو وشقيقها طويلان جداً، ويتعدى طولهما ستة أقدام. كانت والدة كريستيانا صغيرة البنية تماماً مثلها، وقد توفيت حين كانت كريستيانا في الخامسة وفريدريك في الخامسة عشرة. لم يتزوج والدهما مجدداً أبداً. كانت كريستيانا سيدة المنزل، وهي الآن غالباً ما ترافق والدها إلى حفلات العشاء أو الأحداث المهمة. إنها واحدة من المسؤوليات المطلوبة منها، ورغم أنها لا تستمتع بذلك، إلاّ أنّها كانت تؤدي هذا الواجب بسبب محبتها لوالدها. لطالما كانت مقربة جداً من والدها. ولطالما كان حساساً لمدى صعوبة نشأتها من دون أم. ورغم واجباته العديدة، فلقد بذل كل جهد ممكن ليكون لها بمثابة الأب والأم، وهذه ليست مهمة سهلة دوماً.

صعدت كريستيانا على السلالم الخلفية وهي ترتدي الجينز والكنزة فيما تنتعل فقط جوربين في قدميها. وصلت إلى غرفة إعداد الأطعمة وهي منقطعة النفس تقريباً، فأومأت برأسها للأشخاص الموجودين هناك، وتسللت بهدوء إلى غرفة الطعام. كان والدها يجلس على المائدة لوحده، يحدّق في كدسة من الأوراق، ويضع نظارته، مع نظرة جدية على وجهه. لم يسمع كريستيانا وهي

تدخل. ألقى نظرة سريعة عليها وابتسم فيما جلست بهدوء على الكرسي قربه. بدا جلياً أنه مسرور لرؤية ابنته، وهو دوماً كذلك.

"ما الذي فعلته، كريكي؟" كان يناديها هكذا منذ أن كانت فتاة صغيرة. ربّت برفق على رأسها فيما انحنت هي لتقبيله، وحينها لاحظ شعرها المبلل. "كنت خارجاً تحت المطر. هل كنت تمتطين الخيل في هذا الطقس؟" كان يقلق بشأنها أكثر مما يقلق بشأن فريدي. لطالما كانت كريستيانا صغيرة جداً، وبدت هشة كثيراً بالنسبة إليه. فمنذ أن خسر زوجته نتيجة إصابتها بالسرطان قبل ثمانية عشر عاماً، عامل ابنته كما لو أنها هدية نفيسة تلقاها حين ولدت. كانت تشبه أمها كثيراً. وكانت المرحومة حين تزوجها بعمر كريستيانا الآن. كانت زوجته فرنسية، نصفها من أورليانز ونصفها الثاني من بوربون، أي أنها من العائلتين الملكيتين في فرنسا اللتين حكمتا الدولة قبل الثورة الفرنسية. كانت كريستيانا متحدرة من عائلات ملكية من كل الجهات. فأجداد والدها ألمان بمعظمهم، مع أقارب في إنكلترا. واللغة الأم لوالدها هي الألمانية، رغم أنه هو ووالدتها تحدثا دوماً بالفرنسية، وهكذا فعلت أمها معها ومع شقيقها. حين ماتت أمها، وإحياء لذكراها، استمر والد كريستيانا في التحدث بالفرنسية مع ولديه. إنها اللغة التي تشعر فيها كريستيانا بارتياح كبير، والتي تفضلها على كل اللغات الأخرى، رغم أنها تتحدث الألمانية، والإيطالية، والإسبانية، والإنكليزية أيضاً. لقد تحسنت لغتها الإنكليزية كثيراً خلال السنوات التي قضتها في الجامعة في كاليفورنيا، وأصبحت الآن تتقنها جيداً.

وبخها برفق: "لا يجدر بك امتطاء الخيل تحت المطر، سوف تصابين بالزكام أو أسوأ". لطالما خشي أن تمرض منذ وفاة زوجته، رغم أنه كان يدرك أنه يفرط في قلقه.

شرحت له: "لم أكن أمتطي الخيل، خرجت فقط للركض مع الكلب". وفيما قالت ذلك، وضع لها نادل طبق الحساء أمامها، في طبق فاخر من الليموج المُذهب الذي يعود تاريخ صنعه لمئتي عام. كان طقم الليموج هذا

يخص جدتها الفرنسية، وعرفت كريستيانا أن هناك العديد من أطقم الصحون الخزفية الرائعة أيضاً من أجداد والدها. "هل أنت مشغول جداً اليوم، بابا؟" سألت كريستيانا بهدوء، فيما أومأ هو برأسه، وأبعد أوراقه عنه بتنهيدة.

"ليس أكثر من المعتاد. الكثير من المشاكل في العالم، الكثير من الأمور التي لا يمكن حلها. المشاكل البشرية معقدة جداً هذه الأيام. لم يعد هناك أي شيء بسيط". كان والدها مشهوراً بهمومه الإنسانية. وهذا شيء من الأشياء العديدة التي تعجبها فيه. كان رجلاً جديراً بالاحترام، ويحظى بحب كبيرة من جميع الذين عرفوه. إنه رجل حنون، ومتكامل، وشجاع، وهو مثال قوي لها ولشقيقها. تعلمت كريستيانا من مُثُله وأصغت جيداً لما يقوله. أما فريدي فكان أكثر انغماساً بحياته، ولا ينتبه إلى أوامر والده أو حكمته أو طلباته. في الواقع، إن لامبالاة فريدي لما هو متوقع منه جعلتها تشعر وكأنها مجبرة على إتمام الواجبات والتقاليد المطلوبة منهما معاً. عرفت كم خاب أمل والدها بابنه، وشعرت أن عليها التعويض عليه نوعاً ما. في الحقيقة، كانت كريستيانا تشبه والدها كثيراً، وتهتم دوماً لمشاريعه، ولاسيما تلك المتعلقة بالأشخاص المظلومين في الدول النامية والفقيرة. وقد أنجزت أعمالاً تطوعية مرات عدة، في أماكن فقيرة من أوروبا، وشعرت حينها بسعادة كبيرة.

شرح لها آخر محاولاته فيما أصغت إليه باهتمام، وعلّقت على كلامه بين الحين والآخر. كانت أفكارها حول الموضوع ذكية ومتأنية، ولذلك احترم والدها دوماً تفكيرها. تمنى فقط لو أن ابنه يمتلك عقلها وحوافزها. وعرف هو أيضاً أنها تشعر بأنها تبدد وقتها منذ أن عادت إلى المنزل. لذا، اقترح عليها مؤخراً التفكير في دراسة الحقوق أو العلوم السياسية في باريس. إنها طريقة لإبقائها مشغولة، وتنشيط فكرها، فيما باريس قريبة كفاية من المنزل. لديها العديد من الأقارب هناك، من جهة أمها، وتستطيع المكوث عندهم والعودة غالباً إلى المنزل لرؤيته. ورغم أنها أحبت الفكرة، فلم يكن هناك أدنى احتمال لأن تمكث في شقة لوحدها، حتى في سنّها. لا تزال تفكر في خطته، لكنّها

مهتمة أكثر للقيام بشيء مفيد يحدث فرقاً للأشخاص الآخرين، بدل الذهاب إلى الجامعة. فنتيجة إصرار والده، تخرج فريدي من أوكسفورد، ونال شهادة ماجستير في الأعمال من هارفارد، علماً أنها لم تنفعه قط، نظراً للحياة التي يعيشها. وبالنسبة إلى كريستيانا، فقد سمح لها والدها بدراسة شيء أكثر سهولة، إذا اختارت ذلك، رغم أنها كانت طالبة ممتازة وفتاة جادة جداً، ولهذا السبب رأى أن الحقوق أو العلوم السياسية ملائمان جداً لها.

دخل مساعده إلى غرفة الطعام معتذراً فيما كانا ينهيان القهوة، وابتسم لكريستيانا. كان بمثابة العم لها، وقد عمل مع والدها طوال حياته. إن معظم الأشخاص المحيطين بهم يعملون مع والدها منذ أعوام عدة.

قال الرجل الكبير في السن بحذر: "آسف للمقاطعة، يا صاحب السمو، لديك موعد مع وزير المال بعد عشرين دقيقة، ولدينا بعض التقارير الجديدة حول العملة السويسرية والتي أظن أنك قد ترغب في قراءتها قبل التحدث معه. كما أن سفيرنا لدى الأمم المتحدة سيكون هنا لرؤيتك عند الساعة الثالثة والنصف". عرفت كريستيانا أن والدها سيكون مشغولاً حتى موعد العشاء، وسيكون حضوره ضرورياً على الأرجح في مناسبة حكومية أو رسمية. كانت تذهب معه في بعض الأحيان، إذا طلب منها ذلك. وإلا، فكانت تبقى في المنزل، أو تشارك بإيجاز في مناسبات مماثلة لوحدها. في فادوز، لم تكن هناك سهرات عفوية لها مع أصدقائها، مثلما كانت الحال في بيركلي. الآن هناك فقط واجبات ومسؤوليات وأعمال.

قال والدها بهدوء: "شكراً، ويلهالم. سأنزل خلال دقائق معدودة".

انحنى المساعد لهما باحترام، وغادر الغرفة بصمت، فيما نظرت إليه كريستيانا وتنهدت، واضعة ذقنها بين يديها. بدت صغيرة أكثر من أي وقت مضى، وقلقة نوعاً ما، فيما نظر إليها والدها وابتسم. كانت فتاة جميلة جداً وطيبة جداً. عرف تماماً أن واجباتها الرسمية ألقت بثقلها عليها منذ أن عادت إلى القصر، تماماً مثلما كان يخشى. فالمسؤوليات والأعباء الملقاة عليهم ليست

سهلة بالنسبة إلى فتاة في الثالثة والعشرين. والقيود المحتمة التي يتوجب عليها الالتزام بها مزعجة جداً، تماماً مثلما كانت بالنسبة إليه حين كان في عمرها. وسيكون عبؤها كبيراً جداً على فريدي أيضاً حين يعود في الربيع، رغم أن فريدي بارع في التهرب من مسؤولياته أكثر من والده أو شقيقته. المتعة هي الوظيفة الوحيدة لفريدي الآن، ووظيفة بدوام كامل. منذ أن غادر هارفارد، دلل نفسه باستمرار. هذا كل ما فعله، ولم تكن لديه رغبة في التوقف أو التغيير.

"ألا تتعب مما تفعله، بابا؟ ترهقني مجرد رؤية ما تفعله كل يوم". بدت ساعاته وكأنها لا تنتهي، رغم أنه لم يتذمر أبداً. فحسّ الواجب لديه كان جزءاً منه.

قال بصدق: "أستمتع بالأمر، لكنني لم أكن كذلك في مثل عمرك". كان دوماً صادقاً معها. "كرهت الأمر في البداية. وأظن أنني قلت لوالدي إنني أشعر كما لو أنني في السجن، وأصبت بالذعر. إلاّ أن الإنسان ينضج مع الوقت. سوف تنضجين أنت أيضاً حبيبتي". لم يكن هناك مسار بديل بالنسبة إلى أي منهما، سوى المسار الذي فرض عليهما عند الولادة وقبل قرون عدة. وتماماً مثل والدها، قبلت كريستيانا بالأمر على أنه نصيبها في الحياة.

والد كريستيانا، الأمير هانس جوزف، هو الأمير الحاكم في اليشتنشتاين، وهي إمارة مساحتها 160 كيلومتراً مربعاً، ويعيش فيها ثلاثة وثلاثون ألف نسمة. إنها محاطة بالنمسا من جهة وبسويسرا من جهة أخرى. إنها مستقلة تماماً، وتعتمد الحيادية منذ الحرب العالمية الثانية. في الواقع، إن حياديتها، مهدت الطريق أمام الاهتمام الإنساني للأمير في مساعدة الناس المقموعين والمعذبين حول العالم. ومن بين كل الأمور التي يفعلها والدها، كانت كريستيانا تهتم خصوصاً لمساعيه الإنسانية. أما السياسة العالمية فلا تهمها كثيراً، رغم أنها هواية والدها؛ بسبب الضرورة. واللافت أن فريدي لا يهتم في أي من الأمرين، رغم أنه ولي العهد في الإمارة، وسيحل محلّ والده بصفته حاكماً للإمارة يوماً ما. ورغم أن كريستيانا كانت لتحل في المرتبة الثالثة لتولي

العرش في دول أوروبية أخرى، إلاّ أنّه لا يسمح للنساء في الليشتنشتاين بالحكم، ولذا حتى لو لم يستلم شقيقها أبداً منصبه كأمير حاكم، لن تحكم كريستيانا أبداً بلدها، وهي لا تمتلك الرغبة أصلاً لفعل ذلك، رغم أن والدها كان يحب القول بفخر إنها قادرة على فعل ذلك، أكثر من شقيقها. لم تحسد كريستيانا شقيقها على الدور الذي سيرثه من والدها يوماً ما. فهي تواجه مشاكل كافية في تقبل دورها أصلاً. وعرفت منذ أن عادت من الجامعة في كاليفورنيا أن حياتها ستكون الآن هنا إلى الأبد، وستمضيها في إتمام واجباتها، وفعل ما هو منتظر منها. لا مجال للسؤال أو الاختيار. إنها مثل حصان سباق عريق؛ أمامها شوط واحد لأدائه، وهو دعم والدها، بالطرق الصغيرة وغير المهمة التي تستطيعها. وفي أغلب الأحيان، كان العمل الذي تؤديه تافهاً جداً بالنسبة إليها. شعرت وكأنها تبدد حياتها في فادوز.

"أكره ما أفعله أحياناً"، قالت بصدق، لكنّها لم تكن تخبر والدها أي شيء لا يعرفه. إنه لا يمتلك الوقت الكافي لطمأنتها، لأن لديه اجتماعاً مع وزير المال بعد دقائق قليلة، لكّن النظرة الحزينة في عينيّ ابنته أثرت فيه في الصميم. "أشعر أنني عديمة الجدوى هنا، بابا. فمثلما قلت، مع كل المشاكل في العالم، لماذا أنا هنا، أزور المياتم وأفتتح المستشفيات، فيما أستطيع التواجد في مكان آخر، وفعل شيء أكثر أهمية؟" بدت متذمرة وحزينة، فيما لمس هو يدها برفق.

"ما تفعلينه مهم. أنت تساعدينني. إنني لا أمتلك الوقت لفعل ما تقومين به لأجلي. إن وجودك وسط أبناء شعبنا يعني لهم الكثير. وهذا هو بالضبط ما كانت ستفعله أمك لو بقيت على قيد الحياة".

قالت له كريستيانا: "كانت ستفعل ذلك بإرادتها، عرفت حين تزوجتك أن هذه ستكون حياتها. أرادت فعل ذلك. أشعر دوماً وكأنني أمرر الوقت". عرف كلاهما أنها لو نفذت أمنيات والدها، فستتزوج في النهاية من شخص نبيل الأصل مثلها. وإذا كان أميراً حاكماً مثل والدها، أو ولي عهد مثل شقيقها، فإن

هذا يحضرها لتلك الحياة. هناك دوماً احتمال بعيد أن تتزوج شخصاً من منزلة أقل، لكن نظراً لوجود لقب صاحبة السمو الملكي فثمة احتمال بعيد بألاّ تتزوج رجلاً من نسل ملكي. لن يسمح والدها أبداً بذلك. فآل بوربون وآل أورليانز جميعاً من أصحاب السمو الملكي وذلك من جهة أمها. كما أن والدة أبيها كانت صاحبة سمو ملكي أيضاً. أما الأمير الحاكم في الليشتنشتاين فكان صاحب السمو. وعند ولادتها، اكتسبت كريستيانا اللقبين، لكنّ لقبها الرسمي هو صاحبة السمو". إنهم أقرباء لآل ويندسور في إنكلترا، وملكة إنكلترا قريبتهم. أما عائلة الأمير هانس جوزف فكانت من آل هابسبورغ، وهودينلوهي، وثورن وتاكسيس. في الواقع، إن الإمارة نفسها متحالفة عن كثب مع النمسا وسويسرا، رغم عدم وجود عائلات حاكمة هناك. لكن كل واحد من أقرباء الأمير هانس جوزف وكريستيانا وفريدي، وأجدادهم قبلهم، كان من أصل ملكي. لقد أخبرها والدها منذ أن كانت فتاة صغيرة، أنه حين تتزوج، عليها البقاء ضمن حدود عالمها. ولم يخطر في بالها أن تفعل غير ذلك.

الفترة الوحيدة في حياة كريستيانا التي لم تتأثر خلالها بلقبها الملكي بشكل يومي كانت أثناء تواجدها في الجامعة في كاليفورنيا، حيث عاشت في شقة في بيركلي مع حارسين شخصيين، الأول رجل والثاني امرأة. واعترفت بحقيقتها فقط أمام صديقتيها المقربتين، اللتين احتفظتا بسرها جيداً، تماماً مثلما فعلت إدارة الجامعة التي كانت تعرف الحقيقة أيضاً. معظم الأشخاص الذين عرفتهم هناك لم تكن لديهم فكرة عمن تكون، وقد أحبت الأمر بهذه الطريقة. لقد تفتحت في غفلة نادرة لهويتها، وتحررت من القيود والواجبات التي وجدتها جائرة منذ نعومة أظفارها. في كاليفورنيا، كانت تقريباً مجرد فتاة جامعية. مع حارسين شخصيين، ووالد هو أمير حاكم. كانت تعتمد الغموض دوماً حين يسألها الأشخاص عن نوع عمل والدها. وأخيراً، تعلمت القول إنه يعمل في حقوق الإنسان، أو في العلاقات العامة، وأحياناً في السياسة، وهي كلها صحيحة مبدئياً. لم تستخدم أبداً لقبها أثناء تواجدها هناك. وعلى أية حال، كان عدد قليل

جداً من الأشخاص الذين التقتهم يعرفون أين تقع اليشتنشتاين، أو يعرفون أن لهذه الإمارة لغتها الخاصة. لم تخبر الأشخاص أبداً أن منزلها العائلي هو قصر في فادوز، تم تشييده في القرن الرابع عشر، وأعيد بناؤه في القرن السادس عشر. أحبت كريستيانا الاستقلالية والغفلية في سنواتها الجامعية. لكن كل شيء تغيّر الآن. ففي فادوز، عادت لتكون مجدداً صاحبة السمو، وعليها تحمل كل ما هو مرتبط بهذا اللقب. بالنسبة إليها، أن تكون أميرة هو بمثابة لعنة.

"هل تودين الانضمام إليّ في الاجتماع مع سفيرنا لدى الأمم المتحدة اليوم؟" عرض عليها والدها في محاولة لإبهاجها. تنهدت وهزّت رأسها، فيما وقف هو أمام المائدة، وحذت حذوه.

"لا أستطيع. عليّ قص شريط في المستشفى. لا أمتلك فكرة عن سبب وجود العديد من المستشفيات لدينا". ابتسمت بكآبة. "أشعر وكأنني أقص واحداً من هذه الأشرطة كل يوم". كان هذا مبالغاً فيه طبعاً، لكنّها شعرت أحياناً هكذا.

قال لها: "أنا واثق من أن وجودك هناك يعني لهم الكثير، وهي تعرف ذلك تماماً. تمنت فقط لو أن هناك شيئاً أكثر فائدة تستطيع القيام به، مثل العمل مع الأشخاص، ومساعدتهم، وجعل حياتهم أفضل بطريقة واقعية، بدل ارتداء قبعة جميلة، وبذلة من ماركة شانيل، ومجوهرات المرحومة أمها، أو مجوهرات أخرى تخص الدولة. لا يزال تاج أمها من حفلة تتويج والدها موجوداً. لطالما قال والدها إن كريستيانا ستضع هذا التاج يوم زفافها. وقد ذهلت هي نفسها حين جرّبته، واكتشفت كم كان وزنه ثقيلاً، تماماً مثل المسؤوليات الثقيلة المترتبة عنه. "هل تودّين الانضمام إليّ خلال العشاء مع السفير الليلة؟" عرض عليها الأمير هانس جوزف فيما جمع أوراقه. لم يشأ استعجالها، في خضم بؤسها الواضح، لكنّه أصبح متأخراً الآن.

"هل تحتاجني هناك؟" سألت كريستيانا بتهذيب، فلأنّها تكنّ له الاحترام دوماً، كانت ستذهب من دون أي تذمر لو قال لها نعم.

"ليس تماماً. فقط إذا كنت تستمتعين بالأمر. إنه رجل مثير".

"أنا واثقة من أنه كذلك، بابا، لكن إذا كنت لا تحتاجني، أفضل البقاء في سروال الجينز والصعود إلى الطابق العلوي للمطالعة".

"أو اللعب على الكمبيوتر"، قال لها ممازحاً. كانت تحب إرسال البريد الالكتروني إلى أصدقائها في الولايات المتحدة، ولا تزال تتواصل معهم غالباً، رغم أنها أدركت تماماً أن الصداقات ستختفي في النهاية. فحياتها مختلفة جداً عن حياتهم. إنها أميرة عصرية تماماً، وامرأة شابة جريئة، وتشعر أحياناً أن أهمية من تكون وما هو متوقع منها أشبه بالكرة والسلسلة. وتعرف أن فريدي يشعر بالشيء نفسه أيضاً. كان منغمساً في الملذات خلال الخمسة عشر عاماً الماضية، يظهر غالباً في المجلات، بصحبة ممثلات وعارضات من كل أنحاء أوروبا، وأحياناً أميرات شابات. ولهذا السبب يتواجد حالياً في آسيا، للهروب من المطاردة المستمرة والصحافة. شجعه والده على أخذ إجازة لفترة. فالوقت يقترب ليستقر أخيراً. أما الأمير فيتوقع شيئاً أقل من ابنته، لأنها لن ترث العرش. لكنّه عرف أيضاً كم تشعر بالضجر، ولهذا السبب يريدها أن تذهب إلى السوربون في باريس. إنه يعرف تماماً أنها تحتاج إلى فعل شيء أكثر من قص الأشرطة لافتتاح المستشفيات. اليشتنشتاين بلد صغير، والعاصمة فادوز بلدة صغيرة. اقترح عليها أخيراً أن تذهب إلى لندن لزيارة أقاربها وأصدقائها. فبعد أن أنهت الجامعة ولم تتزوج بعد، هناك القليل من الأمور لتشغل بها وقتها.

"سأراك قبل العشاء"، قال لها والدها فيما قبّل أعلى رأسها. كان شعرها لا يزال رطباً، نظرت إليه بعينيها الزرقاوين الكبيرتين. لكنّ الحزن فيهما مزّق قلبه.

"بابا، أريد فعل شيء آخر. لمَ لا أستطيع الذهاب بعيداً مثل فريدي؟" بدت متذمرة، مثل أية فتاة في عمرها تريد تنازلاً من والدها، أو الإذن لفعل شيء لن يوافق عليه على الأرجح.

"لأنني أريدك هنا معي. سأشتاق إليك كثيراً، إذا ابتعدت ستة أشهر".

ظهرت فجأة شرارة انزعاج في عينيّ والدها. كان في أفضل حالاته حين كانت أمها على قيد الحياة، وعاش حياة مسؤولة وعائلية منذ ذلك الحين. لا توجد امرأة في حياته، ولم يعرف امرأة واحدة منذ وفاة والدة كريستيانا، رغم أن العديد من النساء حاولن التقرب منه. لقد كرّس نفسه تماماً لعائلته وعمله. لقد عاش فعلاً حياة تضحية، أكثر منها هي. لكنّها عرفت أيضاً أنه يتوقع الشيء نفسه منها. "في حالة شقيقك"- ابتسم لابنته- "من الرائع أحياناً وجوده بعيداً. تعرفين كم هو فاضح". ضحكت كريستيانا بصوت عالٍ. يمتلك فريدي طريقة لتوليد الإزعاج ليقع بعدها أسير الصحافة. وكان الملحق الإعلامي لديهم يعمل بدوام كامل لتغطية أخباره منذ أن كان فريدي في أوكسفورد. في عمر الثالثة والثلاثين، شكّل مادة دسمة للصحافة خلال الخمسة عشر عاماً الماضية. أما كريستيانا فكانت تظهر في الصحافة فقط في المناسبات الرسمية مع والدها، أو أثناء افتتاح المستشفيات أو المكتبات.

ظهرت لها صورة واحدة فقط في مجلة ***بيبول*** حين كانت في الجامعة، وقد التقطت لها هذه الصورة أثناء حضورها مباراة لكرة القدم مع أحد أقاربها من العائلة المالكة البريطانية. كما ظهرت لها صور قليلة في مجلة ***هاربرز بازار*** ومجلة ***فوغ***، إضافة إلى صورة جميلة في مجلة ***تاون إند كاونتري*** التقطت لها أثناء حفلة راقصة وتّم نشرها ضمن مقال عن الجيل الشاب في العائلات المالكة. بقيت كريستيانا كتومة، الأمر الذي أرضى والدها. أما فريدي فكان قصة أخرى تماماً، لكنّه رجل، مثلما كان الأمير هانس جوزف يقول دوماً. إلا أنه حذرّه أنه بعد عودته من آسيا، لن يعود هناك حماقات مع العارضات أو فضائح مع النجمات المبتدئات، وإذا استمر في لفت الانتباه إلى نفسه، سوف يقطع عنه والده مخصصاته. استوعب فريدي الأمر، ووعد بأن يتصرف جيداً حين يعود إلى القصر. لذا، لم يكن مستعجلاً للعودة.

"سأراك الليلة عزيزتي"، قال الأمير هانس جوزف فيما عانقها بحنان، ثم غادر غرفة الطعام، وانحنى له كل الخدم الذين مرّ أمامهم.

عادت كريستيانا إلى جناحها الخاص في الطابق الثالث من القصر. كانت تمتلك غرفة نوم كبيرة وجميلة، وغرفة للتبرج، وغرفة جلوس جميلة، ومكتباً. كانت سكرتيرتها في انتظارها، فيما تشارلز مستلقٍ على الأرض. لقد تمّ تنظيفه، وغسله، وتمشيطه ولم يعد يشبه أبداً الكلب الذي ركض معها في الحقول هذا الصباح. بدا حزيناً جداً ومكتئباً نوعاً ما لكل ما فعلوه لتنظيفه. كان يكره الاستحمام. ابتسمت كريستيانا فيما ألقت نظرة خاطفة عليه، وهي تعلم أنها تشعر بالارتياح معه أكثر من أي شخص آخر في القصر، أو ربما في البلد كله. فهي تكره أيضاً أن يتم تصفيف شعرها والاعتناء بها، تماماً مثل الكلب. كانت أكثر سعادة خلال ركضها معه هذا الصباح، حين تبللت واتسخت بالوحل. ربتت عليه وجلست على الجانب الآخر من المكتب، فيما نظرت إليها سكرتيرتها وابتسمت، وسلّمت كريستيانا جدول أعمالها المريع. سيلفي دو ماريشال هي امرأة سويسرية من جنيف، في أواخر العقد الرابع، كبر أولادها وتركوها. يعيش اثنان منهم في الولايات المتحدة، وآخر في لندن، وآخر في باريس، وكانت تتولى كل أمور كريستيانا خلال الأعوام الستة الماضية. إنها الآن تستمتع بوظيفتها أكثر بعد أن عادت الأميرة إلى الوطن. لديها أسلوب الأم الحنون، وكانت شخصاً تستطيع كريستيانا على الأقل التحدث معه، والتذمر له، عند الضرورة، من ضجر حياتها.

"سوف تفتتحين مستشفى للأطفال اليوم عند الساعة الثالثة، يا صاحبة السمو، ثم تمرّين على دار للعجزة في الساعة الرابعة. يفترض أن تكون هذه الزيارة قصيرة، ولست مضطرة إلى إلقاء أي خطاب في كلا المكانين. مجرد بضع كلمات من الإعجاب والشكر. سوف يقدم لك الأولاد في المستشفى باقة أزهار". كانت اديها لائحة بأسماء الأشخاص الذين سيرافقونها، وأسماء الأولاد الثلاثة الذين تم اختيارهم ليقدموا لها باقة الأزهار. كانت سكريترتها منظمة بطريقة رائعة، وتعطي كريستيانا دوماً كل التفاصيل الضرورية. كما أنها تسافر معها عند اللزوم. في القصر، تساعدها في تنظيم حفلات عشاء صغيرة لأشخاص مهمين يطلب منها والدها استضافتهم، أو حفلات عشاء كبيرة لكبار

المسؤولين في الدولة. لقد أدارت قصراً خالياً من الأخطاء لأعوام عدة، وهي تعلّم كريستيانا كيفية إدارة منزلها، مع كل التفاصيل والانتباه لجعل كل مناسبة تجري بصورة جيدة. كانت تعليماتها انسيابية، وذوقها رفيعاً، ولطافتها مع صاحبة عملها الشابة من دون حدود. كانت المساعدة المثالية لأميرة شابة، ولديها حسّ جيد للدعابة، يعزز معنويات كريستيانا حين تشكّل واجباتها عبئاً كبيراً بالنسبة إليها. قالت برفق: "غداً سوف تفتتحين مكتبة"، وهي تعرف كم أن كريستيانا متعبة من القيام بمثل هذه الأشياء، بعد عودتها إلى القصر قبل ثلاثة أشهر. لا تزال عودة كريستيانا إلى فادوز أشبه بحكم السجن المؤبد بالنسبة إليها. حذّرتها قائلة: "عليك إلقاء كلمة غداً، لكنك ستفلتين من ذلك اليوم". بدت كريستيانا شاردة، وهي تفكر في حديثها مع والدها. لا تعرف بعد إلى أين، لكنّها عرفت أنها تريد الذهاب بعيداً. ربما بعد عودة فريدي، بحيث لا يشعر والدها أنه وحيد. عرفت أنه لم يحب الأمر حين كانت بعيدة. إنه يحب ولديه، ويستمتع معهما، وسواء كان هذا ملكياً أم لا، فإنه يحب عائلته أكثر من أي شيء آخر، تماماً مثلما أحب زواجه، ولا يزال يفتقد إلى زوجته. عرضت عليها سيلفي: "هل تريدين أن أكتب لك خطاب الغد؟" لقد فعلت ذلك قبلاً، وبرعت فعلاً. لكن كريستيانا هزّت رأسها.

"سأفعل ذلك بنفسي. أستطيع كتابته الليلة". يذكّرها ذلك بفروضها أيام الجامعة. وجدت أنها الآن تشتاق حتى إلى ذلك، وهذا أمر يمكنها فعله.

قالت سيلفي: "سأترك لك التفاصيل بشأن المكتبة الجديدة على ورقة على مكتبك"، ثم نظرت إلى ساعتها، مذهولة من الوقت. "من الأفضل أن ترتدي ثيابك. عليك المغادرة بعد نصف ساعة. هل من شيء ترغبين أن أحضره لك؟" هزّت كريستيانا رأسها. عرفت أن سيلفي تعرض عليها إحضار المجوهرات من الخزنة، لكن كريستيانا كانت تضع فقط عقد اللؤلؤ الخاص بوالدتها، وقرطي الأذنين المتناغمين معه، هذه الأشياء كلها هدية لأمها من الأمير هانس جوزف. في الواقع، إن وضع هذه المجوهرات يعني لها الكثير. وكان والدها يسرّ دوماً لرؤية كريستيانا تضع مجوهرات أمها. أومأت برأسها لسيلفي،

وذهبت لتغيير ملابسها، فيما نهض تشارلز، ولحق بها إلى خارج الغرفة.

بعد نصف ساعة، عادت كريستيانا إلى المكتب، وهي تبدو أميرة بكل معنى الكلمة في بذلتها باللون الأزرق الفاتح من ماركة شانيل مع زهرة بيضاء وعقدة سوداء عند العنق. كانت تحمل حقيبة صغيرة من جلد التمساح اشتراها لها والدها من باريس، وانتعلت حذاء متناسقاً من جلد التمساح الأسود، ووضعت عقد اللؤلؤ وقرطي الأذنين الخاصين بأمها، وزوجاً من القفازات البيضاء الصغيرة في جيب بذلتها.

بدت أنيقة وشابة، فيما كان شعرها الأشقر الطويل مربوطاً إلى الخلف بترتيب في جديلة ناعمة وطويلة. بدت رائعة حين خرجت من سيارة المرسيدس الكبيرة أمام المستشفى، وبدت ودودة وفاتنة فيما ألقت التحية على رئيس المستشفى والمدراء. قالت بضع عبارات شكر، منوّهة بالعمل الذي سينجزونه. توقفت للتحدث، ولمصافحة كل الأشخاص الذين احتشدوا على الدرجات الأمامية لرؤيتها. تحدثوا جميعاً عن مدى أناقتها، ومظهرها الشاب والنضر، وأناقة بذلتها، ودماثة تصرفها، وتواضعها من كل النواحي. ومثلما كانت تفعل دوماً خلال ظهورها العلني، ممثلة والدها والقصر، كانت كريستيانا تبذل كل جهد ممكن لتترك انطباعاً جيداً عند كل الذين يلتقون بها. وفيما مشت في طريقها، لوّح لها جميع الواقفين خارجاً، وبادلتهم هي الشيء نفسه، وهي تضع قفازيها الأبيضين. لقد كانت زيارتها للمستشفى ناجحة تماماً بالنسبة إليهم جميعاً.

أسندت رأسها على المقعد لدقيقة أثناء توجهها إلى دار العجزة، وهي تفكر في وجوه الأولاد الذين قبلتهم للتو. لقد قبّلت مئات الأولاد الآخرين مثلهم، منذ أن تسلمت مهامها في يونيو. يصعب التصديق، أو حتى القبول، أن هذا كل ما ستفعله لبقية حياتها؛ قص الأشرطة، افتتاح المستشفيات، والمكتبات، والمراكز الرئيسية، تقبيل الأولاد والسيدات المسنّات، مصافحة أيدي عشرات الأشخاص، ومن ثم السير والتلويح. لا تريد أن تكون ناكرة الجميل للنعمة

المعطاة لها، ولا تريد التقليل من احترام والدها، لكنّها تكره كل لحظة من ذلك.

إنها تعرف تماماً كم هي محظوظة في العديد من النواحي. لكنّ التفكير في الأمر، وكم أصبحت حياتها تافهة، وكيف ستستمر خلال السنوات المقبلة، جعلها تكتئب كثيراً. كانت لا تزال مغمضة عينيها حين وصلوا إلى أمام المركز الرئيسي، وفيما تولى الحارس الشخصي الذي يرافقها في كل مكان فتح الباب لها، شاهد دمعتين تنهمران ببطء على وجنتيها. ابتسمت له وللأشخاص الذين ينتظرونها مع نظرات إثارة وشوق، ومسحت دموعها بيدها المغلفة بقفاز أبيض.

الفصل 2

في تلك الليلة، مرّ الأمير هانس جوزف بجناح كريستيانا بعدما أنهى عشاءه مع سفيره لدى الأمم المتحدة. كانت حفلة أنيقة ضمّت أربعين شخصاً في غرفة الطعام في القصر، ورغم أنه كان يودّ أن تتواجد هناك، فلم يلحظ أحد غياب كريستيانا. لقد دعا صديقة قديمة له لمساعدته، ولتكون المضيفة في المناسبة. لقد كانا معاً في المدرسة قبل أعوام عدة، وهي الآن أرملة، ويعتبرها بمثابة شقيقته. إنها عرّابة فريدي وصديقة للعائلة منذ أعوام. إنها بارونة نمساوية، ولقد ساعدته في إبقاء المحادثات حيوية، علماً أن هذه ليست دوماً مهمة سهلة في المناسبات الرسمية.

حين وصل إلى أمام جناح كريستيانا، وجد الباب مفتوحاً. استطاع رؤيتها على أرض غرفة الجلوس، وهي تضع ذراعيها حول كلبها، وتستمع إلى الموسيقى التي أحضرتها معها من أميركا بصوت عالٍ. كان الكلب نائماً رغم الضجة. ابتسم الأمير حين شاهدهما، ودخل بهدوء إلى الغرفة. نظرت إليه كريستيانا، وابتسمت حين لاحظت أنه يراقبها.

سألته: "كيف كان العشاء؟" بدا أنيقاً وطويلاً في سترة العشاء. لطالما شعرت بالفخر لأن والدها رجل وسيم. إنه فعلاً مثال الأمير الوسيم، والأكثر من ذلك، كان رجلاً حكيماً ولطيفاً جداً، يحب ابنته أكثر من الحياة نفسها.

"ليست ممتعة مثلما كان يفترض بها أن تكون لو حضرتها أنت عزيزتي. أظن أنّك كنت ستجدينها مملة". كانا متفقين تماماً حول هذه المسألة. إنها مسرورة لأنها لم تذهب. تكفيها المهمتان الرسميتان بعد الظهر، في المستشفى

ودار العجزة. "ماذا تفعلين غداً؟"

"أفتتح مكتبة، ومن ثم أقرأ كتباً لأولاد ضريرين في ميتم للأطفال".

"هذا شيء جميل". حدّقت فيه لبرهة طويلة، ولم تعلّق على الموضوع. عرف كلاهما أنها تشعر بضجر كبير، وتتوق إلى فعل شيء أكثر أهمية. استطاعت رؤية حياتها ممتدة أمامها الآن، مثل طريق طويلة وجرداء ولا تحتمل. لم يتوقع أي منهما كم سيكون تكيفها صعباً بعد عودتها إلى القصر. لقد ندم الآن لأنه سمح لها بالذهاب إلى الجامعة في كاليفورنيا. ربما كان فريدي محقاً. لطالما قال إنه يعتقد أن هذه فكرة سيئة. فبقدر ما كان فاسقاً في حياته الخاصة، إلاّ أنه لطالما حاول حماية أخته. وكان مدركاً تماماً ما يمكن أن تفعله بها الحياة الأكثر تحرراً. في النهاية، حصل ذلك. فهي لم تعد تشعر بأنها ملائمة للحياة التي ولدت لأجلها. إنها مثل حصان سباق جميل مسجون في اسطبل صغير جداً عليه. نظر والدها إليها، وأدرك تماماً أنها تبدو مثل أية فتاة شابة أخرى، تستمع إلى الموسيقى الصادرة من مسجلتها بصوت عالٍ. لكنّهما يعرفان جيداً أنها ليست فتاة شابة عادية. وكل ما تمناه هانس جوزف هو أن تنسى سريعاً طعم الحرية الذي أدمنت عليه في الولايات المتحدة. هذا هو أمله الوحيد. وإلا فإنها ستشعر بالبؤس لوقت طويل. أو حتى لبقية حياتها، الأمر الذي سيكون قدراً بائساً بالنسبة إليها.

"هل تودين الذهاب معي إلى الباليه في فيينا ليلة الجمعة؟" سألها والدها بوقار، وهو يحاول عبثاً التفكير في أشياء قد تستمتع بها، لإدخال البهجة إلى حياتها المنعزلة. تمتلك اليشتنشتاين روابط قوية مع سويسرا والنمسا، وكان الأمير يذهب غالباً إلى فيينا لحضور الأوبرا أو الباليه. في الواقع، قبل الحرب العالمية الثانية، كان الأمراء الحكام في اليشتنشتاين يعيشون في فيينا. وحين سيطر النازيون على النمسا عام 1938، نقل والد هانس جوزف عائلته والبلاط الملكي إلى عاصمة اليشتنشتاين لحراسة *شرف وشجاعة ورفاهية* البلاد حسب *القوانين* الأميرية. وهم يعيشون هناك منذ ذلك الحين. كان والد كريستيانا

تجسيداً لدستور العائلة، وقد أقسم اليمين المقدس حين أصبح الأمير الحاكم.

"قد يكون ذلك ممتعاً"، قالت كريستيانا، وهي تبتسم له. عرفت كم يبذل من الجهد لمحاولة جعلها تشعر بالارتياح مجدداً. لكنّه بقدر ما كان يحبها، كانت يداه مكبلتين. فلا يسعه فعل الكثير للتخفيف من ألمها. بالنسبة إلى الآخرين، تبدو حياتهم ربما مثل قصة خرافية، لكن كريستيانا كانت في الواقع العصفور السجين في القفص الذهبي. وبدأ والدها يشعر بأنه سجّانها. فهو لا يمتلك حلاً سهلاً بين يديه. سيصبح الأمر ممتعاً أكثر بالنسبة إليها حين يعود شقيقها إلى المنزل بعد إقامته الطويلة في اليابان، لكن عودة فريدي كانت تجلب دوماً مشاكل من نوع آخر. فالحياة في القصر أكثر هدوءاً حين يكون الأمير الشاب بعيداً. بالفعل، لم يتوجب عليهم تبديد أية فضيحة منذ أن غادر، الأمر الذي أراح والده.

بعد ذلك، توصل هانس جوزف إلى فكرة أخرى. "لمَ لا تذهبين لزيارة قريبتك فيكتوريا في لندن الأسبوع المقبل؟" قد يفيدها الابتعاد قليلاً. ومركيزة أمبستر الشابة هي قريبة الملكة من الدرجة الأولى، وبعمر كريستيانا تماماً. إنها مليئة بالإثارة والمرح، وعقدت خطوبتها مؤخراً إلى أمير دانماركي. أشرق وجه كريستيانا ما إن اقترح عليها والدها الفكرة.

"سيكون هذا ممتعاً كثيراً، بابا. ألا تمانع؟"

"على الإطلاق". ابتسم لها. سرّه التفكير أنها قد تستمتع قليلاً. فما من شيء ممتع بالنسبة إليها لفعله في اليشتنشتاين. "سأطلب من سكرتيري ترتيب المسألة في الصباح". نهضت كريستيانا بسرعة، ووضعت ذراعيها حول عنقه، فيما تأوه تشارلز، وتدحرج على الأرض، ولوّح بذيله. "ابقي معها قدر ما تشائين". لم يقلق بشأن إفلاتها من السيطرة في لندن، مثلما كان يقلق بشأن ابنه. كريستيانا كانت شابة حسنة السلوك، تدرك تماماً مسؤولياتها تجاه موقعها وموقع والدها. لقد استمتعت في بيركلي، طوال أربع سنوات، لكنّها لم تخرج أبداً عن السيطرة كثيراً، على الأقل حسب علم والدها. فالحارسان الشخصيان

اللذان ذهبا إلى بيركلي معها اضطرا إلى ضبط الأمور معها مرة أو مرتين فقط. لا شيء مهم، لكن مثل أية فتاة في عمرها، حتى لو كانت ملكية، كانت هناك بعض العلاقات العاطفية الوجيزة، وليلة أو ليلتان من المرح الكبير مع كمية شراب أكثر من اللزوم، لكنّها لم تعرّض نفسها أبداً للأذى، ولم تلفت أبداً انتباه الصحافة.

قبلها والدها وتمنى لها ليلة طيبة، واستلقت هي على الأرض لبعض الوقت تستمع إلى الموسيقى، ثم نهضت، وتحققت من بريدها الالكتروني قبل الخلود إلى النوم. وصلتها رسائل الكترونية من صديقتيها أيام الجامعة، تسألان عن أخبارها وعن "حياتها كأميرة". كانتا تحبان ممازحتها حول الأمر. لقد بحثتا عن اليشتنشتاين على الانترنت، وأصيبتا بالذهول حين شاهدتا القصر الذي تعيش فيه. كان ذلك أكبر من أي شيء استطاعتا تصوره. وعدتهما بزيارتهما في مرحلة ما، لكنّها لا تخطط لفعل ذلك في الوقت الحاضر. بالإضافة إلى ذلك، عرفت أن الأمر سيكون مختلفاً الآن. لقد انتهت أيام البراءة والمرح السهل. أو على الأقل بالنسبة إليها هي. تعمل إحدى هاتين الصديقتين في لوس أنجلوس، فيما تسافر الأخرى مع أصدقائها لقضاء عطلة الصيف. أما هي فلم يكن لديها خيار آخر سوى عقد الصلح مع حياتها، والاستفادة منها قدر الإمكان. لقد أحبت اقتراح والدها للذهاب وزيارة قريبتها في لندن.

صباح يوم الجمعة، ذهبت مع والدها إلى فيينا. توجب عليهما اجتياز جبال الألب، واستغرقت الرحلة ست ساعات للوصول إلى المقر السابق للعائلة، أي قصر اليشتنشتاين في فيينا. كان جميلاً جداً، وعلى عكس القصر في فادوز، الذي هو مقرهم الرئيسي، كانت أقسام من قصر فيينا مفتوحة أمام العموم. والقسم الذي تشغله هي ووالدها محروس بشدة ومنعزل نوعاً ما. وغرف جناحها هناك أكثر تزييناً من غرف جناحها في فادوز، التي كانت جميلة وإنما أقرب إلى الحقيقة البشرية. ففي قصر اليشتنشتاين، كانت تمتلك غرفة نوم كبيرة جداً مع سرير عملاق، ومرايا وذهب في كل مكان، وعلى

الأرض سجادة أوبوسون لا تقدّر بثمن. بدت الغرفة مثل متحف، مع ثريا عملاقة متدلية من السقف، لا تزال تعمل بالشموع.

كان الخدم الذين عرفتهم طوال حياتها ينتظرونها هناك. ساعدتها امرأة مسنّة عملت مع أمها قبل عشرين عاماً في ارتداء فستانها، فيما تولت امرأة شابة ترتيب حمامها، وأحضرت لها طعاماً لتأكله. ذهبت للقاء والدها في غرفته في تمام الساعة الثامنة وهي ترتدي فستان كوكتيل أسود من ماركة شانيل اشترته من باريس في العام الفائت. كانت تضع قرطين ماسيين صغيرين، وعقد اللؤلؤ الخاص بأمها، والخاتم الذي يرافقها دوماً، وهو عبارة عن خاتم صغير مع شعار العائلة عليه، تضعه في الإصبع الصغير من يدها اليمنى. إنه الرمز الوحيد الذي تضعه دلالة على نسلها الملكي، وما لم يكن الشخص مطلعاً على الشعار، لن يجد الخاتم مميزاً عن أي خاتم منقوش آخر. كان الرمز محفوراً في إطار بيضوي بسيط من الذهب الأصفر. ليست بحاجة إلى رموز تشير إلى من تكون، لأن كل شخص في اليشتنشتاين والنمسا يعرفها، ويتعرف إليها حين يراها، تماماً كما الجميع في أوروبا. كانت شابة أنيقة بامتياز، وظهرت غالباً مع والدها بحيث لفتت انتباه الصحافة خلال الأعوام القليلة الماضية. وتمّ اعتبار غيابها الوجيز في الولايات المتحدة للدراسة بمثابة فجوة. وكلما عادت إلى أوروبا، كانت تقع فريسة التصوير مهما حاولت جاهدة تفادي ذلك. وما إن عادت بصورة نهائية، حتى كانت الصحافة بانتظارها. إنها جميلة أكثر من معظم الأميرات الأخريات في أوروبا، وأكثر إغراء لأنها خجولة جداً، ومتحفظة ورزينة. وهذا ما أثار فضول الصحافيين أكثر فأكثر.

"تبدين جميلة الليلة، كريكي"، قال والدها بحنان فيما دخلت إلى غرفته وساعدته على وضع الأزرار المعدنية في طرف الكمّين. كان خادمه واقفاً قربه لمساعدته، لكنّ كريستيانا تحب الاهتمام به، وهو يفضل ذلك. ذكّره ذلك بالأيام التي كانت فيها زوجته على قيد الحياة، وابتسم فيما نظر إلى ابنته. كان

هو، وشقيقها، وأقاربها الأشخاص الوحيدين في أوروبا الذين ينادونها كريكي، رغم أنها استعملت الاسم في بيركلي حين ذهبت إلى الجامعة. "تبدين ناضجة جداً"، قال وهو يبتسم لها بفخر، فضحكت.

"أنا ناضجة بابا". لقد كانت صغيرة وناعمة جداً، ولذلك تبدو دوماً أصغر من عمرها. وعند ارتداء الجينز الأزرق والكنزات الصوفية أو القمصان القطنية، كانت تبدو أشبه بمراهقة بدلاً من شابة في الثالثة والعشرين من عمرها. ولكن، في فستان الكوكتيل الأسود الأنيق، ووشاح الفرو الأبيض على ذراعيها، بدت مثل نسخة مصغرة لعارضة أزياء في باريس. كانت جميلة ورشيقة، وجهها متناسب تماماً مع حجمها، وتحركت بلباقة في الغرفة فيما استمر والدها في الابتسام.

"أعتقد أنك فعلاً كذلك حبيبتي، رغم أنني أكره اعتبارك هكذا. فمهما تقدمت في العمر، سوف تبقين دوماً طفلة برأيي".

"أظن أن فريدي ينظر إليّ بهذه الطريقة أيضاً. إنه يعاملني دوماً كما لو أنني في الخامسة".

"أنت هكذا بالنسبة إلينا"، قال الأمير هانس جوزف بكرم. إنه مثل أي والد آخر، خصوصاً وأنه أجبر على تربية ولديه من دون زوجة. لقد كان الأب والأم بالنسبة إليهما. ويُجمعان كلاهما أنه أنجز عملاً رائعاً، ولم يخفق ولو مرة واحدة. نجح في التوفيق بين واجباته تجاه الدولة، وبين واجباته كأب لناحية العاطفة، والصبر، والحكمة، والحب الكبير. نتيجة ذلك، كان الأفراد الثلاثة للعائلة الصغيرة مقربين جداً من بعضهم. ورغم أن فريدي كان سيىء التصرفات في معظم الأوقات، فإنه يكنّ حباً عميقاً لوالده وشقيقته.

تحدثت كريستيانا إلى شقيقها في اليابان هذا الأسبوع. كان لا يزال في طوكيو، ويقضي وقتاً رائعاً. لقد زار المعابد، والمتاحف، والمزارات، والنوادي الليلة، والمطاعم الرائعة وإنما الباهظة جداً. حلّ فريدي ضيفاً على ولي العهد خلال الأسابيع القليلة الأولى، الأمر الذي قيّده كثيراً، لكنّه الآن يسافر وحده،

مع مساعديه، وسكرتيره، وخادمه، وحراسه الشخصيين طبعاً. تبرز الحاجة إلى هذا العدد الكبير من الأشخاص لإبقاء فريدي تحت السيطرة. تعرف كريستيانا طبعه. أخبرها أن الفتيات اليابانيات جميلات جداً، وسوف ينتقل إلى الصين. لم يحدد بعد خططه للعودة إلى القصر، ولا حتى لزيارة، قبل الربيع المقبل. بدا الأمر بمثابة دهر بالنسبة إليها. حين يكون بعيداً، لا تجد في القصر أحداً قريباً من سنها للتحدث إليه. إنها تتشارك أسرارها العميقة مع كلبها. لا شك في أنها تستطيع التحدث إلى والدها بشأن الأمور المهمة، لكنّها لا تمتلك أحداً لإخباره عن المشاكل اليومية التي تحصل مع الشباب. لا تمتلك أصدقاء من عمرها، وهذا ما جعل من بيركلي أكثر روعة بالنسبة إليها.

وصلت كريستيانا مع والدها إلى الباليه في ليموزين البنتلي التي يقودها السائق، مع حارس شخصي يجلس في الأمام، وهي السيارة نفسها التي جاءوا فيها صباح اليوم من فادوز. كان هناك مصوّران في الانتظار خارجاً، بعد أن تم إبلاغهما سرّاً بحضور الأمير هانس جوزف والأميرة للحفلة الليلة. لم تتوقف كريستيانا ووالدها للتحدث إليهما، وإنما ابتسما أثناء دخولهما وفي الردهة ألقى عليهما التحية مدير الباليه نفسه، الذي قادهما إلى مقعديهما في الحجرة الملكية.

كانت حفلة رائعة لباليه *جيزيل* واستمتعا كلاهما بها. نكّس والدها رأسه للنوم دقائق معدودة خلال الفصل الثاني، وأقحمت كريستيانا يدها برفق في ذراعه. عرفت كم أن واجباته تفرض بثقلها عليه أحياناً. لقد نجح هو ووالده من قبله في تحويل البلاد من مركز زراعي إلى قوة صناعية أساسية لها اقتصاد قوي وتحالفات دولية مهمة، مثل التحالف مع سويسرا، الذي أفادهم جميعاً. أخذ مسؤولياته على محمل الجد، وقد ازدهرت البلاد كثيراً على الصعيد الاقتصادي خلال حكمه. بالإضافة إلى ذلك، كان يخصص قسماً كبيراً من وقته للشؤون الإنسانية. وعند وفاة زوجته، أنشأ مؤسسة لتخليد ذكراها، وقد أنجزت مؤسسة الأميرة أغات كماً كبيراً من الأعمال الخيرية في الدول

النامية. كانت كريستيانا تخطط للحديث معه بشأن هذا الأمر. أصبحت مهتمة أكثر وأكثر في العمل ضمن المؤسسة، رغم أنه ثناها عن فعل ذلك في البداية. لم تكن لديه رغبة في السماح لها بالانضمام إلى عمالهم في المواقع الخطيرة. أرادت زيارتهم على الأقل، وربما العمل في الشؤون الإدارية إذا سمح لها بذلك، وفي حال لم تذهب إلى السوربون. أوضح لها تماماً أنه يفضل أن تتابع دراستها. أما هي فتأمل أنه إذا بدأت العمل في المؤسسة على الصعيد الإداري، فقد تتمكن من إقناع والدها لاحقاً بالسماح لها في القيام بجولة ميدانية مع المدراء بين الحين والآخر. هذا هو أملها. كانت مؤسستهم إحدى أكثر المؤسسات ازدهاراً وكرماً في أوروبا، يموّلها والدها من ثروته الشخصية، تخليداً لذكرى زوجته.

عادا إلى قصر الفشتنشتاين قبل منتصف الليل بقليل. كانت مدبّرة القصر قد حضّرت لهم الشاي وسندويشات صغيرة، وراحت كريستيانا تتحدث مع والدها فيما تناولا العشاء، وتحدثا عن الحفلة. كانا يأتيان غالباً لمشاهدة الأوبرا في فيينا، وكذلك السمفونيات. فالمكان قريب جداً من قصرهم، ويوفر لهما استراحة من الروتين الجاد، فضلاً عن أن الأمير هانس جوزف أحب رحلاته الصغيرة مع ابنته.

شجعها على تسوق بعض الأغراض في صباح اليوم التالي. اشترت زوجين من الأحذية وحقيبة لليد، لكنّها وفرت طاقتها للندن. فالأشياء التي اشترتها من فيينا ملائمة للمناسبات الوطنية والاحتفالات الرسمية مثل قص الشريط. أما الثياب التي تشتريها من لندن فترتديها في القصر في فادوز، أو في حياتها الخاصة، حين تتاح لها فرصة لذلك، وهذا غير ممكن في الوقت الحاضر. لقد أمضت الأعوام الأربعة الماضية في سروال الجينز، وهي تشتاق إليه الآن بعد أن عادت إلى المنزل. عرفت أن والدها لا يحب أن تخرج ابنته من القصر بالجينز، إلا إذا أرادت الذهاب إلى الريف. يتوجب على كريستيانا التفكير في الأمر عشر مرات قبل فعله؛ ماذا تقول، ماذا ترتدي، إلى أين

تذهب، مع من، وحتى التعليقات العفوية التي تقولها عموماً والتي قد يسمعها أحد ويساء تفسيرها لاحقاً. لقد تعلمت منذ نعومة أظفارها أنه لا توجد خصوصية أو حرية عند ابنة الأمير الحاكم. فمن السهل جداً إحراجه أو التسبب بمشكلة دبلوماسية إذا أزعجت أحداً. لقد أدركت كريستيانا هذا الأمر تماماً، وبذلت كل جهد لتقديم الاحترام والحب لوالدها. أما فريدي فكان أكثر عفوية في هذه المسألة حين يجد نفسه في خضمّ وضع يجرح المشاعر، وهذا ما فعله غالباً لغاية الآن، الأمر الذي أحزن الجميع. لم يكن فريدي يفكر. أما كريستيانا، فعلى عكسه، كانت تفعل ذلك دوماً.

كانت مهتمة كثيراً أيضاً بحقوق النساء، وهذا موضوع حساس في بلدها. فقد حظيت النساء بحق الاقتراع قبل عشرين عاماً تقريباً؛ أي في العام 1984. وهي تحب القول إن وصولها أحضر لهنّ الحرية، لأن السنة التي تحررت فيها النساء هي نفسها السنة التي ولدت فيها. لا يزال بلدها محافظاً جداً في العديد من النواحي، رغم الأفكار العصرية جداً لوالدها بشأن الاقتصاد، وآرائه المنفتحة سياسياً. لكنّ البلد صغير، ومقيد بالتقاليد التي وجدت منذ تسعة قرون. وقد شعرت كريستيانا بعبء ووطأة كل ذلك. أحبت فكرة إحضار أفكار جديدة معها من الولايات المتحدة، وتطوير المزيد من فرص العمل للنساء، لكن مع وجود ثلاثة وثلاثين ألف شخص فقط، أقل من نصفهم من النساء، سيكون هناك عدد قليل جداً من النساء اللواتي سيتأثرن بتطلعات كريستيانا الشابة والحيوية. إلا أنها رغم ذلك أرادت المحاولة. حتى مسألة عدم قدرتها على وراثة العرش هي تقليد قديم. ففي الملكيات والإمارات الأخرى، كانت تمتلك الحق بالحكم تماماً مثل فريدي، رغم أن وراثة العرش هي آخر شيء تريده. لم تكن لديها رغبة في الحكم، لكنّها رأت أن التمييز التقليدي غير ملائم أساساً في بلد عصري. كانت تذكر الأمر أمام الأعضاء الخمسة والعشرين في برلمان والدها كلما رأتهم، تماماً مثلما فعلت أمها قبلها، ونجحت في إعطاء النساء الحق بالاقتراع. إنهم يدخلون شيئاً فشيئاً في القرن الحادي والعشرين، ولكن ببطء

شديد جداً برأي كريستيانا، وكذلك برأي والدها رغم أنه كان أقل تمرداً منها. فمن الناحية الإيديولوجية، لا يزال يكنّ احتراماً عميقاً لتقاليدهم القديمة، لكن عمره يوازي ثلاثة أضعاف عمرها، وهذا ما شكّل فرقاً واضحاً.

تحدثا عن رحلتها إلى لندن في السيارة خلال طريق العودة إلى فادوز. أحضر والدها معه حقيبة مليئة بالأوراق لقراءتها خلال الرحلة، لكنّ الطريق طويل كفاية بحيث يمتلك الوقت للثرثرة مع كريستيانا أيضاً. سوف تزور فيكتوريا يوم الثلاثاء. اقترحت عليه بحذر أن تذهب لوحدها، من دون حراس، لكنّ والدها رفض الأمر. كان قلقاً دوماً من العنف المحتمل، ولذلك أرادها أن تأخذ معها حارسين شخصيين على الأقل، أو حتى ثلاثة.

تذمّرت كريستيانا قائلة: "هذا سخيف، بابا كان لديّ حارسان فقط في بيركلي، ولطالما قلت إن أميركا أكثر خطراً. بالإضافة إلى ذلك، تمتلك فيكتوريا حارساً خاصاً بها. أحتاج فقط إلى واحد".

"ثلاثة"، قال بحزم وهو يقطّب حاجبيه أمامها. كان يكره فكرة أن تكون في خطر ولو من بعيد. يفضل أن يكون حذراً بإفراط بدل أن يكون متهوراً.

"واحد"، قالت كريستيانا مساومة، وضحك هذه المرة.

"اثنان، وهذا عرضي النهائي. وإلا ستبقين في القصر".

"حسناً، حسناً"، أذعنت له. عرفت أن شقيقها يمتلك ثلاثة حراس معه في اليابان، ورابع للإنقاذ. تسافر العائلات الملكية الأخرى مع عدد أقل من الحراس الشخصيين أحياناً، لكنّ بما أنه معلوم أن عائلتهم وبلادهم غنية جداً، فلقد جعلهم ذلك جميعاً في خطر أكبر. فالخطر مرتبط بالثروة، بقدر ما هو مرتبط بهوياتهم، أو ربما حتى أكثر. ولطالما كان الخوف الأكبر عند الأمير من أن يتعرض أحد ولديه للخطف، ولذلك كان يتوخى الحذر كثيراً. لقد استوعبت كريستيانا الأمر منذ زمن طويل، تماماً مثلما فعل فريدي. كان يستخدم حراسه الشخصيين للقيام بالمهام الثانوية نيابة عنه، وإخراجه من الورطات التي يولدها – مع النساء عادة – أو لمساعدته في الفرار من نادٍ ليلي

في وقت متأخر من الليل حين يكون ثملاً جداً، ويعجز عن السير. أما كريستيانا فكانت تستخدم حراسها بصورة أقل، لأنها حسنة السلوك، وقد أقامت علاقات مريحة وسهلة معهم، وكانوا جميعاً مولعين بها، ويوفرون لها حماية كبيرة. إنها تفضل الذهاب وحدها، رغم أنها لا تستطيع فعل ذلك أبداً. فوالدها لن يسمح بذلك بكل بساطة، ومع سبب وجيه في بعض الدول. فهو لا يسمح لها أبداً بالسفر إلى أميركا الجنوبية، رغم أنها أرادت الذهاب إلى هناك. تكثر هناك القصص عن خطف الأثرياء وأصحاب النفوذ، وبصفتها صاحبة سمو وتمتلك ثروة كبيرة، ستكون فريسة ممتازة تصعب مقاومتها. فضّل الأمير هانس جوزف ألا يتم تعذيبهم من خلال ابنته. أجبرها على الاكتفاء بالسفر إلى الولايات المتحدة وأوروبا، واصطحبها بنفسه إلى هونغ كونغ، التي أحبتها كثيراً. قالت إنها تريد السفر إلى أفريقيا والهند لاحقاً، الأمر الذي جعله يرتعد خوفاً. في الوقت الحاضر، يشعر بارتياح كبير لأنها رضيت بأسبوع في لندن، تمكث خلاله مع قريبتها. هذا متطرف بقدر ما يريد أن تحصل عليه، علماً أنه متطرف كفاية. فالمركيزة الشابة متطرفة جداً نظراً لسلوكها الغريب، وقد اقتنت لأعوام عدة أفعى كبيرة وفهداً صياداً في منزلها. منعها الأمير من إحضار هذه الحيوانات إلى فادوز. لكنّه عرف أن كريستيانا تستمتع بصحبتها، وعرف كم هي بحاجة إلى ذلك.

عادا إلى القصر في فادوز بعد العاشرة مساء من تلك الليلة. كان مساعد الأمير في انتظارهما. حتى في تلك الساعة، لديه بعض الأعمال التي يتوجب عليه القيام بها. سوف يتناول عشاءً متأخراً في مكتبه، وقررت كريستيانا حذف الوجبة كلها. كانت متعبة بعد الرحلة، وذهبت للبحث عن تشارلز في المطبخ، حيث كان نائماً قرب الفرن، وتحمس فوراً لرؤيتها حين سمعها تدخل. صعدا معاً إلى الطابق العلوي، حيث كانت خادمتها تجلس بهدوء في انتظارها، وعرضت عليها الاستحمام.

قالت كريستيانا متثائبة: "أنا بخير آليسيا، أظن أنني سأذهب مباشرة إلى

السرير". كان السرير مرتباً في انتظارها. كان هناك تطريز كبير لشعار العائلة على الشراشف. لم يكن هناك شيء إضافي لتقوم به المرأة، فانسحبت بهدوء، الأمر الذي أراحها كثيراً. كانت مستلقية حين قالت إنها تريد الخلود إلى السرير. كانت تنوي فعلياً الاستحمام، لكنّها أرادت فعل ذلك بنفسها. تفضل أن تكون لوحدها في غرفها.

بعد أن غادرت الخادمة، نزعت كريستيانا ملابسها عنها، ودخلت إلى غرفة نومها في ثيابها الداخلية، وذهبت للتحقق من بريدها الالكتروني في مكتبها الصغير والأنيق. كان المكتب مفروشاً بالحرير الأزرق الشاحب الجميل. أما غرفة نومها وغرفة الملابس فكانتا مفروشتين بالساتان الوردي. لقد كانت الغرفة تخص جدة جدتها، وعاشت فيها كريستيانا منذ ولادتها مع مربيتها، إلى أن تقاعدت.



لم تتلقَ أية رسائل الكترونية من أميركا في تلك الليلة، واستلمت رسالة وجيزة من فيكتوريا تحدثت فيها عن المرح الكبير الذي ستعيشانه في الأسبوع القادم. قالت ملمحة بأنها قد خططت للعديد من المشاريع المرحة، الأمر الذي جعل كريستيانا تضحك. إنها تعرف فيكتوريا جيداً وهي واثقة تماماً من خططها. ليس لديها شك في ذلك.

عادت بعدها إلى غرفة نومها، وهي لا تزال في ثيابها الداخلية، ثم دخلت أخيراً للاستحمام. إن التجول في الغرفة لوحدها من دون شخص آخر معها هو بمثابة ترف كبير، وهو حريتها الوحيدة. فهناك دوماً الخدم، والخادمات، والمساعدات، والسكرتيرات، والحراس من حولها. الخصوصية هدية نادرة، وهي تستمتع بكل دقيقة منها. شعرت لبرهة وكأنها في بيركلي، رغم أن محيطها مختلف جداً بلا شك. أحسّت بنفس طعم السلام، والحرية، والقدرة على فعل كل ما تريده، حتى لو اقتصر ذلك فقط على الاستحمام والاستماع إلى الموسيقى المفضلة لديها. وضعت بعض الأقراص المدمجة التي اشترتها منذ أيام الجامعة، واستلقت على السرير لبرهة منتظرة مغطسها الكبير حتى

يمتلئ بالماء، وأغمضت عينيها. فكّرت في الأمر بقوة كافية، وشعرت، كأنها عادت إلى بيركلي... تقريباً... ولكنّ ليس تماماً... فكّرت في الأمر، وأرادت بسط جناحيها والتحليق، أو إعادة الساعة إلى الخلف. سيكون الأمر رائعاً لو تستطيع. لكنّ تلك الأيام الرائعة من الحرية انتهت. إنها هنا الآن. لقد نضجت. لم تعد بيركلي أكثر من مجرد ذكرى. وهي الآن صاحبة السمو إلى الأبد.

الفصل 3

صباح يوم الثلاثاء، غادرت كريستيانا القصر في فادوز متوجهة إلى لندن، وتوقفت لرؤية والدها أثناء خروجها. كان منكباً على العمل في مكتبه، يراجع كدسة من المجلدات باهتمام شديد. بدا وكأنه يجري مناقشة جدية ومهمة مع وزير المالية، ولم يكن أي منهما راضياً عن النتيجة. لو بقيت في القصر تلك الليلة، لسألت والدها عن الموضوع. فهي تحب سماع أخبار سياساته وقراراته، والتبديلات في مناصب القصر، والمسائل الاقتصادية التي تبرز. هذا هو السبب الوحيد الذي يجعلها توافق على دراسة العلوم السياسية في السوربون، رغم أنها لم تحسم قرارها بعد في هذا الشأن. أحبت فكرة الخروج من فادوز، لكنّها لم تكن متحمسة للعودة إلى الجامعة، ولا حتى في باريس. أرادت فعل شيء آخر أكثر أهمية للبشرية. إنها مهتمة حالياً بالمؤسسة الخيرية أكثر مما هي مهتمة بالسوربون.

قال لها والدها بحنان: "استمتعي بوقتك"، أوقف هو والوزير مناقشتهما لحظة دخولها إلى الغرفة. لم يكن لدى وزير المال فكرة عن مدى الأخبار التي يتشاركها والدها معها، أو عن مدى ما تعرفه. إنها مطلعة على الشؤون الداخلية للإمارة أكثر من شقيقها، وهي أكثر دراية بها. كل ما أراده فريدي هو قيادة السيارات السريعة، ومطاردة الفتيات، أو حتى النساء الأسرع من الفيراري التي يقودها. "بلغي تحياتي لقريبتنا. ماذا خططت وفيكتوريا، أو هل أريد أصلاً أن أعرف؟" قال لها ممازحاً مع ابتسامة ودودة.

"ربما لا". ابتسمت له. لكنّه لم يكن قلقاً. فمهما كانت الحماقات التي

حضّرتها فيكتوريا، عرف تماماً أن كريستيانا هي فتاة عاقلة جداً. لم يقلق أبداً بشأن ذلك. "سأعود في غضون أسبوع، بابا. سأتصل بك الليلة". عرف أنها ستفعل. إنها تنفذ دوماً ما تقوله، وهي تفعل ذلك منذ أن كانت صغيرة.

"لا تقلقي بشأني. استمتعي بوقتك. يا للعار"، قال بعدها، مدعياً أنه يتذمر. "سوف تفوّتين عشاء رسمياً ليلة الجمعة". عرف كم أن حفلات العشاء مضجرة برأيها.

"هل تريدني أن أعود؟" سألت بجدية، فيما لم تظهر خيبة الأمل على وجهها. لو أرادها أن تفعل ذلك، لعادت من أجله، رغم أن أملها سيخيب بقطع زيارتها إلى لندن. لكن بالنسبة إليهما، يأتي الواجب والمسؤولية في الصدارة، وهما القانون الذي يعيشان وفقه.

"طبعاً لا، أيتها الفتاة السخيفة. لا أفكر في ذلك. امكثي لوقت أطول إذا شئت".

"ربما"، قالت وهي تبدو متفائلة. "ألن تمانع؟"

"امكثي قدر ما تشائين"، طمأنها، فيما عانقته مجدداً، وصافحت الوزير بتهذيب، ثم لوّحت مرة أخيرة لوالدها، وغادرت.

قال له وزير المال، فيما عادا مجدداً إلى العمل: "إنها فتاة لطيفة".

قال هانس جوزف بفخر: "شكراً، نعم، إنها كذلك".

أخذ السائق كريستيانا إلى المطار في زيوريخ مع اثنين من حراسها، وتولى أربعة مسؤولين عن الأمن وضعها في الطائرة.

حين أصبحت على متن الطائرة، بدا جلياً أن شخصاً مهماً يسافر لأن كل المضيفات تحلقن حولها. قدمن لها الشراب، لكنّها رفضت، ومباشرة بعد الإقلاع، أحضرن لها كوباً من الشاي. كان أحد الحارسين يجلس مباشرة قربها، فيما الحارس الآخر في الجهة الأخرى. أثناء الرحلة إلى لندن، قرأت كتاباً عن تطبيق السياسات الاقتصادية كان والدها قد أوصاها به. وبعد ساعة ونصف الساعة، هبطت الطائرة في مطار هيثرو، فيما كانت سيارة ليموزين

في انتظارها. تجاوزت حاجز الجمارك بسرعة، وانضم اثنان من أمن المطار إلى حارسيها، وتولوا جميعاً نقلها إلى الليموزين. انطلقت السيارة بسرعة، وبعد أقل من ساعة، توقفت السيارة أمام منزل فيكتوريا الصغير والأنيق في سلوان سكواير. كانت واحدة من النساء القليلات في لندن اللواتي يملكن ثروة كبيرة، بفضل أمها الأميركية، التي ورثت ثروة ضخمة، وتزوجت من صاحب لقب، وتركت لابنتها ثروة طائلة حين ماتت قبل عامين. كانت فيكتوريا تقضي وقتاً رائعاً مع المال، ولا تكترث أبداً حين يقول الأشخاص عنها إنها مدللة. عرفت أنها كذلك، وهي تستمتع كثيراً لدرجة أنها لم تحرج أبداً من طريقة عيشها المتهورة، وكانت كريمة جداً مع أصدقائها.

فتحت الباب لكريستيانا بنفسها، ووقفت هناك بسروال الجينز الأزرق، وقميص قطني، وحذاء عالي الكعب من جلد التمساح الأحمر، مع قرطين عملاقين في أذنيها، وتاج مذهل موضوع على شعرها الأحمر الساطع. صرخت بقوة لحظة شاهدت قريبتها، وطوقتها بذراعيها، ورافقتها إلى الداخل، فيما تولى حارسا كريستيانا إدخال حقائبها، ووضعها كبير الخدم في الطابق العلوي.

"تبدين مذهلة!"، قالت لكريستيانا فيما انزلق التاج ببطء نحو أذنها، وبدأت كريستيانا تضحك.

"ماذا تفعلين مع هذا الشيء؟ هل كان يجدر بي إحضار تاجي؟ هل سنذهب إلى مكان ما الليلة؟" لم تستطع كريستيانا التفكير في مكان واحد تحتاج لوضع التاج فيه، باستثناء حفلة تقيمها الملكة ربما. ولم تخبرها فيكتوريا عن أي شيء مهم.

"شعرت فقط أنه من الغباء تركه في خزنة المجوهرات. رأيت أن عليّ استعماله. أصبحت أضعه طوال الوقت". هذه هي شخصيتها.

إنها امرأة غريبة، ومتطرفة، وجميلة. إنها طويلة جداً، إذ يصل طولها إلى ستة أقدام تقريباً، وشجاعة تماماً، بحيث تذهب إلى كل مكان وهي تنتعل

كعباً من ستة إنشات. وهي ترتدي إما التنانير القصيرة جداً أو الجينز، وتكون تنانيرها قصيرة لدرجة أنها تبدو مثل الأحزمة. كما ترتدي دوماً قمصاناً شفافة تنسدل هنا وهناك للكشف عن أحد... وعن بشرتها البيضاء القشدية. إنها امرأة شابة رائعة المظهر. احترفت التمثيل وعرض الأزياء لفترة، لكنّها ضجرت، وجرّبت الرسم لبعض الوقت. لقد أجادت ذلك فعلاً، لكنها لم تلتزم أبداً بأي شيء لوقت طويل. عقدت خطوبتها مؤخراً على أمير دانماركي، قال الجميع إنه مفتون بها، لكن بما أن كريستيانا كانت تعرفها جيداً، فلم تكن مقتنعة تماماً بأن الخطوبة ستستمر طويلاً. لقد خطبت فيكتوريا مرتين قبلاً، مرة إلى أميركي ومرة إلى ممثل فرنسي مشهور تركها ليكون برفقة امرأة أخرى، الأمر الذي قالت فيكتوريا إنه صعب جداً. إلا أنها حظيت بصديق جديد في الأسبوع التالي. إنها الشخص الأكثر غرابة الذي عرفته كريستيانا، لكنها تحب قضاء الوقت معها. إنهما تستمتعان دوماً عندما تكونان معاً. فهما تسهران طوال الليل، وتذهبان إلى الحفلات، وترقصان في أنابيل. تلتقي كريستيانا دوماً بأشخاص مثيرين للاهتمام حين تكون معها. تشرب فيكتوريا الكثير من الشراب وتدخن السيجار. وقد أشعلت واحداً فيما جلستا في غرفة الجلوس، التي هي مزيج من الفنّ المعاصر والفنّ القديم. تركت لها أمها عدة لوحات للرسام بيكاسو، وكانت هناك كتب وتحف فنية في كل مكان. شعرت كريستيانا بالفرح لمجرد وجودها معها؛ فهذا نقيض حياتها الهادئة في فادوز مع والدها. والتواجد مع فيكتوريا أشبه بحضور حفلة سيرك من المستوى العالي. لا تعرف أبداً ما الذي سيحصل. كانت مراقبتها تقطع الأنفاس.

تحدثتا لبضع دقائق عن مشاريعهما للأسبوع المقبل. قالت فيكتوريا إن خطيبها في تايلندا في جولة رسمية، وبدا أنها تستفيد كثيراً من ذلك، إذ تخرج للسهر كل ليلة، رغم أنها زعمت أمام كريستيانا أنها متيمة بحبه، وسوف تبقى معه. لكنّ كريستيانا لم تكن واثقة تماماً. وخلال الحديث، ذكرت فيكتوريا أنهما ستتناولان العشاء في قصر كنسنغتون تلك الليلة، مع عدد من أقاربهما، ثم سيذهبون جميعاً للسهر.

رنّ الهاتف عشر مرات خلال حديثهما، وأجابت فيكتوريا عليه بنفسها. كانت تضحك وتمزح، فيما ركض حيوانان وأربعة كلاب صغيرة وكلب شيواو حول الغرفة. لم تعد تقتني الفهد الصياد ولا الأفعى. كان المنزل مثل دار المجانين، وأحبت كريستيانا ذلك؛ إنها تحب زيارتها.

سألت فيكتوريا كريستيانا عن حياتها العاطفية، فيما قدّمت لهما خادمة الغداء بهدوء. تناولتا المحار والسلطة، وهذه حمية جديدة تعتمدها الآن صاحبة الشعر الأحمر والجسم النحيل جداً أصلاً.

"لا أمتلك حياة عاطفية"، قالت كريستيانا وهي تبدو غير منزعجة. "لا يوجد أحد لكي أخرج معه في فادوز. ولا أهتم لذلك". كان هناك شخص أحبته في كاليفورنيا، لكنّ العلاقة انتهت حين عادت إلى القصر، ولم يكن الأمر جدياً وإنما مجرد صحبة جيدة أثناء وجودها هناك. انفصلا وبقيا صديقين جيدين. وكما قال لها قبل أن ترحل، فإن *الصفة الأميرية* كثيرة جداً عليه. في الواقع، إن هذه هي الحال بالنسبة إليها هي أيضاً. إنه عبء كبير عليها تحمله.

"سوف نعثر لك على شخص رائع هنا". إن فكرة فيكتوريا لما هو رائع لا تتطابق تماماً مع فكرة كريستيانا، رغم أنها تعرف بعض الأشخاص الرائعين فعلاً، وتستمتع بوقتها مع معظمهم، لكن ما من أحد تأخذه كريستيانا على محمل الجد. إنهم مجموعة من الأشخاص الغريبي الأطوار عادة. فيكتوريا تعرف كل شخص مهم في لندن، ويتوق جميع الأشخاص الآخرين بشدة للتعرف إليها.

صعدت الشابتان إلى الطابق العلوي بعد الغداء. تولت إحدى خادمات فيكتوريا فتح حقائب كريستيانا، وعلّقت كل شيء بترتيب في الخزانة. أما الباقي فتم وضعه بترتيب في الأدراج. كانت غرفة الضيوف عند فيكتوريا مزينة بنقوش الفهد والحمار الوحشي، مع ورود حمراء في كل مكان. كان كل شيء مصنوعاً من الأقمشة الفرنسية الجميلة، مع كومات من الكتب على كل طاولة، وسرير عملاق. إنها تحب الأشياء الضخمة، وتنجح دوماً في اقتناء

أشياء لا يمتلكها أحد آخر، سواء في الديكور أو في أي شيء آخر. أما غرفة نومها فكانت من ساتان الخزامى الشاحب مع بطانية عملاقة من فرو الثعلب الأبيض على السرير. بدت الغرفة مثل ماخور باهظ جداً، لكن رغم الذوق المزخرف بإسراف، كانت تمتلك تحفاً فنية قديمة رائعة، وكشف كل شيء تملكه عن جودة فائقة. كانت هناك جمجمة فضية كبيرة وزوج من الأصفاد الذهبية على الطاولة قرب سريرها. أما الطاولة نفسها فهي مصنوعة كلها من الكريستال، وكانت تخص قبلاً مهاراجا جايبور.

وفقاً للوعد، ذهبتا في تلك الليلة إلى قصر كنسنغتون لتناول العشاء. حضر العشاء عدد من أقارب كريستيانا الملكيين، وكان الجميع مسرورين لرؤيتها. فهي لم ترَ أياً منهم بعد عودتها من بيركلي في يونيو. بعد العشاء، ذهبوا جميعاً إلى حفلة خاصة، ومرّوا بناديين ليليين، هما كيميا ومونتي، وسهروا في نادي أنابيل حتى نهاية ساعات الصباح الأولى. أحبت كريستيانا كل دقيقة، لكنها بدأت تشعر بالتعب. لا تزال فيكتوريا قوية، بمساعدة كمية كبيرة من المشروب.

كانت الساعة الخامسة فجراً حين عادتا إلى المنزل في سلوان سكواير. صعدت الفتاتان ببطء إلى الطابق العلوي للنوم. بقي حارسا كريستيانا برفقتها طوال الليل، وذهبا إلى غرفتيهما. كانت ليلة نموذجية في حياة فيكتوريا، وواحدة عرفت كريستيانا أنها لن تنساها قبل وقت طويل. في الواقع، إن قضاء الوقت مع فيكتوريا لا ينسى أبداً، وهو مختلف تماماً عن الحياة في فادوز.

كانت بقية الأسبوع مثيرة أيضاً، مع حفلات، وأشخاص، وتسوق، وافتتاح معرض، وجولة مستمرة على حفلات الكوكتيل، والعشاء، والنوادي الليلية، أخيراً، ظهرت صور الفتاتين في الصحافة. كانت فيكتوريا تضع تاجها وترتدي معطفاً من جلد النمر. أما كريستيانا فكانت ترتدي فستاناً أسود، مع سترة من فرو المنك اشترتها في اليوم السابق. لم تعتبر السترة باهظة جداً لأنها عرفت أنه ستتاح لها كثيراً فرصة ارتدائها في القصر. أما الأشياء الأخرى التي

اشترتها فكانت ممتعة بمعظمها، وتوجب عليها شراء حقيبة جديدة لأخذ كل الأغراض معها إلى المنزل. في النهاية، مكثت عشرة أيام، وكانت تحب المكوث لوقت أطول. لكنها شعرت بالذنب لأنها تركت والدها بمفرده. بدت سعيدة ومرتاحة، ومسرورة بزيارتها يوم غادرت، وكرهت فكرة العودة إلى فادوز. طلبت منها فيكتوريا أن تعود إليها سريعاً. فلم تبدأ بعد السهرات للاحتفال بخطوبتها. إنها تنتظر عودة خطيبها من جولته البعيدة.

لم تكف كريستيانا عن التساؤل حول ما إذا كانت عائلته قد أرسلته بعيداً لإلهائه عنها. بالفعل، فيكتوريا ليست الزوجة المثالية لولي عهد، مهما كان مفتوناً بها. وقال كل شخص يعرفها إن العلاقة لن تدوم طويلاً. لكنها كانت تستمتع بإعداد مشاريع الزواج الذي سيحضره ألف شخص. إنه بلا شك زفاف لا تريد كريستيانا تفويته. تعانقت الفتاتان، وقبلتا بعضهما حين غادرت كريستيانا، وما إن عادت إلى فادوز، حتى توجب عليها ارتداء الثياب لحضور عشاء رسمي يقيمه والدها في غرفة الطعام، على أن تليه بعد ذلك حفلة راقصة في قاعة الرقص في القصر.

انضمت إلى والدها في تلك الليلة، وهي ترتدي فستان سهرة من الشيفون الأبيض، وتنتعل صندلاً فضياً عالي الكعب اشترته من لندن. وكما هي الحال دوماً، بدت ناعمة، وأنيقة، وفاتنة. ابتسمت لنفسها وهي تُفكّر في فيكتوريا، فيما نزلت إلى الأسفل للانضمام إلى والدها. تساءلت ماذا سيقول لو وضعت تاجاً مثل قريبتها. بدا ملائماً جداً على فيكتوريا، مع شعرها الأحمر القوي، وتدخينها السيجار. لكنّ كريستيانا شعرت أنها ستبدو سخيفة لو وضعت واحداً من تيجانها، أو متبجحة على الأقل. كانت فيكتوريا تضع تاجها حتى أثناء الفطور، وكلما خرجت من المنزل.

لم تشاهد كريستيانا بعد والدها في الوقت الوجيز الذي عادت فيه إلى القصر. فلقد صعدت مباشرة إلى الأعلى لارتداء ملابسها كي لا تتأخر على العشاء. وكما هي الحال دوماً، كانت بجانبه في الوقت الصحيح تماماً. ابتسم

لها من دون أن يخفي سروره. كان متحمساً لرؤيتها مجدداً، وعانقها لحظة رآها.

سألها باهتمام مباشرة قبل وصول الضيوف، "هل استمتعت في لندن؟"

"كان ذلك رائعاً. شكراً لأنك سمحت لي بالذهاب". اتصلت به مرات عدة، لكنها لم تجرؤ على إخباره بكل ما تفعلانه. عرفت أنه سيقلق، وكان كل شيء غير مؤذٍ. لكنّ محاولة شرح الأمر له ستجعله يبدو غير محتشم. وكان كل شيء على ما يرام. والأفضل من ذلك، كان مذهلاً. كانت قريبتها المضيفة المثالية، بحيث استمتعت كريستيانا بكل دقيقة قضتها هناك.

سألها والدها وهو يبدو مشككاً: "كم هي خطوبتها جادة برأيك هذه المرة؟" فضحكت كريستيانا.

"ربما جدية بقدر المرات السابقة. تقول إنها مجنونة بحبه، وهي تخطط للزفاف. لكنّ لن أشتري الفستان الآن".

"هذا هو رأيي. لا أستطيع تخيلها ملكة الدانمارك يوماً ما، وأنا واثق أن أهل خطيبها لا يتخيلون ذلك أيضاً. لا بد أنهم مذعورون". ضحكت كريستيانا بصوت عالٍ على ما قاله.

"يبدو أنها تتمرن على وضع التاج. فكانت تضع واحداً من تيجان أمها طوال الوقت الذي أمضيته معها. أظن أنها تحدد موضة جديدة".

قال ممازحاً: "كان يجدر بي إرسال واحد من تيجاننا معك"، عرف أن كريستيانا ما كانت لتضعه أبداً.

حينها بدأ الضيوف بالوصول، وكانت سهرة جدية وحذرة جداً. بذلت كريستيانا جهدها في العشاء، وتحدثت إلى صاحبي المقامات الرفيعة اللذين يجلسان على جانبيها. تحدثت إلى الأول بالألمانية وإلى الثاني بالإسبانية. وشعرت بالارتياح للرقص مع والدها في نهاية السهرة.

قال معتذراً: "أخشى ألا تكون السهرة مثيرة كما في لندن"، فابتسمت له. لقد كانت أمسية مملة ومؤلمة بالنسبة إليها، لكنها توقعتها على هذا النحو. لم

يفاجئها الأمر، لكنها تحضر العديد من مثل هذه السهرات لإرضاء والدها. وهو يعرف ذلك، ويتأثر بالجهود التي تبذلها. كانت تنتبه كثيراً لواجباتها الرسمية، مهما كانت مضجرة. لم تتذمر أبداً. عرفت أنه لا جدوى من ذلك، وعليها فعلها على أية حال، وقبلت الأمر.

قالت بكرم: "استمتعت كفاية في لندن مع فيكتوريا، وأستطيع الاستراحة قليلاً"، في الواقع، إنها مرهقة بعد كل السهرات الطويلة التي عاشتها. لا تعرف كيف تفعل فيكتوريا ذلك دوماً بمثابة أسلوب عيش مستمر. إنها مشاركة موسمية في الحفلات في لندن، وتفعل ذلك منذ أعوام. وعلى عكس كريستيانا، لم تذهب أبداً إلى الجامعة. لطالما قالت إنه لا جدوى من ذلك، وعرفت أنها لن تستخدم أي شيء ستتعلمه هناك. اشتركت بدل ذلك في صفوف للفنون، وكانت في الواقع فنانة مقبولة. كانت تحب خصوصاً رسم الكلاب المرتدية ثياباً مثل الأشخاص. وثمة متجر في نايتسبريدج يبيع لوحاتها بأسعار خيالية.

عاد ضيوف القصر في فادوز إلى منازلهم قبل حلول منتصف الليل، ولحقت كريستيانا بوالدها ببطء إلى الأعلى. وصلا إلى الباب المؤدي إلى جناح كريستيانا حين جاء أحد مساعدي الأمير يبحث عنه. بدا وكأن الأمر ملح جداً، والتفت الأمير هانس جوزف نحوه مقطباً حاجبيه، منتظراً لسماع الخبر.

"صاحب السمو، تلقينا تقريراً عن هجوم إرهابي في روسيا. يبدو أنه احتجاز خطير لرهائن، وهو مماثل لذلك الذي حصل في بيسلان قبل أعوام عدة. يبدو أنه نسخة مطابقة تماماً. ظننت أنك قد ترغب في مشاهدة ذلك على محطة السي أن أن. لقد قتل العديد من الرهائن لغاية الآن، وكلهم من الأولاد". دخل الأمير بسرعة إلى غرفة جلوس كريستيانا، وشغّل التلفاز. جلسوا ثلاثتهم للمشاهدة بصمت. شاهدوا أشياء مرعبة؛ أولاد أصيبوا بالرصاص وينزفون، فيما أولاد آخرون ينقلون إلى خارج المبنى، وقد فارقوا الحياة. تم احتجاز ألف ولد تقريباً وأكثر من مئتي شخص كبير. لقد استولى المهاجمون على مدرسة، وأرادوا إطلاق سراح سجناء سياسيين مقابل الإفراج عن الأولاد. أحاط الجيش

بالمكان، وعمّت الفوضى في كل مكان، فيما الأهل يبكون خارجاً، وينتظرون أخباراً عن أولادهم. شاهد الأمير الخبر بحزن، وحدّقت كريستيانا برعب. إنه مشهد مروّع. جلسا يشاهدان الأخبار طوال ساعتين، ثم نهض الأمير للذهاب إلى سريره. وكان مساعده قد غادر قبل وقت.

قال والدها بصوت حنون: "يا له من شيء مريع، كل هؤلاء الأهل المساكين ينتظرون أولادهم. لا أستطيع تخيل كابوس أسوأ"، قال ذلك فيما كان يعانقها.

قالت كريستيانا بهدوء: "ولا أنا"، وهي لا تزال ترتدي فستان الشيفون الأبيض والصندل الفضي. بكت مرات عدة فيما كانت تشاهد التلفاز، وبكى والدها هو أيضاً. "أشعر أنني عديمة الجدوى وأنا جالسة هنا، مرتدية ثيابي وعاجزة عن مساعدتهم"، قالت كما لو أنها تشعر بالذنب، وعانقها مجدداً.

"ما من شيء يستطيع أحد فعله إلى أن يخرج الأولاد من هناك. سيكون هناك حمام دم إذا دخل الجيش إلى المدرسة". كانت فكرة ذلك مزعجة جداً، ومسحت كريستيانا عينيها. لقد قتل المهاجمون عشرات الأولاد. وكانت حصيلة القتلى قد ارتفعت إلى مئة ولدٍ تقريباً حين أغلقوا التلفاز. "هذا أسوأ شيء رأيته منذ بيسلان". قبّلا بعضهما، وتمنيا لبعضهما ليلة سعيدة، وذهبت كريستيانا لنزع ثيابها، وارتداء ثوب النوم. بعد برهة، وفيما كانت في السرير، شعرت بضرورة تشغيل التلفاز مجدداً. أصبح الوضع حينها أسوأ، وقتل المزيد من الأولاد. كان الأهل مسعورين، والصحافة في كل مكان، والجنود يتحركون في مجموعات وينتظرون التعليمات لما يجب فعله. كانت مشاهدة ذلك آسرة ومرعبة. كان من السهل تخمين وقوع المزيد من الضحايا مع تقدم الليل.

في النهاية، استلقت مستيقظة طوال الليل وشاهدت ذلك. وفي الصباح، ظهرت الهالات الداكنة تحت عينيها بسبب المرات العديدة التي بكت فيها وقلة النوم. نهضت أخيراً من السرير، وأخذت حماماً، وارتدت ثيابها، ووجدت والدها يتناول الفطور في مكتبه. كانت ترتدي كنزة سميكة وسروال جينز حين

دخلت. أجرت عدداً من الاتصالات الهاتفية قبل أن تذهب للبحث عنه. وحين وجدته، رأته حزيناً جداً بقدرها هي. لقد تضاعف عدد القتلى الآن، وكلهم تقريباً من الأولاد. ومثلما كان نصف العالم يفعل، شغّل والدها التلفاز وكان يشاهد الأخبار حين دخلت. لم يلمس أي شيء من طعامه. ومن يستطيع الأكل؟

"إلى أين تذهبين في هذه الساعة وأنت ترتدين كل ثيابك؟" سألها وهو يبدو قلقاً. صحيح أن اليشتنشتاين لا تستطيع تأدية أي دور رسمي هنا، لكنّ مشاهدة المأساة تتفاقم جعلت كل شخص يشعر بالغضب والحزن. هذا ليس فيلماً سينمائياً يعرض على التلفاز. إنه مأساة حقيقية.

قالت كريستيانا بهدوء فيما غاصت عيناها في عينيه: "أريد الذهاب إلى هناك، بابا".

"ليس لدينا أية علاقة رسمية في هذا الوضع"، شرح لها. "نحن بلد حيادي، ولا نمتلك أي سبب للعمل مع روسيا لحل هذه الأزمة، ولا نمتلك فريقاً مضاداً لمثل هذا النوع من العمليات".

قالت بوضوح: "لا أقصد الذهاب ضمن فريق رسمي. أريد الذهاب لوحدي".

"أنت؟ وكيف يمكنك الذهاب من دون فريق رسمي، علماً أننا لا نمتلك واحداً هناك".

"أريد فقط الذهاب بصفتي إنسانة تريد مساعدة الآخرين. لا حاجة لأن يعرفوا من أكون".

فكّر في الأمر لبرهة طويلة، وهو يقيّم الوضع. إنها فكرة نبيلة، لكنه لا يظنها فكرة جيدة. فالأمر خطيرٌ جداً عليها. من يعرف ما قد يفعله المهاجمون لاحقاً، خصوصاً إذا وجدوا أميرة شابة وغنية بينهم؟ لا يريدها أن تكون هناك.

"أفهم مشاعرك، كريستيانا. أنا أرغب في مساعدتهم أيضاً. إنه وضع مأساوي جداً. لكن على الصعيد الرسمي، نحن لا ننتمي إلى هناك، وعلى الصعيد الشخصي، سيكون الأمر خطراً جداً بالنسبة إليك". بدا حزيناً فيما قال ذلك.

قالت كريستيانا بهدوء: "أنا ذاهبة، بابا"، هذه المرة، لم تكن تسأله، وإنما تخبره. لم يفهم ذلك من كلماتها فقط، وإنما أيضاً من نبرة صوتها. "أريد أن أكون هناك لفعل أي شيء أستطيعه، حتى لو اقتصر ذلك على تسليم البطانيات، أو صبّ القهوة، أو المساعدة في حفر القبور. الصليب الأحمر موجود هناك. أستطيع التطوع للعمل معه". كانت تقصد ذلك فعلاً. عرف ذلك. رأى فجأة أنه من الصعب إيقافها، لكنه عرف أن عليه المحاولة، بأكبر لطاقة ممكنة.

"لا أريدك أن تذهبي". هذا كل ما استطاع قوله. لاحظ بسهولة كم هي مضطربة. "المكان خطر جداً كريكي".

"عليّ الذهاب، بابا. لا أستطيع الجلوس هنا أكثر، وأشعر أنني عديمة الجدوى، وأشاهد كل ذلك على التلفاز. سوف آخذ أحداً معي إذا شئت". بدا واضحاً من نظرة عينيها ومما تقوله له أنها تشعر بعدم وجود أي خيار آخر أمامها.

"وإذا قلت لا؟" لا يستطيع تكبيلها وحملها إلى غرفتها. إنها امرأة ناضجة، لكنه مصرّ على عدم السماح لها بالذهاب.

قالت مجدداً: "أنا ذاهبة بابا، لا يمكنك منعي. هذا هو الشيء الصحيح الواجب فعله". إنه كذلك. ولكن ليس لها. كان يحب الذهاب هو أيضاً، لكنه تجاوز مرحلة اندفاع الشباب، وأصبح كبيراً جداً على المجازفة.

قال برفق: "إنه الشيء الصحيح، كريكي، ولكن ليس لك. الأمر خطر جداً. إذا عرفوا من تكونين، فقد يأخذونك رهينة أنت أيضاً. لا أظن أن المهاجمين يحترمون الدول الحيادية أكثر من بقية الدول. لا تتناقشي معي أرجوك بشأن هذه المسألة". هزّت رأسها حينها، وقد خاب أملها من ردّة فعله. لكنه شعر أنه مجبر على حمايتها من نفسها. قال بحزم: "لديك مسؤولية تجاه شعبنا هنا"، جرّب كل شيء يستطيعه. "قد تتعرضين للقتل أو الأذى. بالإضافة إلى ذلك، لا تملكين أية مهارات تقنية أو طبية لتقديمها. في بعض الأحيان،

يزيد المدنيون غير المدربين، مهما كانت نواياهم حسنة، من سوء هذه الأوضاع. كريستيانا، أعرف أن نيتك جيدة، لكنني لا أريدك أن تفعلي ذلك". اتقدت عيناه حين نظر في عينيها.

قالت بغضب، فيما الدموع تتلألأ في عينيها: "كيف يمكنك قول ذلك؟ انظر إلى هؤلاء الأشخاص، بابا. أولادهم يموتون ويقتلون. وقد يموت اليوم المزيد منهم أيضاً. عليّ الذهاب إلى هناك. لا بد أنني أستطيع فعل شيء مفيد. لن أجلس هنا، وأكتفي بمشاهدة التلفاز. ليس هذا ما علمتني إياه". كانت تمزّق قلبه، أكثر مما تظن. إنها دوماً كذلك.

قال بغضب هو أيضاً: "لم أعلمك المجازفة بحياتك بطريقة حمقاء، بحق الله"، لن يسمح لها بالتمرّد عليه في هذه المسألة، مهما حاولت. لا يزال الجواب هو لا. لكنّ المشكلة هي أنها لا تسأله، وإنما تخبره. لا يوجد خيار آخر برأي كريستيانا.

"علمتني الشرف والشجاعة والرفاهة بابا. علمتني أن أهتم بالآخرين وأكون مسؤولة عنهم. علمتني الذهاب إلى المحتاجين وفعل كل ما باستطاعتي لمساعدتهم. ماذا حصل للشرف، والشجاعة، والرفاهة؛ لشعارك العائلي؟ أخبرتني أن حياتنا مكرّسة للواجب والمسؤولية تجاه كل الذين يحتاجون إلينا، مهما تطلب ذلك من شجاعة، وأن أدافع عما أؤمن به. انظر إلى هؤلاء الأشخاص بابا. إنهم بحاجة إلينا. سوف أفعل ما باستطاعتي لأجلهم. هذا ما علّمتني إياه منذ أن كنت فتاة صغيرة. لا يمكنك تغيير ذلك الآن لأنك لا تريدني أن أذهب إلى هناك".

"لا يبقى الأمر هو نفسه عند وجود مهاجمين إرهابيين. إنهم لا يلتزمون بالقواعد". نظر إليها بائساً، فيما توسلتها عيناه لعدم الذهاب. ثم جعلته يبكي حين أدارت له وجهها، وقبلت وجنته. "أحبك بابا. سأكون على ما يرام. أعدك. سأتصل بك حين أستطيع". لاحظ عندئذ أن اثنين من حراسها الشخصيين يقفان في الممشى، ويرتديان ثياباً سميكة. لقد رتبت أمر سفرها معهما، حتى قبل أن

تأتي لرؤيته. كانت تقصد كل كلمة قالتها. وعرف حينها أنه إذا لم يكبحها جسدياً، فسوف تذهب مع إذنه أو من دونه. أحنى رأسه لبرهة، ثم رفعه مجدداً للنظر إليها.

قال بصوت أجش: "كوني حذرة جداً"، ثم نظر إلى الحارسين والبغض في عينيه. إنه الأمير الحاكم، وحتى لو تحدثه كريستيانا، عرف الرجلان أنهما سيدفعان الثمن غالياً إذا حصل لها شيء ما. "لا تدعاها تغيب عن نظركما ولو لدقيقة. هل تفهمان ذلك؟ أنتما الاثنان؟"

قالا بسرعة: "نعم نفهم يا صاحب السمو"، نادراً ما يغضب، لكنه غاضب الآن. في الواقع، لم يكن غاضباً وإنما قلقاً. والأكثر من ذلك، كان خائفاً جداً عليها. لا يستطيع تحمل خسارة هذه الابنة التي أحبها كثيراً. ومجرد التفكير في ذلك جعله يدرك شعور أولئك الأشخاص الذين يفقدون أولادهم فيما المهاجمون يقتلونهم الواحد تلو الآخر، بهدف إخراج أصدقائهم من السجن. إنها مقايضة جنود بأولاد، مقايضة مرعبة، ووضع مستحيل بالنسبة إلى كل المعنيين. وحين فكّر في الأمر مجدداً، عرف أنها محقة. لم يحب تصرفها، لكنه أعجب بشجاعتها ورغبتها في الذهاب. إنها تنفذ ما علمها إياه بالضبط: التخلي عن حياتها إذا دعت الحاجة لخدمة الآخرين. بطريقة غير مباشرة، كانت رغبتها في الذهاب إلى هناك غلطته هو.

بعدما عادت كريستيانا إلى غرفتها لإحضار حقيبتها، رافقها والدها مع الحارسين الشخصيين إلى السيارة.

قال فيما عانقها، والدموع في عينيه: "ليكن الله معك".

قالت بهدوء: "أحبك بابا، لا تقلق بشأني. سأكون بخير".

جلست حينها في السيارة مع الرجلين. كانوا هم الثلاثة يرتدون جزمات، وسترات سميكة. لقد اتصلت لحجز مقاعد في الطائرة قبل ساعات عدة. إنها تنوي العثور على الصليب الأحمر والتطوع فيه ما إن تصل إلى هناك. لقد رأت على شبكة السي أن أن أنهم في مسرح الحدث، يفعلون ما بوسعهم.

وقف الأمير يراقب حتى اختفت السيارة خارج البوابة. فتحت النافذة، ولوّحت له بابتسامة منتصرة. أرسلت له قبلة في الهواء، وقالت له أحبك، ثم انعطفت السيارة، واختفوا. عاد إلى القصر فيما رأسه محني. كان حزيناً جداً لذهابها، لكنه عرف أنه لم يكن بوسعه فعل أي شيء لمنعها. فهي ستذهب على أية حال. وكل ما يستطيع فعله الآن هو الدعاء لسلامتها وعودتها بالسلامة. إنه معجب بها من كل قلبه، أكثر مما تعرف هي. إنها امرأة شابة مميزة، وحين دخل إلى مكتبه، شعر أن عمره ألف سنة.

الفصل 4

توجهت كريستيانا مع حارسيها إلى زيوريخ، وطاروا من هناك إلى فيينا، حيث استقلوا رحلة إلى تبليسي في جورجيا، واستمرت الرحلة خمس ساعات ونصف الساعة.

هبطوا في تبليسي في الساعة السابعة من تلك الليلة، وبعد نصف ساعة، استقلوا طائرة قديمة وبالية إلى فلاديكافكاز في الأرض الجنوبية الروسية لشمال أوسيتيا. كانت الطائرة مزدحمة، وبدا داخلها رثاً وسيىء الصيانة، وارتعدت الطائرة بوضوح أثناء الإقلاع. كان يوماً طويلاً في الطائرة الأولى، وبدوا هم الثلاثة متعبين حين استقلوا الرحلة الأخيرة مباشرة قبل الساعة التاسعة من تلك الليلة.

الحارسان اللذان أحضرتهما معها هما من أصغر حراسها. كلاهما تدرب في الجيش السويسري، وخدم أحدهما قبلاً في الكومندوس. لقد اختارت الرجلين الصحيحين لمرافقتها.

لم تكن لديها فكرة عما ستجده حين تصل إلى ديغورا، وإلى أين سيذهبون، على مسافة ثلاثين ميلاً من فلاديكافكاز، حيث هبطوا. لم تحضر كريستيانا ترتيبات مسبقة قبل الرحلة. سوف تبحث عن الصليب الأحمر ما إن يصلوا إلى مسرح الاختطاف في ديغورا، وتعرض عليهم أية مساعدة يحتاجونها. تفترض أنه يسمح بوجودهم في مسرح الحدث، وتأمل في أن تكون محقة. لا تخاف مما قد يحدث، ولم تبذل أية جهود لتوفير مكان آمن للإقامة فيه أو حجز غرفة في فندق. أرادت العمل في مكان الحدث، على مدار

الساعة، عند الضرورة. كانت مستعدة للوقوف ساعات طويلة على قدميها، من دون نوم، لمساعدة الأهل المسعورين أو الأولاد المجروحين. لقد تدربت على الإسعافات الأولية في الجامعة، لكنها سوى ذلك لا تمتلك أية مهارات محددة، غير القلب الطيب واليدين الراغبتين في العمل. ورغم تحذيرات والدها الكثيرة، لم تكن خائفة من المخاطر المحتملة التي قد تصادفها. أرادت المجازفة وهي واثقة من أن الخطر قليل بالنسبة إلى الموجودين خارج المدرسة التي استولى عليها المهاجمون. على أية حال، أرادت أن تكون هنا. وعرفت أن حارسيها سيحميانها، ولذلك شعرت بالأمان.

بدأت مشكلتها الأولى مع عقبة غير متوقعة حصلت عند اجتيازها قسم الجوازات في المطار. سلّم أحد الحارسين جوازات السفر الثلاثة لمسؤول الأمن. وكان اتفاقها معهما ألا يكشفا عن هويتها الملكية أياً كانت الظروف حين يصلون إلى روسيا. لم تتوقع حصول مشكلة قبل ذلك، وصدمت حين حدّق مسؤول الأمن في جواز سفرها طويلاً، ومن ثم فيها. كانت الصورة تشبهها جداً، ولا شك إذاً في أن المشكلة مختلفة.

"هل هذه أنت؟" سأل وهو يبدو عدائياً قليلاً. تحدث إليها بالألمانية بعدما سمعها تتحدث إلى أحد الحارسين بالألمانية وإلى الثاني بالفرنسية. أومأت رأسها إيجاباً، ناسية الفرق بين جوازيّ سفرهما وجواز سفرها هي.

"الاسم؟" وعرفت حينها ما هي المشكلة.

" كريستيانا"، قالت بهدوء. ثمة اسم واحد فقط على جواز سفرها، اسمها الأول، وهذه هي حال كل أفراد العائلات المالكة. الملكة إليزابيت في إنكلترا، الأميرة مايكل في كنت، والتي هي ماري كريستين. كل جوازات السفر الخاصة بأفراد العائلات المالكة في كل الدول تحمل فقط الاسم الأول، من دون لقب أو شهرة. بدا مسؤول الأمن الروسي غاضباً ومرتبكاً.

"لا اسم لك؟" ترددت قليلاً ثم سلمته رسالة موجزة أصدرتها لها حكومة اليشتنشتاين تشرح فيها ظروف جواز سفرها، وهويتها الكاملة على أنها

صاحبة السمو في الإمارة. احتاجت إلى هذه الورقة حين كانت تدرس في كاليفورنيا وواجهت مشاكل مماثلة مع قسم جوازات السفر الأميركية. كانت الرسالة الرسمية مكتوبة بالانكليزية، والألمانية، والفرنسية وهي تحتفظ بها في حقيبة سفرها مع جواز السفر. كانت تكشف عنها فقط عند الحاجة. قرأ الرسالة بانتباه، ونظر إليها مرتين، ثم إلى الحارسين، ومجدداً إليها. "إلى أين تذهبين آنستي الأميرة؟" حاولت ألا تبتسم. لم يكن معتاداً على ما يبدو على الألقاب، خصوصاً وأنه ترعرع في دولة شيوعية، لكنه بدا متأثراً قليلاً. أخبرته عن مقصدهم، فأومأ برأسه مجدداً، وختم على جوازات السفر، وأشار لهم بالمضي قدماً. بلدها هو بلد حيادي، مثل سويسرا، مما فتح لها غالباً أبواباً تعجز جوازات السفر الأخرى عن فتحها. وكان لقبها يساعدها عادة. لم يطرح عليهم أي سؤال آخر، ذهبوا إلى مكتب لتأجير السيارات، ووقفوا في الصف نصف ساعة مع الآخرين.

كانوا هم الثلاثة حينها يتضورون جوعاً، وسلمت كريستيانا الرجلين علبة صغيرة من البسكويت وقنينتين من الماء كانت قد وضعتهما في حقيبة ظهرها. كما فتحت قنينة ماء ثالثة لنفسها. بدا الوقت بمثابة دهر حتى وصل دورهم. وحين جاء دورهم أخيراً، كل ما كان متوافراً هو سيارة يوغو عمرها عشر سنوات وبسعر باهظ جداً. وافقت كريستيانا على استئجارها، لأنه لا يوجد خيار آخر، وسلّمت بطاقة اعتمادها للموظفة، علماً أن هذه البطاقة لا تحمل أيضاً اسم شهرتها. سألتها المرأة ما إذا كانت تحمل مالاً نقدياً. لقد أحضرت كريستيانا معها بعض المال، لكنها لا تريد دفعه في وقت مبكر من الرحلة، ووافقت المرأة أخيراً على قبول بطاقة الاعتماد بعد أن عرضت عليها سعراً أفضل فيما لو أرادت الدفع نقداً، لكنّ كريستيانا رفضت.

وقّعت على الأوراق، وأخذت مفاتيح السيارة، وطلبت خريطة. بعد عشر دقائق، خرجت هي والحارسان، صاموئيل وماكس، إلى المرآب للعثور على السيارة. كانت صغيرة جداً، وبدت مهترئة. بالكاد دخل الرجلان إلى السيارة،

فيما جلست كريستيانا بسهولة في المقعد الخلفي مع حقيبة ظهرها، شاكرة الله لأنها صغيرة القامة. أدار صاموئيل السيارة، فيما فتح ماكس الخريطة. وحسب ما قالته المرأة في مكتب تأجير السيارات، عليهم قيادة السيارة ثلاثين ميلاً، وقد يصلون في الحادية عشرة من تلك الليلة. كان صاموئيل يقود السيارة، علماً أنهما بعد خروجهم إلى مرآب السيارات، أخرجا أسلحتهما من الحقيبة التي أحضراها وجعلاها جاهزة للاستعمال. وضع ماكس الذخيرة في كل الأسلحة، فيما انطلقت السيارة من المرآب، وراقبت كريستيانا ما يجري. لا تخاف من المسدسات، وقد اعتادت عليها طوال حياتها. لا ينفعها حراسها من دون الأسلحة. كما أنها تعلمت استعمال الأسلحة بنفسها، وهي رامية ماهرة، أكثر من شقيقها، الذي وجد الأسلحة عدائية، رغم أنه أحب الجوانب الاجتماعية لصيد الطيور، وكان يذهب إليها غالباً.

كانوا يتضورون جوعاً حين غادروا المطار، وتوقفوا لتناول العشاء في منتصف الطريق في مطعم صغير على جانب الطريق. تحدث صاموئيل بضع كلمات بالروسية، لكنهم أشاروا في أغلب الأحيان إلى ما يأكله الآخرون، وانتهوا بوجبة بسيطة. بقية زبائن المطعم كانوا بمعظمهم من سائقي الشاحنات، الذين يسافرون في الليل، ولذلك كانت الجميلة الشقراء والرجلان القويان ملحوظين بشدة بين المجموعة. وكانوا سيلفتون الانتباه أكثر إليهم لو تخيل أحد الموجودين أنها أميرة. لكنها كانت تبدو مثل أي شابة جميلة، في سروال الجينز، والجزمة الطويلة التي اشترتها في بيركلي، والكنزة السميكة، والمعطف الرياضي. كان شعرها الأشقر مربوطاً إلى الخلف. ارتدى الرجلان الثياب نفسها، وكانت طلتهما عسكرية. يسهل على الآخرين التخمين أنهما من رجال الأمن، لكن لم يسألهما أحد هنا. بعد تناول الطعام، دفعوا ثمنه، وتابعوا طريقهم. لاحظوا على الطريق وجود عدد من الباصات الصغيرة ماركة دايوو والتي كانت تستعمل بمثابة سيارات أجرة مشتركة، ويطلق عليها اسم "مارشروتكا"، وحسبما علمت كريستيانا لاحقاً؛ إنها وسيلة مستحسنة للنقل.

بما أنهم عجزوا عن قراءة الإشارات وارتبكوا بالخريطة، سلكوا عدة طرق خاطئة، ووصلوا إلى مقصدهم قرابة منتصف الليل. أوقفوا بسرعة من قبل حاجز بشري تمثل في جنود روس يرتدون بذلات مكافحة الشغب. كانوا يضعون الخوذات، والأقنعة على الوجوه، ويحملون البنادق، فيما سألوا عن سبب وجود كريستيانا ومرافقيها هنا. تحدثت كريستيانا من مقعدها الخلفي وقالت بالألمانية إنهم يبحثون عن مندوبي الصليب الأحمر بهدف العمل معهم. تردد الخفير قليلاً، وطلب منهم بلغة ألمانية عرجاء الانتظار، ثم استشار رؤساءه الذين كانوا يتحاورون على بعد مسافة قصيرة. تحدث واحد منهم إليه، ثم اقترب بنفسه من السيارة.

"هل تعملون مع الصليب الأحمر؟" سأل وهو يقطب حاجبيه أمامهم، وينظر إليهم بريبة. لم يكن واثقاً من هوياتهم، لكنهم لا يبدون إرهابيين بالنسبة إليه. لديه حاسة سادسة بالنسبة لذلك، وقد قالت له هذه الحاسة إن الثلاثة الموجودين في سيارة اليوغو هم هنا للسبب الذي أعلنوه.

"نحن متطوعون"، قالت كريستيانا بوضوح، فتردد وتابع التحقيق فيهم. لم يرَ أي شيء ينذره بالخطر.

"من أين أتيتم؟" فآخر شيء يريده هو سوّاح يتجولون في الفوضى التي أصبحت بين أيديهم. بدا الرجل متعباً، تماماً مثل الرجل الأول الذي تحدثوا إليه. إنه اليوم الثاني من الحصار، وقتل عشرة أولاد إضافيون بعد ظهر هذا اليوم، وتم دفنهم في ملعب المدرسة، الأمر الذي أحبط معنويات الجميع. وقتل ولدان آخران كانا يحاولان الهرب. كان الوضع كله نسخة مطابقة لأزمة الرهائن المريعة التي حصلت قبل أعوام عدة في بيسلان، في المنطقة نفسها من شمال أوسيتيا. كان الوضع نسخة طبق الأصل تقريباً، وإنما على صعيد أصغر. إلا أن عدد القتلى يرتفع كل يوم، ولم تنته الأزمة بعد.

قالت بوضوح: "نحن من الليشتنشتاين، أنا من هناك، فيما الرجلان من سويسرا. كلنا حياديون"، ذكّرته، وأومأ هو برأسه مجدداً. ليست لديها فكرة ما

إذا كان هذا سيشكل فرقاً أم لا، لكنها رأت أنه من غير المضرّ تذكيره.

"جوازات السفر؟" أعطاه الحارس الجالس وراء المقود الجوازات، وكانت له ردّة الفعل نفسها مثل المسؤول عن الجوازات حين شاهد جواز سفر كريستيانا. "لا تملكين شهرةً"، قال لها، وهو يبدو منزعجاً، كما لو أنها ارتكبت خطأً في مكتب جوازات السفر حين حصلت على جوازها. إلا أنها لم تشأ إعطاءه الورقة هذه المرة، إذ لا تريد أن يعرف الأشخاص الموجودون في المنطقة أنها هنا، ويحدثون جلبة بسبب ذلك.

"أعرف. يحصل ذلك في بلادي أحياناً. مع النساء"، أضافت لكنه بقي غير مقتنع وبدأ يصبح مشككاً. عليه أن يكون كذلك نظراً لما يجري. أعطته الورقة على مضض. قرأ الورقة بعناية، وحدّق فيها، ومن ثم في الرجلين، ومجدداً فيها، ثم نظر إليها بإعجاب وذهول. "أميرة ملكية؟" بدا مذهولاً تماماً. "هنا؟ للعمل مع الصليب الأحمر؟"

شرحت له، "أتمنى أن ننجح. هذا ما جئنا لفعله". صافح الضابط حينها الحارسين، وأخبرهم أين يستطيعون العثور على الصليب الأحمر، وسلّمهم تصريحاً، وأشار لهم للمضي قدماً. كان أمراً غير اعتيادي أن يسمح لهم بالنفاذ إلى مسرح اختطاف، وشعرت كريستيانا أنها لو لم تكن أميرة، لما سمح لهم بالمرور. احترمها الضابط تماماً مثلما احترم الرجلين المرافقين لها في روسيا. فقد أعطاهم حتى اسم الشخص المسؤول. وقبل أن يتابعوا سيرهم، طلبت منه كريستيانا بهدوء ألا يخبر أحداً بمن تكون. وقالت له إنها ستكون ممتنة كثيراً إذا لم يفعل. أومأ برأسه، وهو لا يزال يبدو مذهولاً فيما تابعوا هم سيرهم. أملت أن يبقى كتوماً. فمعرفة الآخرين لهويتها ستفسد كل شيء لها، أو على الأقل ستجعله صعباً. جهل هويتها في هذه الظروف أسهل كثيراً بالنسبة إليها. وإذا اكتشفت الصحافة وجودها، سوف تلاحقها في كل مكان، وقد تضطر حينها للرحيل. وهذا آخر شيء تريده. فهي تريد أن تكون مفيدة، لا تريد أن تكون سبباً لجنون صحافي تشكل هي محوره.

حين اقتربوا من المدرسة، كانت هناك مجموعات من الشرطة، وحواجز عسكرية، وشرطة لمكافحة الشغب، ومجموعات كومندوس، وجنود مع بنادق في كل مكان. لكن بعد أن اجتازوا الحاجز الأساسي، لم يتم التدقيق عن كثب في هوياتهم. بالفعل، كان ينظر إلى جوازات سفرهم بسرعة من دون التدقيق فيها ملياً. كانوا ينظرون إلى التصاريح المعطاة لهم، ثم يومئون برؤوسهم. معظم المدنيين الذين رأوهم كانوا يبكون، وهم أهل أو أقارب الأولاد، والأساتذة الذين لا يزالون محتجزين في الداخل. كان المشهد مماثلاً تماماً لوضع الاختطاف في بيسلان بحيث يصعب التصديق أن حادثاً مماثلاً حصل مجدداً، وفي البلد نفسه. أخيراً، وبعد البحث المكثف والمرور أمام أسطول من سيارات الإسعاف، وجدوا أربع شاحنات كبيرة للصليب الأحمر، مع مجموعة كبيرة من الأشخاص يعملون داخلها، ويرتدون عصابات اليد الحمراء والبيضاء المألوفة في الصليب الأحمر للتعريف عن أنفسهم وسط الجموع. كان العديد منهم يحملون أولاداً. كانوا يقدمون القهوة، ويهدئون من روع الأهل المذعورين، ويقفون بهدوء وسط الجموع الغفيرة.

ما إن رأتهم، حتى خرجت كريستيانا من السيارة، ولحق بها عن كثب صاموئيل، الحارس المدرب في الكومندوس، فيما ذهب ماكس لركن السيارة في حقل مخصص للعائلات والصحافة. كانت السيارة صغيرة جداً عليهم، لكنها نجحت على الأقل في إيصالهم إلى هنا. سألت كريستيانا عن الاسم الذي أعطاهم إياه الضابط المسؤول عند الحاجز، وتم إرشادها إلى مجموعة من الكراسي موجودة قرب إحدى الشاحنات. رأت امرأة تجلس على كرسي أبيض، وتتحدث إلى مجموعة من النساء باللغة الروسية. كانت تحاول طمأنتهم قدر المستطاع. لم يكن بالإمكان رؤية ما يجري في الداخل، باستثناء الحركة المستمرة للجنود الواقفين بتأهب وجهوزية. وكانت كل النساء الروسيات ينتحبن بكاء. لم تشأ كريستيانا المقاطعة، ووقفت صامتة جانباً، منتظرة انتهاء المرأة الكبيرة من حديثها إليهنّ. عرفت أنه قد تمضي ساعات طويلة قبل أن

تتاح للمرأة فرصة الحديث معهم. وقفت كريستيانا بصبر إلى أن لاحظت المرأة المسؤولة عن فريق الصليب الأحمر وجودها، فنظرت إليها وبدا السؤال في عينيها.

"هل تنتظرينني؟" سألت المرأة بالروسية، وهي تبدو متفاجئة.

"نعم"، أجابت كريستيانا بالألمانية، على أمل أن تتمكنا من العثور على لغة مشتركة. في مثل هذه الحالات، تستخدم اللغة الانكليزية أو الفرنسية عادة، وهي تجيد اللغتين معاً. "أستطيع الانتظار". فهي لن تذهب إلى أي مكان ولم تشأ المقاطعة. استأذنت المسؤولة في الصليب الأحمر من بقية النساء، وربتت على كتف امرأة لمواساتها، ثم جاءت إلى حيث تقف كريستيانا.

"نعم؟" بدا جلياً أن كريستيانا ليست من المنطقة وليست من أهل الرهائن. بدت نظيفة جداً، مظهرها غير أشعث كثيراً، ولا تزال ثيابها نظيفة، ولا تمتلك الهيئة المنهكة التي سيطرت على جميع الأشخاص الموجودين حولهم. فعبء مشاهدة الأحداث ألقى بثقله عليهم جميعاً. حتى الجنود بكوا حين كانوا يخرجون جثث الأولاد الذين قتلوا.

"أودّ التطوع"، قالت كريستيانا بهدوء، وهي تبدو هادئة، ومسيطرة على نفسها، وبارعة في طريقة مخاطبتها للمرأة المسؤولة، التي لا تمتلك أدنى فكرة عمن تكون.

"هل تملكين بطاقة انتساب إلى الصليب الأحمر؟" سألت المرأة. قررتا استعمال اللغة الفرنسية. بدت المرأة المسؤولة، وكأنها عاشت الحروب، وهي فعلاً كذلك. لقد ساعدت في لف جثث الأولاد القتلى، وهدأت من روع الأهل الذين بكوا بين ذراعيها طوال يومين، وضمدت الجروح إلى حين وصول المسعفين. لقد فعلت كل شيء ممكن منذ وصولها إلى هنا بعد مرور ساعتين فقط على الهجوم، وقدّمت حتى القهوة للجنود المرهقين الذين يبكون.

شرحت كريستيانا: "لست عاملة في الصليب الأحمر، جئت اليوم إلى هنا من اليشتنشتاين مع اثنين من... أصدقائي..". ألقت نظرة خاطفة فيما وقف

الرجلان وراءها. إذا دعت الحاجة، سوف تتطوع على أنها مبعوثة إنسانية لبلدها، لكنها تفضل كثيراً فعل ذلك بطريقة يكونون فيها غافلين عن هويتها، إذا سمحوا لها بالمساعدة على هذا الأساس. لكنها ليست واثقة من ذلك. ترددت المرأة المتقدمة في العمر، ونظرت إلى كريستيانا بتمعن.

"هل أستطيع رؤية جواز سفرك؟" سألت بهدوء. ثمة شيء في عينيّ المرأة أوحى لكريستيانا بأنها عرفت من تكون. فتحت جواز السفر، وألقت نظرة خاطفة على اسم كريستيانا، ثم أغلقت جواز السفر مجدداً وأعادته إليها مع ابتسامة. إنها تعرف تماماً من تكون كريستيانا. "لقد عملت مع بعض أقاربك البريطانيين في الدول الأفريقية". لم تذكر أسماءهم، فيما أومأت كريستيانا برأسها. "هل يعرف أحد أنك موجودة هنا؟" هزّت المرأة الشابة رأسها. "وأفترض أن هذين الرجلين حارساك؟" أومأت برأسها مجدداً. قالت بهدوء: "تستطيع الاستفادة من المساعدة، فقدنا عشرين ولداً إضافياً اليوم. فرضوا طلباً جديداً لتبادل السجناء، ولذلك قد نشهد وقوع المزيد من الضحايا خلال ساعات قليلة". أشارت إلى كريستيانا والرجلين المرافقين لها ليتبعوها، ثم دخلت إلى الشاحنة، وأحضرت ثلاث عصابات لليد باهتة اللون. لقد نفدت العصابات. سلمتها إلى كريستيانا والرجلين، ووضع كل واحد منهم العصابة حول يده. "أنا شاكرة لمساعدتك، يا صاحبة السمو. أفترض أنك هنا بصفة رسمية؟" سألت بصوت رقيق ومتعب. ثمة شيء لطيف وحنون في هذه المرأة بحيث إن مجرد الحديث معها يبدو مثل العناق. شعرت كريستيانا بالامتنان الكبير لأنها جاءت.

أجابت كريستيانا، "لا، لست كذلك، وأفضل ألا يعرف أحد من أكون. يصبح الأمر معقداً جداً. أتمنى أن تناديني فقط باسم كريستيانا". أومأت المرأة برأسها وقالت إن اسمها مارك. إنها فرنسية، لكنها تتحدث الروسية بطلاقة. تتحدث كريستيانا ست لغات، بما فيها اللغة العامية المستخدمة في اليشتنشتاين، لكنها لا تجيد الروسية.

قالت مارك بهدوء: "أفهم، قد يتعرف إليك أحد هنا على أية حال، إذ يوجد الكثير من الصحافيين. بدوت مألوفة لي منذ أن رأيتك".

قالت كريستيانا مع ابتسامة حزينة: "أتمنى ألا يكون أحد آخر بهذا الذكاء، سوف يفسد كل شيء حين يحصل ذلك".

"أعرف أن الأمر صعب جداً". فقد شاهدت من قبل الصحافة تحدث هكذا نوبات من الجنون، ووافقت مع كريستيانا على أن الأمور ستكون أبسط بالنسبة إليهم جميعاً إذا لم يعرف أحد من تكون.

"شكراً لأنك سمحت لنا بالعمل معكم. ما الذي نستطيع فعله للمساعدة؟ لا بد أنك مرهقة"، قالت بصوت ودود فيما أومأت المرأة برأسها.

"إذا ذهبتم إلى الشاحنة الثانية، نحتاج إلى شخص يساعد في تحضير القهوة. أظن أنه لا يوجد هناك أحد متوفر لمساعدتنا. وهناك كومة من الصناديق التي نحتاج إلى نقلها، والتي تحتوي على لوازم طبية بداخلها، وقناني مياه. قد يتمكن الرجلان ربما من مساعدتنا في ذلك".

"طبعاً". أخبرت ماكس وصاموئيل بما هو متوقع منهما، وتوجها بسرعة إلى مكان الصناديق، فيما ذهبت كريستيانا إلى الشاحنة الثانية، وفق تعليمات مارك. رفض الحارسان تركها تذهب لوحدها، لكنها أصرّت على أن كل شيء سيكون على ما يرام. هناك الكثير من الحماية المسلّحة في المنطقة وهي متأكدة من أنها ليست في خطر، سواء كانا معها أم لا.

شكرتها مارك مجدداً على المساعدة، ثم ذهبت لتفقد بعض النساء اللواتي كانت تتحدث معهن قبل وصول كريستيانا.

مضت ساعات عدة قبل أن تراها كريستيانا مجدداً، فيما كانت تقدم القهوة، ولاحقاً قناني الماء. كانت هناك بطانيات للذين يشعرون بالبرد. نام بعض الأشخاص على الأرض، فيما وقف آخرون بصلابة أو منتحبين، في انتظار أخبار عن أحبابهم المحتجزين في الداخل.

مثلما توقعت مارك، أدى طلب المهاجمين لتبادل السجناء إلى نتيجة

عنيفة بعد ثلاث ساعات تقريباً. فقد قتل رجال مقنعون خمسين ولداً ورموا بهم من نوافذ المدرسة. طارت جثث الأولاد القتلى إلى الملعب كما لو أنها دمى مهترئة، فيما صرخ الأشخاص، وتمكن الجنود أخيراً من سحبهم تحت نار كثيفة لتغطيتهم. بقيت فتاة واحدة فقط على قيد الحياة حين أحضروها، وماتت بين ذراعي أمها، فيما وقف الجنود والأهالي والمتطوعون يتفرجون ويبكون. إنها وحشية تتخطى الحدود. ولم ينتهِ الأمر بعد. لقد مات مئة ولد تقريباً لغاية الآن، ومئة شخص راشد تقريباً، ولا يزال المهاجمون مسيطرين تماماً على الوضع. في ذلك الوقت، أعلنت مجموعة دينية شرق أوسطية لها علاقة بثوار الشيشان مسؤوليتها عن الهجوم. إنه جهد مشترك لإطلاق ثلاثين شخصاً من السجن، فيما الحكومة الروسية ثابتة على موقفها، الأمر الذي أغضب الحشود. إنهم يفضلون إطلاق سراح الثلاثين وإنقاذ حياة أولادهم. هناك إحساس باليأس والعجز في كل مكان بين الحشود، فيما وقفت كريستيانا مع بقية عمال الصليب الأحمر يبكون. فما يحصل يتجاوز الخيال.

لقد أنجزت عملاً قليلاً منذ أن وصلت، باستثناء تقديم الماء أو القهوة، ثم شاهدت فجأة امرأة روسية شابة تقف قربها وتبكي بشدة. كانت حاملاً، وتمسك ولداً صغيراً بيده. التقت عيناها بعيني كريستيانا، وكما لو أنهما قريبتان لم تلتقيا منذ مدة، عانقت المرأتان بعضهما وبكتا. لا تعرف كريستيانا أبداً اسمها، ولا تتحدث لغة مشتركة معها باستثناء الحزن الكبير الناجم عن مشاهدة الأولاد يموتون. علمت كريستيانا لاحقاً أن لديها ولداً في عمر السادسة في المدرسة ولم تشاهده أو تعثر عليه بعد. زوجها أستاذ هناك، وكان من أول الضحايا الذين سقطوا في الليلة الفائتة. كانت تصلّي لأن يكون ولدها على قيد الحياة.

وقفت المرأتان جنباً إلى جنب لساعات عدة، تتناوبان العناق وإمساك الأيدي. أحضرت كريستيانا بعض الطعام لابن السنتين وكرسياً للمرأة الحامل حتى تجلس، فيما استمرت في البكاء. هناك الكثير من الأشخاص مثلها بحيث يصعب تمييزهم وسط الحشود.

كان الفجر قد انبلج حين طلب منهم جنود في لباس الكومندوس إخلاء المنطقة. توجب على كل مجموعة العمال والأشخاص المنتظرين التراجع إلى الخلف. لا يعرف أحد ماذا يحصل، لكنّ المهاجمين أعلنوا للتو عما قالوا إنه طلبهم الأخير. وإذا لم يتم تنفيذ طلبهم، قالوا إنهم سيفجرون كل المدرسة، الأمر الذي بدا ممكناً جداً الآن. إنهم أشخاص من دون ضمير أو رحمة، ولا يمتلكون أية قيمة للحياة البشرية، بما في ذلك حياتهم على ما يبدو.

"علينا الدخول إلى الشاحنات"، قالت لها مارك بهدوء فيما مرّت بالقرب منها، وهي تجمع فرقها، علماً أن كريستيانا باتت الآن واحدة منهم. "لم يقولوا لنا، لكنني أظن أنهم سيقتحمون المدرسة، ولذلك يريدون إبعاد الجميع قدر الإمكان". كانت تتحرك بين الأهالي وتقول لهم الشيء نفسه. كان الناس يمشون ويركضون في حقل خلف خطوط مستحدثة من شرطة مكافحة الشغب. وزاد ذلك من ألم الأهل لوضع المزيد من المسافة بينهم وبين أولادهم العالقين في الداخل. لكنّ الجنود بدأوا يدفعون الحشود بالقوة، كما لو أن الوقت ينفد منهم.

حملت كريستيانا الولد الصغير، ووضعت ذراعاً حول صديقتها الحامل، وساعدتها في الدخول إلى إحدى الشاحنات. لم تعد في حالة تتيح لها المشي، أو تحمّل ما يحدث. بدت وكأنها ستضع طفلها في أية لحظة. لم تكن كريستيانا مدركة لما يجري، لكنّ حارسيها كانا يراقبانها عن كثب. إنهما يدركان تماماً ما الذي سيفعله الجنود المحليون، وإذا حصل شيء رهيب، يريدان أن تكون في متناولهما. لاحظت مارك ذلك وفهمت لماذا يبقيان كريستيانا تحت أنظارهما. فما من أحد يريد أميرة ميتة بينهم إضافة إلى المزيد من الأولاد القتلى. لقد ارتفع عدد القتلى كثيراً الآن. وسيكون نصر المهاجمين أكبر وأهم إذا قتلوا أميرة من بلد محايد. لذا، فإن عدم معرفة هويتها وسلامتها أمران ضروريان. تأثرت مارك بالكدّ الذي أظهرته كريستيانا طوال الليل. لم تتعب، ولا تزال تتحلى بنشاط، وحماس، وطاقة، وعناية الشباب. قالت مارك لنفسها إنه لو أتاح لها الوقت ذلك وتعرفت إلى كريستيانا عن كثب، لأحبتها حتماً. تبدو امرأة

متواضعة جداً وواقعية.

تراجع جميع الأشخاص المنتظرين، وبعد نصف ساعة، سمعت أصوات المتفجرات، والمسدسات، والقنابل المسيّلة للدموع، والقنابل، فيما اقتحمت فرق الكومندوس وشرطة مكافحة الشغب المبنى. كان يستحيل معرفة الفريق المسيطر، فيما وقفت الحشود تراقب عن بعد وتبكي. يصعب التصديق أن يخرج أحد على قيد الحياة حين ينتهي كل ذلك، من كلا الطرفين.

تركت كريستيانا صديقتها الحامل مستلقية على سرير نقال في إحدى الشاحنات، فيما استمرت في السؤال عما يحدث، لكن لم يعرف أحد الجواب. لا يزال الوقت مبكراً لمعرفة ذلك، فيما المعركة مستعرة. انضمت كريستيانا إلى بقية عمال الصليب الأحمر الذين كانوا يسلّمون البطانيات، والقهوة، والماء، والطعام إلى الحشود. لقد وضعوا الأولاد الصغار، المرتعشين نتيجة برد الصباح الباكر، في اثنتين من الشاحنات. ومضت ساعات عدة قبل أن يتوقف إطلاق النار. بدا الأمر مرعباً جداً تماماً كما في بداية المعركة. لم يفهم أحد ماذا يعني ذلك أو من المسؤول. شاهدوا فرقاً تتحرك في البعيد، ومن ثم علماً أبيض يرفرف من نافذة علوية. ارتعشت الحشود الواقفة بعيداً نتيجة البرد، وظلّت في انتظار الأخبار.

مضت ساعتان إضافيتان قبل أن تجتاز مجموعة من الجنود الحقل لإحضارهم. لسوء الحظ، كان هناك المئات من جثث الأولاد الواجب التعرف إليها، وصرخات الألم في كل مكان حولهم امتدت لساعات طويلة، فيما تعرفت العائلات إلى موتاها وانتحبتهم. انتحر كل المهاجمين، باستثناء اثنين منهم. لم تنفجر القنابل الموجودة في المدرسة، وتم تعطيلها من قبل فرق القنابل. تم أخذ المهاجمين الباقيين بعيداً في سيارات مصفحة، قبل أن تقوم المجموعات الغاضبة بتمزيقهما إرباً. أرادت الاستخبارات العسكرية استجوابهما. وفي الإجمال، قتل خمسمئة ولد وكل الراشدين تقريباً. إنها مأساة بشعة لن ينساها أحد بسرعة. والآن، بعدما انتهى كل شيء، أصبحت الصحافة في كل مكان.

لقد حاولت الشرطة عبثاً إبقاء الصحافيين بعيداً.

بالترافق مع بقية عمال الصليب الأحمر، مشت كريستيانا مع الأهل، بين الأولاد الموتى، أثناء التعرف إليهم، ثم ساعدوا الأهل في لف الجثث ووضعها في توابيت خشبية صغيرة ظهرت فجأة من مكان ما. علقت الغصة في حنجرتها للمرة الألف فيما شاهدت صديقتها الحامل تعانق ابنها وتبكي. كان الولد عارياً تقريباً، وإنما لا يزال حياً، ومغطى بالدماء بسبب جرح في رأسه. توجهت كريستيانا إليها، وعانقت الأم والولد. لم تتوقف الدموع أبداً، ونزعت كريستيانا عنها سترتها، ووضعتها حول الولد، فيما ابتسمت لها المرأة الشابة عبر دموعها، وشكرتها بالروسية. عانقتها كريستيانا مجدداً، وساعدتها في نقل الولد إلى مسعف لفحصه. رغم الصدمة الواضحة، والجرح في رأسه، كان الولد على ما يرام. لم يغفل هذا المشهد عن ناظري مارك، التي عملت مع عمال آخرين على مساعدة الأشخاص في التعرف إلى الجثث، وإغلاق التوابيت. كان يوماً وليلة مرعبين، حتى بالنسبة إلى الجنود، والذين شاهدوا مثل هذه الأحداث قبلاً. وقد شهد التاريخ الحديث بضعة أحداث إرهابية كانت سيئة فعلاً. وبالنسبة إلى كريستيانا، كانت معمودية النار. فيما انحنت لمساعدة شخص آخر، لاحظت أنها مغطاة كلها بالدم. كان الجميع مغطى به نتيجة حملهم الأولاد، سواء كانوا موتى أم أحياء.

طوال بعد الظهر والليل، وصل المزيد من سيارات الإسعاف، والشاحنات، والعربات، وجاء الأشخاص من المدن المجاورة والبعيدة. بدا وكأن روسيا بأكملها جاءت لتكون مع هؤلاء الأشخاص، ولتساعدهم في دفن موتاهم، والبكاء عليهم. في وقت متأخر من تلك الليلة، أصبحت لديهم فكرة واضحة عمن قتل، ومن نجا. تمّ التعرف على كل الأولاد المفقودين، رغم أن عدداً قليلاً من الأولاد أخذ إلى المستشفيات من دون أن يعرف أحد أسماءهم. حلّ منتصف الليل حين ساعدت كريستيانا وحارساها مارك والآخرين في تحميل الشاحنات. لقد انتهى عمل المتطوعين، وسوف يكمل ما تبقى العناصر

المتخصصون في الصليب الأحمر، الذين قد يساعدون في تحديد موقع الأولاد الذين ذهبوا إلى مستشفيات في أماكن أخرى. بقيت كريستيانا صامدة حتى النهاية المرّة. وقفت خارج آخر شاحنة، وعانقت مارك، وانفجرت بالبكاء نتيجة الحزن والإرهاق. لقد شاهدوا جميعاً ما يكفي خلال الأيام القليلة الماضية. وصلت كريستيانا إلى هنا في الليلة السابقة فقط، وعرفت من دون سؤال أن حياتها قد تغيّرت إلى الأبد. فكل ما رأته، أو فعلته، أو عاشته قبل هذا بدا تافهاً وغير مهم الآن.

عرفت مارك أكثر من أي شخص آخر معنى الذي حصل. فقد قتل ولداها في ثورة في أفريقيا فيما كانت تعيش هي وولداها هناك، وبقيت لوقت طويل في مرحلة من الاضطراب السياسي. كلفها الأمر حياة ولديها، وهذا أمر أمضت حياتها وهي تحاول مسامحة نفسها عليه، علماً أنه كلفها في النهاية زواجها. بقيت في أفريقيا بعد ذلك، وأنشأت مركزاً للصليب الأحمر لمساعدة السكان المحليين. لا تزال تزور هذا المركز غالباً، وقد عملت أيضاً في الشرق الأوسط، خلال حروب ونزاعات مختلفة، وفي أميركا الوسطى. كانت تذهب إلى حيث يحتاجونها. لم يعد لديها بلد. إنها مواطنة من العالم، وجنسيتها هي الصليب الأحمر، ومهمتها مساعدة كل الذين يحتاجون إليها، في أي وضع كان، مهما كان مزعجاً، أو خطراً، أو مخيفاً. لم تكن مارك تخاف من أي شيء وكانت تحب كل شيء. وقفت وهي تضع ذراعيها حول كريستيانا، فيما بكت الفتاة الشابة مثل الولد الصغير. لقد عاشوا جميعاً تجربة مريعة.

قالت مارك بهدوء: "أعرف"، وهي غير مبالية لإرهاقها، كما هي الحال دوماً. هذا هو دم حياتها، وتتشاركه بسرور مع الآخرين الذين يحتاجون إليه أكثر مما تفعل هي. لم تكن تخشى الموت أثناء العمل. هذه هي عائلتها الآن، وكل شيء تحبه. "أعرف كم الأمر صعب في المرة الأولى. لقد أنجزت عملاً رائعاً"، قالت لها مادحة، فيما بقيت كريستيانا مختبئة بين ذراعيها. فهي بالكاد أكبر من ولد صغير. بكى حارساها أيضاً مرات عديدة في تلك الليلة ولم

يخجلا من ذلك. في الواقع، كان من الغريب ألاّ يبكيا. أحبتهما كريستيانا لذلك، تماماً مثلما أحبت مارك التي جاءت لتشكرها على كل ما فعلته. مضى وقت طويل قبل أن تمسح كريستيانا عينيها، وتفلت من ذراعي المرأة الأكبر سناً منها. فهي لم تعرف عناق الأم في معظم حياتها تقريباً، وتخيلت أنه يكون بهذه الطريقة. شخص ما يمسك بك إلى أن تشعر بأنك مستعد لمواجهة الحياة مجدداً. لم تكن كريستيانا واثقة من أنها تستطيع فعل ذلك بعد. لن تنسى أبداً المآسي التي رأتها في تلك الليلة، أو فرحة الأهل الذين وجدوا أولادهم على قيد الحياة والتقوا مجدداً. بكت قدر المستطاع. فكل ذلك كان مؤلماً أكثر من أي شيء آخر يمكنها تصوره. توقعت العمل بكد، لكنها لم تتوقع أن ينفصل قلبها عن جسدها ويتمزق إرباً.

قالت مارك بهدوء وكانت تقصد ما تقوله فعلاً: "إذا أردت يوماً المجيء للعمل معنا، اتصلي بي. أظن أنك موهوبة". فقد اكتشفت مارك موهبتها هي بعدما مات ولداها، وجعلت من أولاد أفريقيا عائلتها. وخلال سنوات الخدمة، أحبت الأولاد من كل أنحاء العالم، وقدّمت لهم العزاء. لقد حولّت خسارتها المريعة إلى نعمة للآخرين.

قالت كريستيانا: "أتمنى أن أستطيع فعل ذلك"، وهي لا تزال تبدو مصدومة. عرفت جيداً أن العمل معهم ليس حتى احتمالاً بعيد المنال. فوالدها لن يسمح أبداً بذلك.

"يمكنك فعل ذلك ربما لوقت قصير. فكري في الأمر. يسهل العثور عليّ. اتصلي بمكتب الصليب الأحمر الدولي في جنيف؛ فهم يعرفون دوماً أين يجدونني. فأنا لا أمكث أبداً في أي مكان لوقت طويل. إذا أردت الانضمام إلينا، سوف نتحدث في الأمر".

قالت كريستيانا بصدق: "أودّ ذلك"، متمنية أن تقنع والدها، لكنها تدرك في الوقت نفسه أنه لا مجال أبداً لذلك. سوف يجنّ عند سماعه الفكرة. لكنّ هذا أكثر فائدة وأهمية من أي شيء آخر يمكنها فعله في وطنها، أو حتى عبر

المؤسسة. للمرة الأولى في حياتها، شعرت أنها حية ومفيدة في تلك الليلة، كما لو أن وجودها لم يكن مصادفة وإنما له قصد. وعرفت أنه حتى لو لم تلتقيا مجدداً، فسوف تتذكر مارك لبقية حياتها. هناك الكثير من الأشخاص حول العالم الذين يكنّون لها هذا الشعور.

تعانقت المرأتان مجدداً، وفيما بدأت شاحنات الصليب الأحمر بالمغادرة عند الفجر، عادت هي وماكس وصاموئيل إلى حيث تركوا السيارة. لقد اخترقتها رصاصات عدة، وتحطم الزجاج الأمامي وتطاير إلى أجزاء صغيرة في أرضية السيارة. نظف الرجلان الزجاج المكسور قدر الإمكان. ستكون رحلة العودة إلى المطار باردة فعلاً. غادروا بعد الصليب الأحمر بفترة وجيزة، فيما سطعت الشمس في السماء. لا يزال هناك جنود ورجال شرطة في المكان. تم إخلاء كل الجثث. ذهبت كل سيارات الإسعاف. ولن ينسى أحد الأولاد الذين ماتوا هنا.

كانت رحلة طويلة وصامتة إلى فلاديكافكاز. لم تتفوه كريستيانا ولا حارساها بأكثر من بضع كلمات لبعضهم البعض. كانوا مرهقين كثيراً ومتأثرين جداً بما رأوه. تولى ماكس القيادة هذه المرة، فيما نام صاموئيل في المقعد الأمامي وحدّقت كريستيانا خارج النافذة. لقد مضى على وجودهم هنا يوم وليلتان، وبدا ذلك مثل دهر. بقيت كريستيانا مستيقظة طوال الرحلة، وهي تفكر في المرأة الحامل، التي أصبحت أرملة الآن، مع ثلاثة أولاد. فكّرت في مارك ورقة وجهها، ولطافتها، وحنانها غير المحدود. فكّرت أيضاً في ما قالته في النهاية، وتمنّت أن تكون هناك طريقة ما لإقناع والدها بالسماح لها لإنجاز مثل هذا العمل. فهي لا تمتلك أية رغبة في الحصول على شهادة ماجستير من السوربون. لا يعني ذلك أي شيء لها. والأهم من كل ذلك، فكّرت في الوجوه التي رأتها تلك الليلة، في الأشخاص الذين ماتوا، ووجوه أولئك الذين بقوا على قيد الحياة فيما تجولوا مصدومين بين عائلاتهم وأهلهم... الهدايا، الخسارات، المآسي، الرعب، الأشخاص المروعين الذين فعلوا هذا بهم، وافتقادهم التام إلى

الوعي. كانت لا تزال صامتة ومستيقظة حين وصلوا إلى المطار. أعادوا السيارة وأكدوا لشركة التأجير أنهم سيتحملون مسؤولية الأضرار. طلبت منهم كريستيانا سحب المال من بطاقة الاعتماد التي أعطتهم إياها في بداية الأمر. شاهدت الأشخاص يحدقون بها فيما مشوا في المطار ولم تفهم السبب، إلى أن قام أحد الحارسين بوضع سترته حول كتفيها.

"لا بأس. لا أشعر بالبرد"، طمأنته وأعادت له السترة فيما نظر إليها بحزن.

قال بهدوء: "أنت مغطاة بالدم، يا صاحبة السمو"، وفيما نظرت إلى الكنزة التي ترتديها، رأت أنها فعلاً كذلك. دم مئات الأولاد، وعدد مواز تقريباً من الراشدين، لقد لمست العديد منهم. ألقت نظرة سريعة على مرآة ولاحظت أن الدم موجود على شعرها أيضاً. لم تمشط شعرها منذ يومين، ولم تعد تهتم لذلك، لم تعد تهتم بأي شيء باستثناء الأشخاص الذين رأتهم في ديغورا. إنهم هم ما يهمها الآن.

توجهت إلى حمام السيدات، وحاولت ترتيب نفسها لتبدو مقبولة، لكنّ ذلك كان متعذراً نسبياً. فحذاؤها مغطى بالوحل نتيجة الحقول التي وقفت فيها، فيما كان سروال الجينز والكنزة مليئين بالدم. كان الدم أيضاً على شعرها، وتحت أظافرها، ولا تزال تشم رائحته. لقد تغلغل في روحها. أظهرت جواز سفرها فيما غادروا، ولم يعلّق عليه أحد هذه المرة. يبدو أن الأمر لا يهم كثيراً في طريق الخروج. وفي وقت متأخر من تلك الليلة، وصلوا إلى القصر.

اتصل الحارسان مسبقاً، وجاءت السيارة وسائقها لملاقاتهم في المطار. طلبوا من السائق تغطية المقاعد بالمناشف، ولم يفهم السبب حتى رآهم. لم يدرك في بداية الأمر أنه دم. بدا مصدوماً حين عرف، ولم يقل أي شيء. توجهوا إلى القصر في فادوز بصمت. وحين فتحت البوابات ودخلوا، نظرت إلى القصر حيث عاشت، وولدت، وقد تموت ربما في يوم ما، بعد أن تكون قد تقدمت في العمر. لكنها تعرف الآن في قرارة روحها أن أي شيء لم يتغير هنا

خلال الأيام الثلاثة الماضية فيما عادت هي إنسانة مختلفة تماماً. فالفتاة التي غادرت فادوز قبل ثلاثة أيام لم تعد موجودة. والفتاة التي عادت إلى المنزل بعد حصار ديغورا تغيرت إلى الأبد.

الفصل 5

لم تشاهد كريستيانا والدها ليلة وصلت إلى المنزل. كان في فيينا في عشاء دبلوماسي يقام في السفارة الفرنسية، وبقي في قصر الليشتنشتاين، تماماً كما حصل حين ذهب برفقتها إلى الباليه. عرف أنها بأمان قبل أن يغادر إلى فيينا. لم تعمل هواتفهم الخلوية حين كانوا في روسيا، لكنّ حارسيها اتصلا به من المطار لطمأنته. كان قلقاً جداً حتى ذلك الوقت. وجاء للبحث عنها لحظة وصوله إلى القصر. كان ذلك بعد مرور أربع وعشرين ساعة على عودتها من روسيا. بدت مرتبة جداً في سروال الجينز، وحذاء الموكاسين، وكنزة بيركلي. كان شعرها مغسولاً حديثاً ومُسرّحاً. لا يوجد أي دليل على ما عاشته، أو على مدى فظاعته، إلى أن نظر في عينيها. وما شاهده فيهما أرعبه فعلاً. لم تكن ميتة، وإنما أكثر حيوية من أي وقت مضى، أكثر حكمة، وأكبر سناً، وحزناً، وعمقاً. تماماً مثلما وجدت هي نفسها حين عادت إلى القصر، بعد كل الذي عاشته في الأيام الثلاثة تلك. فهي لم تعد الشخص نفسه. أصيب بالذعر حين نظر إليها. عرف أن كل شيء تغير منذ أن رآها لآخر مرة.

قالت بهدوء فيما وضع ذراعيه حولها وقبّلها: "مرحبا، بابا، أنا سعيدة لرؤيتك". بدت أكثر نضوجاً مما كانت قبلاً، وأشبه بامرأة. أراد أن يمسكها بين ذراعيه ويبقيها هكذا، وعرف فجأة أنه لا يستطيع. فالفتاة التي عرفها وربّاها رحلت فجأة، وجاءت مكانها امرأة تعلمت وشاهدت أموراً لا يجدر بأحد معرفتها.

قال بحزن: "اشتقت إليك، كنت قلقاً جداً عليك. شاهدت الأخبار

باستمرار، لكنني لم أشاهدك أبداً. هل كان الأمر مريعاً بقدر ما بدا؟" سألها وهو يجلس قربها، ويأخذ يدها في يده. تمنى لو أنها لم تذهب، لكن ما من شيء كان ليوقفها. عرف أنه لا يستطيع. وهو يعرف الشيء نفسه الآن.

"كان أسوأ. فهناك الكثير من الأمور التي لم يسمح للصحافة بعرضها، احتراماً للعائلات". انهمرت الدموع ببطء على وجنتيها فيما تألم قلبه على ما عاشته. كان ليفعل أي شيء لحمايتها من ذلك. "لقد قتلوا الكثير من الأولاد، بابا. المئات منهم، كما لو أنهم غنم أو ماعز".

"أعرف. شاهدت بعض ذلك على التلفاز. كانت وجوه العائلات مريعة جداً. بقيت أُفكر في ما سأشعر به لو فقدتك. لا أستطيع تحمل ذلك. لا أعرف ما إذا كان باستطاعة هؤلاء الأشخاص الصمود والاستمرار. لا بد أن الأمر قاسٍ عليهم". فكّرت حينها في صديقتها الحامل، تلك التي لم تستطع أبداً التحدث إليها، لكنهما تعانقتا وبكيتا... ومارك... وجميع الذين صادفتهم خلال تلك الأيام القليلة. "شعرت بالارتياح لأن الصحافة لم تتعرف إليك. هل عرف أحد هناك من تكونين؟" افترض أن أحداً لم يفعل، وإلا لكان سمع بالخبر، وهزّت هي رأسها.

"لا، لم يعرفوا، والمرأة المسؤولة عن الصليب الأحمر كانت كتومة جداً. عرفت من أكون لحظة شاهدت جواز سفري. قالت إن بعض أقاربنا عملوا معها قبلاً".

"أنا مسرور لأنها لم تقل أي شيء. خشيت أن يفعل أحد ذلك". كان هذا آخر همٍّ عندها، رغم أنها لم تكن ترغب في ذلك هي أيضاً، وشعرت بالسرور لأنها تمكنت من إنجاز عملها من دون أن يكتشف أحد شخصيتها أو يزعجها. فقد كان تحلّق الصحفيين أمامها إهانة لكل الأشخاص المتألمين. كانت محظوظة لأنها بقيت مجهولة الهوية طوال الرحلة.

نظرت حينها إلى والدها نظرة طويلة وعميقة، وشعر هو أن شيئاً ما سيحصل ولن يحبه. شدّت قبضة يدها على يده ونظرت في عينيه. كانت

عيناها عبارة عن بركتين كبيرتين باللون الأزرق الساطع، تماماً مثل عينيه، لكنّ عينيه هو كانتا عجوزتين فيما عيناها هي شابتين. وشاهد في عينيها بحرين من الأمل والألم. لقد رأت في تلك الأيام الثلاثة الكثير بالنسبة إلى فتاة في عمرها. عرف أنها ستحتاج إلى وقت طويل حتى تنسى كل ما شاهدته.

قالت بنعومة: "أريد العودة، بابا"، وبدا هو مذهولاً ومصدوماً ومتألماً.

"لا، ليس إلى روسيا وإنما للعمل مع الصليب الأحمر مجدداً. أريد إحداث فرق، ولا أستطيع فعل ذلك هنا. أعرف أنني لا أستطيع فعل ذلك إلى الأبد،، ولكنني أريد سنة، ستة أشهر... بعد ذلك سأفعل كل ما تريده. لكن أريد لمرة واحدة في حياتي أن أفعل شيئاً يحدث فرقاً، فرقاً كبيراً، لشخص آخر. أرجوك بابا...". امتلأت عيناه بالدموع فيما هزّ رأسه، وتحرك بانزعاج في مقعده.

"يمكنك فعل ذلك في مؤسسة أمك، كريكي. لقد عانيت تجربة مؤلمة. أعرف ما هي حقيقة الأمر". لقد ذهب إلى أماكن كوارث من قبل، وشاهد ألم وحزن الناس. لكنه لا يستطيع قبول ما تقوله. "هناك الكثير من الأمور التي يمكنك فعلها هنا. العمل مع الأولاد المعوقين، إذا شئت، أو الفقراء في فيينا. التطوع في مستشفى لضحايا الحروق. يمكنك تخفيف العديد من الآلام، وتعزية الكثير من القلوب المجروحة. لكن إذا كنت تطلبين مني أن أسمح لك بالذهاب إلى بلدان خطرة، في أوضاع محفوفة بالخطر، حيث تكونين أنت نفسك معرضة للخطر، فلا أستطيع السماح لك بذلك. سوف أقلق عليك كثيراً. أنت مهمة جداً بالنسبة إليّ، وأحبك كثيراً. وأدين لأمك بمسؤولية هنا أيضاً. فهي تنتظر مني أن أبقيك بعيدة عن الأذى".

قالت بوقاحة: "لا أريد فعل هذه الأمور هنا"، وبدت مثل فتاة صغيرة مجدداً، لكنها شعرت أنها كذلك معه. إنها مناقشة لا تريد خسارتها، ولا هو أيضاً. "أريد الخروج إلى العالم لمرة واحدة في حياتي، وأن أكون مثل الآخرين، أعمل بكدّ، وأسدد واجباتي، قبل أن أستقر في هذه الحياة المريحة إلى الأبد، مثل فيكتوريا، وأقرر ما هو التاج الذي أريد وضعه، وكذلك الفستان،

وقص الأشرطة في المستشفيات أو زيارة الأيتام والأشخاص المسنين لبقية حياتي". إنه يعرف كم هذه الحياة مزعجة، ولم يعارضها. لكن بصفتها امرأة، لا تستطيع التجول حول العالم، والمجازفة بحياتها في مناطق الحروب، أو حفر الخنادق للفقراء للتكفير عن خطايا كونها سليلة عائلة ملكية وغنية. إنه يعرف أفضل من أي شخص آخر أنه عليها عقد الصلح الآن مع هويتها الحقيقية.

"لقد عدت للتو بعد أربع سنوات أمضيتها في الولايات المتحدة. كان لديك الكثير من الحرية هناك"- وأكثر مما يظن- "لكن عليك أن تقبلي الآن بمن تكونين، وبكل ما يترتب عن ذلك. لقد حان الوقت لكي تعودي إلى المنزل، وليس للهروب. لا يمكنك الهروب من ذلك كريستيانا. أعرف. جربت ذلك بنفسي حين كنت شاباً. في النهاية، هذا نحن، وعلينا القيام بكل ما يترتب علينا". بدا ذلك مثل حكم بالسجن المؤبد بالنسبة إليها فيما انهمرت الدموع على وجنتيها، وبكت الحرية التي لن تعرفها أو تتذوقها أبداً، والأشياء التي لن تفعلها أبداً. في هذه السنة من حياتها، أرادت أن تكون مثل أي شخص آخر. لكنّ والدها يقول إن هذا مستحيل بالنسبة لها. هذه هي الهدية الوحيدة التي تريدها منه الآن، وقبل أن يفوت الأوان. فإذا كانت ستفعل ذلك يوماً ما، فهذا هو الوقت المناسب.

"لماذا يستمر فريدي إذاً في التجول حول العالم ويفعل ما يريده؟"

"لسبب واحد"- ابتسم لها والدها- "وهو أن شقيقك غير ناضج"، مثلما يعرف كلاهما، ثم أصبح وجه والدها جدياً مجدداً. عرف أن هذا الموضوع مهم لها. "ثمة سبب آخر وهو أن شقيقك غير موجود في أماكن خطرة، أو على الأقل ليس تقنياً أو جغرافياً، أو بسبب ظروف مثل تلك التي عشتها في روسيا. يولّد شقيقك المخاطر لنفسه، وهي نوعاً ما غير مؤذية مقارنة مع أي شيء سوف تصادفينه أثناء العمل مع الصليب الأحمر. يمكنك قضاء سنة، أو قدر ما تريدين، في إنجاز أعمال مثل تلك التي انتهيت منها للتو. لم يحدث أي

شيء مشؤوم هذه المرة، والحمد لله، وعدت من دون أي أذى. لكنّ ذلك كان ممكناً. فلو فجّروا المدرسة، من دون إعلان الأمر مسبقاً، لكنت تعرضت للأذى أو حتى أسوأ". ارتعد لمجرد التفكير في ذلك. "كريستيانا، لن أرسلك خارجاً إلى العالم لتموتي، أو تعاملي بخشونة، أو تتعرضي لأمراض استوائية أو كوارث طبيعية، أو اضطرابات سياسية، أو عنف من أي نوع. لن أفعل ذلك بكل بساطة". كان عنيداً في ذلك، تماماً مثلما توقعت، لكنها لم تكن مستعدة للاستسلام بعد. فالأمر يعني لها الكثير في الوقت الحاضر. وعرفت أنه حتى لو ذهبت إلى العمل في مؤسسة المرحومة أمها، فهو لن يسمح لها بالسفر إلى الأماكن الخطرة معهم، ولا حتى في الزيارات. كل ما يريده هو حمايتها، لكن هذا هو بالضبط ما سئمت منه ولا تريده.

قالت له متوسلة: "هلاّ فكّرت قليلاً في الأمر؟"

قال: "لا، لن أفعل"، ثم نهض. "سأفعل أي شيء أستطيعه، وكل شيء تريدينه لجعل حياتك أفضل وأجمل هنا. لكن إنسي أمر الصليب الأحمر، كريستيانا، أو أي شيء مشابه". نظر إليها بحزم، وانحنى لتقبيلها، وقبل أن تتمكن من قول أي شيء إضافي، خرج من الغرفة. لقد انتهت المناقشة. جلست هناك لساعات عديدة، تناوب بين الاكتئاب والغضب، وهي تستشيط غضباً في غرفتها. لماذا هو غير منطقي؟ ولماذا هي أميرة؟ تكره أن تكون من السلالة الملكية. في تلك الليلة لم تجب حتى على رسائل البريد الالكتروني التي وصلتها من الولايات المتحدة، رغم أنها كانت تحب فعل ذلك عادة. لديها الكثير من الأشياء الأخرى في عقلها، وقد رأت الكثير.

تجنبت والدها تماماً خلال اليومين التاليين. امتطت حصانها، وذهبت للركض مع كلبها. قصت الأشرطة في ميتم وفي دار للعجزة. قرأت قصة لأشخاص فاقدي البصر، وقضت وقتاً في المؤسسة، لكنها كرهت كل ذلك. أرادت أن تكون شخصاً آخر، وفي أي مكان آخر غير القصر في فادوز. لم تشأ حتى الذهاب إلى باريس. في النهاية، كرهت حياتها، وأجدادها، والقصر

وحتى والدها حين تجرأت على ذلك. لم تعد تريد أن تكون أميرة. شعرت أن هذه لعنة بالنسبة إليها، وبالطبع ليست نعمة، مثلما قيل لها طوال حياتها. اتصلت بفيكتوريا في لندن لتشكو لها أمرها، فطلبت منها فيكتوريا المجيء إليها. لكن ما الجدوى من ذلك؟ فسوف يتوجب عليها العودة إلى فادوز مجدداً، وإلى كل شيء ينتظرها هنا. دعاها أقاربها الألمان للذهاب لزيارتهم، لكنها لم تشأ الذهاب إلى هناك أيضاً. ورفضت الانضمام إلى والدها في رحلة إلى مدريد، لزيارة ملك إسبانيا. إنها تكرههم جميعاً.

بقيت غاضبة جداً طوال أسبوعين، وحزينة بعمق، إلى أن جاء والدها إليها. كانت تتجنبه قصداً طوال أيام. وكان مدركاً تماماً لبؤسها، وبدا غير سعيد البتة هو أيضاً، فيما جلس على كرسي في غرفة نومها. أذعنت لوجوده، وخفضت صوت الموسيقى. كانت تستعمل الموسيقى لطرد كل شيء من رأسها، ولطرد حزنها. حتى تشارلز بدا ضجراً، فيما نظر إليها ولوّح بذيله، ولم يزعج نفسه بالنهوض.

قال والدها بهدوء: "أريد التحدث إليك".

سألته: "عن ماذا؟" وهي لا تزال تبدو فظة ومشاكسة.

"عن فكرتك المجنونة في الانضمام إلى الصليب الأحمر. أريدك أن تعرفي أنني أراها فكرة سيئة جداً، ولو كانت أمك على قيد الحياة لما فكرت حتى في التحدث معك حول هذا الموضوع. في الواقع، إنها كانت ستقتلني لأنني أتحدث معك حول هذا الموضوع". قطّبت كريستيانا حاجبيها فيما استمعت إليه. كانت متعبة من محاولاته إقناعها بمدى سوء هذه الفكرة. لقد سمعت الأمر قبلاً، مرات عدة، ولهذا السبب لم تعد تتحدث معه إطلاقاً في الوقت الحاضر.

قالت بكآبة: "أعرف ما هو رأيك في هذا الموضوع، بابا لا حاجة لأن تقوله لي مجدداً. لقد سمعته".

"نعم، سمعته، وأنا أيضاً. لذا، يمكنك الاستماع إليّ مرة واحدة إضافية".

ابتسم لنفسه وهو يفكر بأنه يستطيع حكم بلد وثلاثة وثلاثين ألف شخص، لكنه يواجه صعوبة في السيطرة على ابنته الوحيدة. تنهّد، ثم تابع كلامه. "تحدثت إلى مدير الصليب الأحمر في جنيف هذا الأسبوع. تحدثنا طويلاً. في الواقع، لقد جاء إلى هنا بناء على طلبي".

"لن تسخر مني بالسماح لي بالتطوع في مكتب"، قالت بغضب، وهي تحدق فيه، فيما حاول هو ألا يفقد رباطة جأشه ونجح في ذلك. "ولن أجري لهم حفلة، هنا أو في فيينا. أكره مثل هذه الأمور. أجدها مضجرة كثيراً". شبكت ذراعيها فوق صدرها علامة على رفضها.

"وأنا أيضاً، لكنها جزء من عملي. وفي أحد الأيام، قد تصبح جزءاً من عملك، حسب الشخص الذي تتزوجينه. أنا لا أستمتع أبداً بذلك، لكنّ هذا مطلوب منا، ولا يمكنك ببساطة القول إنك لا تريدين أن تكوني من أنت. لقد فعل ذلك آخرون قبلك، وحولوا حياتهم إلى فوضى. كريستيانا، ليس أمامك خيار سوى القبول بقدرك هنا. نحن محظوظون في نواحٍ عدة". أصبح صوته رقيقاً قليلاً فيما نظر إليها. "بالإضافة إلى ذلك، نحن لبعضنا وأنا أحبك كثيراً. ولا أريدك أن تكوني غير سعيدة".

"أنا غير سعيدة"، شددت مجدداً، "أعيش حياة عديمة الفائدة، وغبية، ومترفة، وفاسدة. والوقت الوحيد الذي قمت فيه بشيء مهم أو ذي معنى كان قبل أسبوعين في روسيا".

"أعرف ذلك. وأعرف أنك تشعرين هكذا. أفهم. فالكثير مما يفعله الشخص، في أية وظيفة، عديم الجدوى وسطحي. من النادر جداً عيش تجربة مثل تلك التي عشتها أخيراً، حيث كنت تساعدين فعلاً الأشخاص في أحلك الظروف. لا يمكنك عيش حياة كاملة هكذا".

"المرأة التي أدارت عمليات الصليب الأحمر في روسيا تفعل هذا. اسمها مارك، وهي امرأة مذهلة".

قال والدها بهدوء: "أعرف كل شيء عنها"، فقد أمضى ساعات عدة مع

مسؤول الصليب الأحمر الذي جاء لرؤيته من جنيف، وكان الأمير في النهاية راضياً عن محادثته معه، رغم بعض التحفظات. "كريكي، أريدك أن تصغي إليّ. لا أريدك أن تكوني تعيسة، أو حتى غير سعيدة. عليك أن تقبلي بهويتك، وتفهمي تماماً أنه لا يمكنك الفرار من ذلك. إنه قدرك، مصيرك، وواجبك. وهذه أيضاً نعمة كبيرة في العديد من النواحي، رغم أنك لم تدركي ذلك بعد. واعلمي أن جزءاً مما تقومين به هو نعمة للآخرين، تماماً مثلك أنت، حيث أنت، ولا تحاولي أبداً إنكار ذلك. أنت نعمة لي أنا أيضاً، وسوف تكونين كذلك يوماً ما بالنسبة إلى شقيقك. تعرفين عن هذه البلاد أكثر مما يعرف هو. سوف تساعدينه في إدارة شؤونها، حتى ولو من وراء الكواليس. في الواقع، إنني أعتمد عليك لفعل ذلك. سيكون هو الأمير الحاكم، لكنك ستكونين أنت مستشارته ومرشدته. لا يستطيع إدارة هذه البلاد من دون أن ترشديه بنفسك". كانت هذه أول مرة يقترح عليها الأمر، وشعرت بالصدمة. "تعود إليك أنت طريقة تعاطيك مع مسؤولياتك، وحياتك، وما تفعلينه بها، وكم تجعلين نفسك بائسة. أريدك أن تقضي بعض الوقت وأنت تفكرين في الأمر. لا يمكنك الآن، أو حتى لاحقاً، أو أبداً، الهروب من واقعك. أتوقع الكثير منك، كريستيانا. أحتاج إليك. أنت صاحبة السمو. هذا جزء منك. إنه إرثك ومهنتك. هل تفهمينني؟" لم يتحدث أبداً بهذا الوضوح طوال حياته، مما أخافها وجعلها ترغب في الهروب.

أرادت تفادي ما يقوله لكنها لم تجرؤ. فهو والدها في النهاية، سواء كان أميراً حاكماً أم لا. وكرهت سماع ما قاله، لأنه كان صحيحاً لسوء الحظ، واشمأزت من تذكيرها به. إنه عبء لا يمكنها تخفيفه، أو إزاحته، أو إبعاده. أبداً. وهو يريد الآن إضافة واجبات فريدي إلى واجباتها. "أفهمك والدي"، قالت بحزن. كانت تناديه والدي وليس بابا فقط حين تكون غاضبة جداً. تماماً مثلما كان هو يستعمل لقبها، وإن نادراً جداً، حين يغضب منها، وهذا أمر نادر أيضاً.

قال بشجاعة: "جيد. إذا كنت تفهمينني، يمكننا إذاً المضي قدماً، لأنك في النهاية لا تملكين خياراً هنا. سأناقش معك هذا الأمر فقط إذا قبلت بهويتك وأذعنت لما يجدر بك فعله في النهاية. إذا لم تتمكني من فعل ذلك الآن، سأعطيك إذاً بعض الوقت للتكيف مع الفكرة، لكن عاجلاً أم آجلاً، عليك العودة إلى الوطن لإنجاز مسؤولياتك في فادوز. لإنجاز واجباتك وفروضك، ومساعدة شقيقك وإرشاده في ذلك". إن سماع ما يتوقعه منها يشكل عبئاً مريعاً بالنسبة إليها، وسيكون كذلك يوماً ما. الأمر أسوأ مما كانت تظن.

قالت وهي تبدو عنيدة: "لا أريد الذهاب إلى باريس".

"لم أكن أقترح عليك باريس. ولا أحب ما سأقترحه. لكنّ مدير الصليب الأحمر نفسه وافق على تحمل مسؤوليتك بالكامل. طمأنني، لا بل إنه أقسم لي، بأنه إذا سلمتك له، لن تتعرضي لأي أذى، وأريده أن يبقى ملتزماً بذلك. إذا حصل أي حادث، أو أصبح أي وضع سياسي غير مرضٍ، تعودين إلى الوطن في أول رحلة من دون أي نقاش إضافي. وحتى حصول ذلك، أوافق على السماح لك بالذهاب للانضمام إلى أحد مشاريعهم خلال الأشهر الستة التالية. وعلى الأكثر سنة، إذا سار كل شيء على ما يرام. لكن بعد ذلك، ومهما كانت الظروف، تعودين إلى الوطن. وفي الوقت الحاضر، ألتزم بستة أشهر فقط. لديهم مشروع في أفريقيا يظنون أنه قد يروق لك. أنشأت المشروع صديقتك مارك. إنه مبدئياً مركز لمساعدة النساء والأولاد المصابين بالإيدز، وهو في أحد الأنحاء القليلة الهادئة في أفريقيا في الوقت الحاضر. إذا تغيّر الوضع في أي وقت، ينتهي الأمر وتعودين إلى المنزل. هل هذا واضح؟" تلألأت الدموع في عينيه حين أنهى حديثه معها، وحدّقت فيه مذهولة. لم تتوقع أبداً أن يغيّر رأيه في ما تريد القيام به.

"هل أنت جاد؟ هل تقصد ذلك فعلاً؟" نهضت، ووضعت ذراعيها حول عنقه، عاجزة عن تصديق ما يجري. ظهرت الدموع في عينيها هي أيضاً فيما عانقته وقبّلته. كانت تطير فرحاً. قالت: "أوه، بابا"، فيما عانقها بشدة.

قال بصوت مرتعش: "أنا مجنون ربما لأنني سمحت لك بذلك. لا بد أنني أصاب بالخرف". لقد فكّر طويلاً ومليّاً في هذا الموضوع، وتذكر كم كان يائساً هو أيضاً في عمرها، وكيف أراد فعل شيء أكثر أهمية في حياته. كانت سنوات مزعجة بالنسبة إليه. وفيما كان ولياً للعهد، عجز تماماً عن تحرير نفسه من واجباته وتوجب عليه العيش بإحباط. ثم التقى بأمها، وتزوجها، وتغيّر كل شيء. توفي والده بعد فترة وجيزة، وأصبح هو الأمير الحاكم. لم يعد لديه الوقت أبداً للنظر مجدداً إلى تلك الأيام الأولى غير السعيدة، لكنه ما زال يتذكرها جيداً حين يهزّ ذاكرته، الأمر الذي أقنعه في نهاية المطاف. ولن تتحمل كريستيانا عبء الحكم أو مسؤوليته. سوف تكون هذه حصة شقيقها، وليس حصتها أبداً، لأن النساء لا يستطعن الحكم في الليشتنشتاين. لقد دفعه كل ذلك إلى اتخاذ قراره، رغم أنه فعل ذلك بالكثير من التردد لأنه يحبها كثيراً، الأمر الذي لطالما عرفته كريستيانا، حتى عندما تكون غاضبة منه. ليست غاضبة منه الآن. لم تكن يوماً في حياتها بهذا الامتنان أو هذه السعادة.

قالت له وصوتها مليء بالعاطفة: "أوه، بابا، متى أستطيع الذهاب؟"

"أريدك هنا في عطلة الأعياد. لن أكون هنا من دونك، حتى لو بدا ذلك أنانياً. أخبرت المدير أنه يمكنك الذهاب في شهر يناير، أو لاحقاً إذا أردت، ولكن ليس قبلاً. وعلى أية حال، إنهم يحتاجون إلى بعض الوقت للاستعداد لاستقبالك. سوف يحضرون بعض البرامج الجديدة هناك، ولا يريدون قبول أي متطوعين جدد قبل ذلك الحين". أومأت برأسها. يمكنها قبول ذلك. فقد بقي أقل من أربعة أشهر لذلك. بالكاد تستطيع الانتظار.

"أعدك. سوف أفعل كل شيء تريده مني إلى أن أغادر".

قال مع ابتسامة كئيبة للابنة التي أحبها كثيراً: "يستحسن ذلك، وإلا فقد أغيّر رأيي".

قالت وهي تبدو مثل طفلة مجدداً: "لا تفعل أرجوك! أعدك أنني سأحسن التصرف".

الشيء الوحيد الذي أسفت عليه هو أنها ستغادر القصر قبل أن يعود شقيقها. لكنها ستراه حين يعود، أو ربما يأتي هو لزيارتها، لأن لديه القليل من الأمور لفعلها في فادوز، وهو يحب السفر. لقد زار أفريقيا قبلاً مرات عدة. بالكاد تستطيع الانتظار حتى تبدأ مغامرتها. لم تكن يوماً سعيدة إلى هذا الحدّ في حياتها. وبعد ذلك، حين تعود إلى القصر، عليها قبول وضعها. مثلما قال والدها، هذا هو قدرها ونصيبها في الحياة. وربما عندئذ تستطيع العمل في المؤسسة، وإدارتها يوماً ما، لأن شقيقها غير مهتم أبداً بذلك. وحين يخلف والدها، لن يبقى لديه الوقت لهذا. لا تزال فكرة إرشاده ترعبها. إنها تعرف أنه أمر عليها مواجهته في نهاية المطاف. لكن عليها أولاً التفكير في وقتها في أفريقيا. لا تستطيع حالياً التفكير في أي شيء آخر.

"سوف تتدربين لبضعة أسابيع في جنيف قبل أن تغادري. سوف أعطيك رقم المدير، ويمكنك الطلب من سكرتيرتك أن تدبر لك موعداً معه. أو ربما يستطيعون إرسال أحد لتدريبك هنا". لا تريد معاملة خاصة منهم، وهي تريد أكثر من أي شيء آخر أن تكون مثل أي شخص آخر. ولو حتى لسنة واحدة. هذه فرصتها الأخيرة.

قالت بهدوء، من دون أن تطلعه على السبب: "سوف أذهب إلى جنيف".

قال وهو يقف: "حسناً إذاً، لديك الكثير من الأشياء للتفكير بها والكثير من الأمور للاحتفال بها". وقف قرب الباب ونظر إليها، وبدا لبرهة واحدة مثل رجل عجوز. "سوف أشتاق إليك كثيراً حين تذهبين". وسيقلق عليها باستمرار، وإن لم يقل لها ذلك. بدا متعباً وحزيناً فيما وقف قرب الباب.

قالت: "أحبك، بابا... شكراً... من كل قلبي"، وعرف هو أنها صادقة. لقد فعل الشيء الصحيح لأجلها، مهما كان الأمر صعباً عليه. وسوف يرسل أشخاصاً لحمايتها، ولا جدل أبداً في ذلك.

قال بنعومة: "أحبك، كريكي"، وابتسم لها، وغادر الغرفة فيما الدموع تملأ عينيه.

الفصل 6

بعدما سمح لها والدها بالذهاب للعمل مع الصليب الأحمر، أنجزت كريستيانا واجباتها في فادوز بطاقة متجددة، فراحت تقص الأشرطة، وتزور المرضى والكبار في السن، وتقرأ للأيتام، وتحضر المناسبات الدبلوماسية والرسمية مع والدها، من دون أي تذمر. تأثر والدها بالجهود التي بذلتها، وأمل في أن تكون مستعدة للتكيف مع واجبات حياتها الملكية حين تعود إلى القصر. بالكاد تستطيع الانتظار للذهاب إلى أفريقيا في يناير، وقد تلقت رسالة من مارك، التي سمعت عبر مصادر سرية أن كريستيانا ستذهب إلى أفريقيا. شكرتها مجدداً على جهودها حين التقتا، وتمنت لها التوفيق في مغامرتها الجديدة. كانت متحمسة لأجلها. قالت إنها ستكون تجربة لن تنساها أبداً. لا تزال مارك تذهب إلى أفريقيا كلما أتيحت لها فرصة، وقالت إنها قد تذهب للزيارة حين تكون كريستيانا هناك.

لم تكن كريستيانا ولا والدها مستعدين لردة فعل فريدي حين أرسلت كريستيانا بريداً الكترونياً إلى شقيقها تخبره فيه عن مشاريعها. ثار سخطه الشديد، وعارض الفكرة بشدة. اتصل بوالده، وفعل كل ما يمكن لإقناعه بتغيير رأيه. لكنّ والده بقي ثابتاً على موقفه، الأمر الذي أراح كريستيانا. وبعد مناقشة الأمر مع والده من دون جدوى، قرر فريدي الاتصال بها بنفسه.

قال بغضب: "هل فقدتِ صوابك؟ بمَ تفكرين، كريكي؟ أفريقيا خطرة، وليس لديك فكرة عما تفعلينه. سوف يقتلك السكان الأصليون في ثورة محلية، أو ستمرضين. لقد ذهبت إلى هناك، أفريقيا ليست المكان المناسب لك. لا بد

أن البابا أصبح مجنوناً". شعرت بالارتياح لأن فريدي لم يتمكن من ثني والدهما عن قراره، رغم أنه حاول ذلك بلا شك.

قالت بمرح رغم أن غضبه أزعجها قليلاً: "لا تكن سخيفاً، لقد قضيت شهراً كاملاً هناك السنة الماضية، وقضيت وقتاً رائعاً".

قال بعناد: "أنا رجل"، فيما برمت هي عينيها. تكره أن يقول أشياء مثل هذه.

"لا تكن سخيفاً. وما الفرق في ذلك؟"

"لست خائفاً من الأسود والأفاعي"، قال لها وهو يبدو مزهواً بنفسه. كان أكيداً من أنها تخاف جداً من الاثنين.

قالت بشجاعة: "ولا أنا أيضاً"، رغم أنها لم تكن متحمسة أبداً للأفاعي.

"أوه طبعاً لا. لكنك كدت تصابين بنوبة قلبية حين وضعت أفعى في سريرك"، ذكّرها، وضحكت هي.

"كنت في التاسعة".

"بالكاد أنت أكبر الآن. يفترض أن تكوني في القصر حيث تنتمين".

"وأفعل ماذا؟ ليس لديّ شيء هنا، وأنت تعرف ذلك".

"يمكنك الذهاب إلى حفلات العشاء مع البابا، أو العثور على زوج. افعلي ما يفترض بالأميرات فعله". كانت لا تزال تحاول تصوّر ذلك. "سمعت بالمناسبة أن فيكتوريا عقدت خطوبتها مجدداً. إنه ولي عهد الدانمارك؟ لن تدوم الخطوبة طويلاً". لم تناقشه كريستيانا في الأمر، فهما يعرفانها جيداً. في الواقع، إن كريستيانا سمعت من أحد أقاربها الألمان أن فيكتوريا بدأت تسأم معه، رغم قول الجميع إنه رجل لطيف جداً. لم تتخيلها كريستيانا وهي تتزوج من أي شخص كان، على الأقل في الوقت الحاضر. تمتم فريدي، "فتاة غبية، إنها مهووسة بالزواج. لا أرى أي رجل يستطيع تحمل الزواج منها، رغم ضرورة الاعتراف بأنها مرحة جداً".

سألت كريستيانا بتذمر: "ماذا عنك أنت؟ متى ستعود إلى القصر. ألم تضجر بعد؟"

قال وهو يبدو خبيثاً: "لا، أنا أستمتع كثيراً".

"حسناً، الجو ليس ممتعاً هنا من دونك. أنا ضجرة جداً".

"هذا ليس عذراً للذهاب إلى أفريقيا ومحاولة تعريض نفسك للقتل". بدا في الواقع قلقاً جداً عليها. صحيح أنه كان يضايقها باستمرار، وقد عذبها حين كانت طفلة، لكنه يعشقها وشعر بالأسف لأنها ستكون قد ذهبت حين يعود هو إلى المنزل. كان يفكر جدياً في الذهاب لزيارتها، إذا أصرت فعلاً على ما اعتبره مشروعاً مجنوناً.

طمأنته قائلة: "لن أتعرض للقتل، لن أنخرط في الجيش. سوف أعمل مع الصليب الأحمر في مرفق مخصص للنساء والأطفال".

"ما زلت أظن أنه يمكنك البقاء في القصر. كيف حال والدي؟" سأل بطريقة عفوية. كان يشعر قليلاً بالذنب لأنه غاب عن المنزل لفترة طويلة. ولكن ليس بالذنب كفاية لكي يعود إلى المنزل.

"إنه بخير. يعمل كثيراً مثل المعتاد. لمَ لا تحاول العودة في 25 الشهر قبل أن أذهب؟"

"لديّ الكثير من الأشياء التي أريد رؤيتها في الصين. هونغ كونغ، بيكين، سنغافورة، شانغهاي، وأريد التوقف في بورما لرؤية أصدقاء في طريق العودة".

"سوف نكون حزينين هنا من دونك. ونحن أصلاً كذلك".

قال وهو يضحك: "لا. لن تكونا، سوف تكونان مشغولين جداً في الاستمتاع في غشتاد". إنهم يذهبون دوماً إلى هناك لقضاء عطلة العيدين، لكن حتى الذهاب إلى هناك سيكون أقل متعة هذه السنة من دونه. كانت تحب التزلج معه، رغم أن كريستيانا ووالدها كانا يشاهدان الأصدقاء والأقارب هناك

كل سنة. إنه جزء ممتع من حياتهم. وسوف تغادر هي بعد فترة وجيزة من ذلك.

قالت وقد شعرت بالحنين لبرهة: "أنا مشتاقة فعلاً إليك، وأنت تعرف ذلك"، كان جميلاً التحدث معه، حتى لو لم يوافق على مشاريعها. كان يخاف جداً عليها، وهو يفعل ذلك منذ أن كبر. لكن ما زال يصعب عليها التخيل أنه سيصبح أميراً حاكماً يوماً ما. لا تحب التفكير في ذلك، لأن هذا سيحصل على الأرجح فقط حين لا يكون والدها موجوداً، على أمل ألا يحصل ذلك قريباً. في غضون ذلك، لا يفعل فريدي شيئاً سوى اللعب. ليس لديه رغبة في قضاء الوقت في فادوز الصغيرة. إنه يشعر بالضجر أكثر من كريستيانا حين يكون هناك، وينجز واجبات رسمية أقل مما تفعل هي. لم يكن يوماً مهتماً بمثل هذه الأمور السطحية. كان يتخلى عن مسؤولياته ويهرب كلما أتيحت له الفرصة.

قال فريدي برفق: "وأنا مشتاق إليك أيضاً، وماذا سمعت عن ذهابك إلى روسيا؟ قال لي والدي شيئاً عن هذا، لكنني لم أستوعب الأمر تماماً. ماذا كنت تفعلين هناك؟" أخبرته عن الهجوم على المدرسة في ديغورا، والرهائن الذين تم اختطافهم، والعدد المرعب للقتلى، والأشياء المريعة التي رأتها أثناء تواجدها هناك. بدا مصدوماً، وفهم أكثر السبب الذي دفعها إلى التطوع في الصليب الأحمر."ما الذي يحصل لك، كريكي؟ لن تذهبي وتصبحي راهبة أو شيئاً مثل هذا، أليس كذلك؟" لم يستطع حتى تخيل ذهابها إلى روسيا وقضاء ثلاثة أيام في أزمة رهائن، والعمل مع الصليب الأحمر. لقد شاهد الهجوم في الأخبار، لكن لم يخطر في باله أبداً أن يصعد إلى طائرة، ويذهب إلى مسرح الأحداث للمساعدة. كان هذا آخر أمر سيخطر في باله. ورغم أنها كانت تحبه بجنون، إلاّ أن كريستيانا عرفت أنه رجل مدلل كثيراً، ومنغمس في ملذاته الذاتية.

قالت ضاحكة: "لا، لن أصبح راهبة".

"هل من رجال سيئين يجدر بي طردهم حين أعود إلى المنزل؟"

قالت وهي تبتسم: "ولا واحد"، لم تواعد رجلاً منذ أن غادرت بيركلي في يونيو. لقد ابتعدت أربعة أعوام وفقدت الاتصال مع الأصدقاء القلائل الذين كانوا لديها في الوطن. لطالما كانت حياتها حياة منعزلة. "أنت الرجل السيىء الوحيد الذي أعرفه".

قال بفخر: "نعم، أفترض أنني هكذا، أليس كذلك؟" كان يسرّ دوماً بمناداتها له هكذا. لم تكن لديه رغبة في أن يكون أي شيء آخر سوى هذا، وسيبقى كذلك ربما لوقت طويل. إنه بعيد عن الصحافة على الأقل في الوقت الحاضر، في طوكيو. لم يتورط في فضيحة، أو علاقة عاطفية ساخنة، خلال الشهرين الماضيين. "ولا تظنني أنك هربت في حيلتك الأفريقية"، تذكر فجأة، وهددها مجدداً. "لن تتمكني من ثنيي عن الموضوع بهذه السرعة. لديّ كل النية للاتصال بوالدي مجدداً".

"لا تتجرأ على فعل ذلك".

"أنا جاد. أظن أنها خطة مريعة تماماً".

"حسناً، أنا لا. لن أبقى جالسة هنا أقصّ الأشرطة فيما أنت تستمتع وتجوب العالم. كم من فتيات الجيشا ستحضر معك إلى المنزل؟" قالت له ممازحة.

"ولا واحدة. بالإضافة إلى ذلك، لم أذهب إلى الصين بعد. سمعت أن الفتيات جميلات جداً في شانغهاي. وقد دعيت للتو إلى فيتنام".

قالت وهي تبدو أكثر مثل الأخت الكبرى وليس الصغرى: "أنت رجل ميؤوس منه، فريدي"، في الواقع، إنها تشعر هكذا أحياناً. كان محبوباً جداً، وإنما في الوقت نفسه غير مسؤول البتة. تساءلت ما إذا كان سيتزوج يوماً ما. لا تستطيع تخيل ذلك، علماً أنه أصبح في السنوات الأخيرة أحد أشهر الرجال المنغمسين في الملذات في أوروبا، وهذا أمر لم يرضِ والده. توقع من فريدي أن يتزوج امرأة تستحقه في أحد الأيام، ويتوقف عن مطاردة العارضات والنجمات الصاعدات. الأميرة الوحيدة التي أقام معها علاقة عاطفية كانت

متزوجة. إنه فاسد تماماً. قال عنه زوج الأميرة التي تورط معها في الصحافة إنه نذل، فأجاب فريدي أنه يشعر بالإطراء لأن الرجل فكّر فيه بهذا النبل. عرفت كريستيانا نوعاً ما أنه من الأفضل ألا يكون في القصر. فطالما هو مستمر في التفكير بهذه الطريقة، فإن كل ما يفعله سيزعج والده. على الأقل تبقى الحماقات التي يرتكبها في طوكيو بعيدة عن أنظار الجميع. ذكرته قبل أن يقفل الخط: "فكّر في العودة قبل عيد الميلاد".

"فكّري في العودة إلى صوابك والبقاء في القصر. انسي أفريقيا، كريكي. سوف تكرهينها. تذكري فقط كل الأفاعي والحشرات".

"شكراً لك على التشجيع. وفكّر في العودة قبل أن أغادر أنا. وإلا، لن أشاهدك قبل ثمانية أشهر على الأقل".

"قد تفكرين ربما في أن تصبحي راهبة"، كانت عبارته صارمة. طلبت منه أن يحسن التصرف، وأرسلت له قبلة، وأقفلت الخط. كانت تقلق بشأنه أحياناً. إنه غير مهتم أبداً بالمهنة التي يجيدها والدها تماماً، والتي سيرثها هو يوماً ما. أملت فقط أن ينجح في النضوج قبل أن يرث العرش. كان والدها يشاركها الأمل نفسه، لكنه يصبح قلقاً بشأن ذلك عاماً بعد عام.

ذكرت كريستيانا تلك الليلة أنها تحدثت معه. تنهد والدها، وهزّ رأسه.

"أنا قلق لما سيحلّ بالبلاد حين يتولى هو زمام الحكم. صحيح أن اليشتنشتاين هي دولة صغيرة، لكنها تمتلك اقتصاداً مزدهراً، وهذا أمر لم يحصل بالصدفة. كانت كريستيانا مطلعة على سياسات الدولة واقتصادها أكثر من شقيقها. وكان والدها يعتبر أحياناً أنه من المؤسف ألا يكون عمرهما، وجنسهما، وشخصيتاهما معكوسة. إنه يكره أن تكون لديه ابنة متهتكة، وهي ليست كذلك، لكنه يكره أكثر أن يكون ولي العهد شاباً مستهتراً وغير مسؤول. إنها مشكلة يتوجب عليه حلها. لكنّ الوقت ما زال إلى جانبهم لغاية الآن، ولحسن الحظ أن الأمير هانس جوزف ما زال يتمتع بصحة جيدة رغم أنه بلغ مؤخراً السابعة والستين. من المفترض ألا يصبح فريدي أميراً حاكماً عما قريب.

مضى الشهران التاليان فيما أنجزت كريستيانا واجباتها بحماس متجدد. أرادت فعل كل شيء بأفضل ما يمكن قبل أن تغادر إلى أفريقيا، لكي تظهر لوالدها كم هي ممتنة لسماحه لها بالذهاب. أمضت أسبوعين في جنيف للتدرب في الصليب الأحمر. ونالت شهادة في الإسعافات الأولية المتقدمة. كانت معظم الدروس التي تلقتها تتمحور حول البلد الذي ستعيش فيه، والقبائل المحلية، وعاداتها، والمخاطر المحتملة للوضع السياسي الحالي، والأشياء التي يجدر بها الحذر منها، والأخطاء التي لا يجدر بها ارتكابها لعدم إهانة السكان المحليين. تلقت دورة مكثفة حول الإيدز، لأن المرفق الذي ستعمل فيه معد خصيصاً لهذا الغرض. وكانت هناك أيضاً تحذيرات عدة من الحشرات الواجب الانتباه منها، والأمراض الواجب التلقيح ضدها، وكيفية التعرف إلى مجموعة منوعة من الأفاعي السامة. خلال فترة التدريب، تساءلت، وإن لبرهة واحدة فقط، ما إذا كان فريدي محقاً. إنها تكره الأفاعي. أخبروها عن نوع المعدات التي تحتاج إليها، والمسؤوليات التي ستلقى على عاتقها، ونوع الثياب الواجب إحضارها. كان رأسها مليئاً بكل تلك المعلومات حين عادت إلى فادوز. بدأ طبيب القصر يعطيها اللقاحات الضرورية. في الإجمال، عليها تلقي تسعة لقاحات، علماً أن العديد منها قد يجعلها مريضة. تلقت لقاحات لالتهاب الكبد من الفئتين "أ" و"ب"، والتيفوئيد، والحمى الصفراء، والتهاب السحايا، وداء الكلب، ولقاحات محصنة لداء الكزاز، والجديري، والشلل. كما يتوجب عليها تناول أدوية مضادة للملاريا حين تسافر، وقبل ذلك وبعده. لكن بدا الأمر يستحق العناء برأيها. والشيء الوحيد الذي ما زالت قلقة بشأنه قليلاً هو الأفاعي. اشترت زوجين من الجزمات المتينة، وطلب منها رجّ الجزمتين جيداً عند نهوضها من النوم، وقبل انتعالهما، في حال دخل شيء إليهما خلال الليل؛ وهذه ليست فكرة جيدة. لكنّ كل شيء آخر بدا جيداً بالنسبة إليها، ولاسيما العمل. سوف تذهب لمساعدة الفريق الطبي المحترف والعمال الآخرين، كنوع من المساعدة الكريمة خلال فترة تواجدها هناك. نتيجة ذلك، يصعب تحديد وظيفتها قليلاً، وسوف تعرف عنها أكثر حين تصل إلى هناك. إنها مستعدة، وقادرة، وراغبة

في أداء أي عمل يطلب منها. في الواقع، إنها بالكاد تستطيع الانتظار.

قبل أسبوعين من 25 كانون الأول، مباشرة بعد انتهاء التدريب في جنيف، ذهبت مع والدها إلى باريس لحضور زفاف. سوف يتزوج أحد أقاربها من جهة أمها. إنها أميرة تتزوج دوقاً. كان الزفاف بحدّ ذاته مذهلاً، في كاتدرائية نوتردام، فيما جرى حفل الاستقبال في فندق جميل في شارع فارين. كانت الأزهار رائعة، وقد جرى التفكير في كل التفاصيل الممكنة. ارتدت العروس فستاناً رائعاً من دار شانيل للأزياء الراقية مع وشاح غطى وجهها. كان هناك أربعمئة مدعو في الزفاف الذي حضره أشخاص ملكيون من كل أنحاء أوروبا، ونخبة المجتمع الباريسي وأكثره رقياً. كان الزفاف في تمام الساعة الثامنة مساء، وارتدى العريس والرجال بذلات بيضاء. أما النساء فارتدين فساتين سهرة مذهلة. ارتدت كريستيانا فستاناً من المخمل الأزرق المزخرف بالأسود، ووضعت طقم الياقوت الذي كان لأمها. شاهدت فيكتوريا هناك، وقد فسخت للتو خطوبتها من الأمير الدانماركي. أصبحت متهورة أكثر من أي وقت مضى، وبعد أن أصبحت عازبة مجدداً، قالت إن الأمر يريحها كثيراً.

سألت فيكتوريا كريستيانا مع نظرة خبث في عينيها: "متى سيعود شقيقك المزعج إلى البلاد؟"

أجابت كريستيانا، "على هذا المعدل لن يعود على الإطلاق، يقول إنه لن يعود قبل الربيع".

"اللعنة. يا للأسف. كنت سأدعوه للمجيء معي إلى تاهيتي لقضاء رأس السنة". قالت ذلك بطريقة جعلت كريستيانا فجأة تتساءل ما إذا كانت فيكتوريا تحاول التودد إليه.

قالت كريستيانا، وهي تلقي نظرة سريعة حولها: "ربما سوف يلاقيك هناك"، إنها إحدى أجمل حفلات الزفاف التي حضرتها.

أحيطت العروس بمجموعة من الأولاد الصغار، الذين حملوا سلالاً من

الساتان مليئة ببتلات الأزهار، كما هي العادة في فرنسا. "أظن أنه موجود الآن في الصين"، قالت بغموض. لقد شاهدت للتو صديقة لها في القاعة، لم ترَها منذ أعوام عدة. غادر والدها في الساعة الثانية من بعد منتصف الليل، فيما الحفلة لا تزال في أوجها. لكنّ كريستيانا بقيت مع معظم الشباب حتى الساعة الخامسة فجراً. كان العريس والعروس لا يزالان موجودين هناك في هذه الساعة أيضاً، يرقصان بجنون. انتظرت السيارة كريستيانا خارجاً، مع حراسها، وعادت في السادسة تقريباً إلى فندق الريتز حيث نزلت هي ووالدها. كان حفلاً مميزاً، ولم تستمتع بهذا القدر منذ أعوام عدّة.

لم تكفّ كريستيانا عن التفكير؛ فيما نزعت عنها طقم الياقوت الأزرق وفستان السهرة ووضعتهما على كرسي، أن الحياة التي تعيشها في أوروبا بعيدة كل البعد عن الحياة التي ستعيشها في أفريقيا أثناء العمل مع الصليب الأحمر. لكن رغم المرح الذي تعيشه بين الحين والآخر، فإن الحياة التي ستبدأها قريباً هي تماماً ما تريده. كانت لا تزال تفكر في الأمر حين استلقت على سريرها مع ابتسامة على وجهها.

أمضت هي ووالدها بقية عطلة نهاية الأسبوع في باريس. ذكّرها بكآبة نوعاً ما، أثناء سيرهما في ساحة الفاندوم عائدين إلى الفندق، أن الوقت لم يفت بعد لتغيير رأيها بشأن العمل مع الصليب الأحمر. ما زال باستطاعتها تغيير مشاريعها والعودة إلى السوربون. وما إن قال ذلك، حتى نظرت إليه وابتسمت.

"بابا، لن أغيب لوقت طويل جداً". رغم أنها كانت تأمل في تمديد إقامة الستة أشهر إلى سنة، إذا سمح بذلك.

قال حزيناً: "سوف أشتاق إليك كثيراً".

"وأنا أيضاً. لكنّ الأمر سيكون رائعاً. ومتى ستتاح لي فرصة فعل ذلك مجدداً؟" الآن هو الوقت المناسب، فيما لا تزال شابة. لاحقاً، حين تتحمل المزيد من المسؤوليات، سيتضاءل احتمال إمكانية ابتعادها، وهما يعرفان ذلك

تماماً. لقد أعطاها وعده، ولذلك لن يتراجع عن كلمته. لكنه يكره رؤيتها وهي تغادر.

شجعها والدها على البقاء في باريس ليوم إضافي بعد ذلك، أو أكثر إذا أرادت. لكنّ مغادرتها قريباً إلى أفريقيا جعلتها تشعر بالذنب لتركه وحيداً لوقت طويل. إنه متعلق جداً بها، ويشتاق إليها كثيراً حين تبتعد. كانت سنواتها في بيركلي صعبة جداً عليه. إنه قريب من كريستيانا أكثر من ابنه، ويستمتع كثيراً بمناقشة مسائل الإمارة معها، ويقيّم آراءها.

يوم الاثنين، ذهبت هي وفيكتوريا للتسوق في فوبورغ سانت هونوريه وجادة مونتاني، تناولتا الغداء في لافنيو، حيث يحب فريدي عادة انتقاء العارضات. كانت أماكنه المفضلة الكوست، وبان دوش، ومان راي وبودا بار. إن فريدي مولع جداً بباريس، وكذلك هي كريستيانا. عادت هي وفيكتوريا إلى غرفتها في الريتز في نهاية يوم طويل، وطلبتا العشاء إلى الغرفة. لا تزالان متعبتين جداً بعد الزفاف. افترقتا أخيراً عن بعضهما صباح الثلاثاء في المطار. ذهبت كريستيانا إلى زيوريخ وفيكتوريا إلى لندن، على أمل اللقاء مجدداً. قالت فيكتوريا إنها ستأتي إلى غشتاد للبقاء معها إذا لم تذهب إلى تاهيتي. فهي لم تعد مخطوبة الآن، وباتت حرة تماماً، ولذلك أملت كريستيانا في أن تراها مجدداً قبل أن تغادر.

لديها الكثير من الأمور في فادوز هذه الأيام. صدر إعلان رسمي من القصر يقول إنها ستكون مسافرة خلال الأشهر الستة المقبلة، من دون تحديد مشاريعها أو مقصدها. فمسائل الأمن تصبح أكثر بساطة بهذه الطريقة، وكانت مصممة على ألا يعرف أحد أنها أميرة أثناء عملها مع الصليب الأحمر. وما إن تم الإعلان عن سفرها، حتى أرادها الجميع فجأة لحضور الاحتفالات، ومناسبات الافتتاح، والحفلات الراقصة، والمباركات. حاولت المشاركة في أكبر قدر ممكن من المناسبات، وكانت مرهقة حين غادرت هي ووالدها إلى غشتاد في الأسبوع التالي. إنهما يستمتعان دوماً هناك. ثمة منتجع راقٍ جداً

للتزلج، مليء بالأميركيين والأوروبيين، والرجال الوسيمين، وملكات الجمال، ونجوم السينما، وأفراد العائلات المالكة. إنه أحد مواقع العطلات القليلة المخصصة للأغنياء جداً والذي تستمتع به كريستيانا. فهي ووالدها يعشقان التزلج، ويقضيان وقتاً رائعاً هناك كل سنة.

احتفلت هي ووالدها بالعيد بهدوء معاً، من ثم ذهبا إلى قداس منتصف الليل، وحاولت الاتصال بفريدي في منتصف الليل، لكنّ خطه كان مقفلاً. بدا غريباً عدم وجوده هنا معهما، واتصل هو بهما في صباح اليوم التالي. سأل عن زفاف البوربون في باريس، وأخبرته عن دعوة فيكتوريا الغريبة نوعاً ما له للذهاب إلى تاهيتي. قال إنه يأسف لتفويت الفرصة، لكنه قد يذهب معها في الفصح. وبعدما توسل أخته لإعادة النظر في مشاريعها، تمنى لهما عيداً مجيداً، وأقفل الخط.

بقيت كريستيانا مع والدها في غشتاد، مثلما يفعلان دوماً، حتى ما بعد رأس السنة، وذهلت حين أدركت بعد عودتهما أنه لا يزال أمامها أربعة أيام فقط في فادوز قبل المغادرة. وبرأي والدها، مرّت الأيام الأخيرة بسرعة كبيرة. أراد الاستمتاع بكل لحظة معها. لكنّ مسؤولياته كانت تأخذ الكثير من وقته. دخل إلى غرفتها في اليوم الأخير وهو يبدو حزيناً. كانت مشغولة في توضيب حقائبها، ونظرت إليه حين دخل. حتى الكلب المستلقي قرب حقيبتها بدا حزيناً.

قال وهو يبدو غير سعيد: "سوف نشتاق إليك أنا وتشارلز".

"هل ستعتني به نيابة عني؟" سألت والدها وهي تعانقه. سوف تشتاق إليهما هي أيضاً. لكنها لا تستطيع الانتظار حتى تبدأ رحلتها الكبيرة.

"نعم، سأفعل. لكن من سيهتم بي؟" كان يمزح جزئياً. فقد اعتمد على صحبتها أكثر مما كان ليفعل لو بقيت زوجته على قيد الحياة، أو لو كان فريدي موجوداً أكثر في حياته أو كان رفيقاً أفضل. إنه غير موجود أبداً، وحين يفعل، يسبب له المشاكل والهموم أكثر مما يمنحه الصحبة أو الدعم.

تحدث والد كريستيانا إليها، وفتح لها قلبه مثلما لم يفعل تجاه أي شخص آخر في حياته.

"سأعود قريباً بابا. وسوف يعود فريدي خلال شهر أو شهرين". برم والدها عينيه، وضحكا كلاهما.

"لا أظن أن شقيقك سيهتم يوماً بي، أو بأي شخص آخر. وأظن أنني سأخاف إذا فعل. الباقون سيهتمون به". عرف كلاهما أنه محق، وضحكت كريستيانا مجدداً، رغم أنهما تشاركا القلق نفسه بشأن ما سيحدث بالبلاد حين يصبح فريدي الأمير الحاكم. بدأ والد كريستيانا يأمل في أن تصبح هي المستشارة الرئيسية لشقيقها، عندما يحصل ذلك، سيحاول تعليمها قدر المستطاع. لا تزال تلميذة مجتهدة، وابنة محببة، لا تتهرب من المسؤوليات، ولا تخذله أبداً، مما سيجعل غيابها أكثر بروزاً، رغم أنه عرف في قرارة نفسه أنه يفرض عليها الكثير من الأعباء في بعض الأحيان.

قالت كريستيانا: "أنا واثقة من أنه سينضج في أحد الأيام، بابا"، وهي تحاول أن تبدو واثقة وآملة، وإن كانت متحفظة.

"أتمنى لو أشاركك تفاؤلك. أشتاق إلى الولد، لكنني لا أشتاق إلى الفوضى التي يولّدها حين يكون هنا. الوضع هادئ جداً هنا من دونه". إنه صادق دوماً معها، مثلما هي صادقة معه.

"أعرف. لكن لا يوجد أحد مثله، أليس كذلك؟" قالت وهي تبدو مثل أخت تحب أخاها، وهي كذلك فعلاً. لقد كان بطلها حين كانت فتاة صغيرة، رغم أنه ضايقها دوماً، ولا يزال كذلك حتى الآن. "سوف أتصل بك حين أستطيع بابا. يبدو أن لديهم هواتف في المكتب هناك، وإن كانت غير موثوقة كثيراً، حسب ما قيل لي، وتنقطع الخطوط أحياناً لأسابيع. وكل ما نستطيع فعله حينها هو المخابرات اللاسلكية. لكنني سأتصل بك بطريقة ما، أعدك". عرفت أن حراسها سيتوصلون إلى شيء ما، بحيث تتمكن من إيصال الرسائل إلى والدها لطمأنته. لا يجرؤون على فعل غير ذلك، وإلا سيجبرها على العودة، إذا جعلته

يقلق كثيراً. سوف تفعل كل ما باستطاعتها للبقاء على اتصال معه، مهما كانت الطريقة. ولا تزال تأمل في أن يسمح لها بتمديد مدة رحلتها. أرادت أن تبقى السنة كلها.

كانت ليلتهما الأخيرة حلوة ومرة. تناولا العشاء في غرفة الطعام الخاصة، وتحدثا عن مشاريعها. سألته عن بعض السياسات الاقتصادية الجديدة التي اعتمدها للتو، وعن ردة فعل البرلمان تجاهها. كان مسروراً لسؤالها، واستمتع بمناقشة الأمر معها. لكنّ هذا ذكّره مجدداً كم ستكون حياته موحشة من دونها. لم تغادر بعد، وينتظر عودتها بفارغ الصبر. أراد أن تمرّ الأشهر المقبلة بسرعة، لكنه عرف أنها لن تفعل ذلك. فمن دون النور الساطع الذي توفره في حياته، ستكون الأيام بطيئة. فكّر بطريقة أنانية وأراد أن تعود بعد الأشهر الستة الرئيسية. وحين ذكر لها الأمر، طلبت منه الانتظار ليقرر. قد تكون مستعدة هي نفسها للعودة في ذلك الحين، أو قد تحتاج ربما إلى بعض الأشهر الإضافية لإنهاء ما بدأته. طلبت منه التحلي بعقل منفتح، ووافق. كانت مناقشاتهما منطقية، وعاطفية، وناضجة دوماً. وفي العديد من النواحي، كانت هي من الأسباب الرئيسية التي لم تجعله يتزوج ثانية. فمع وجود كريستيانا برفقته، وتحدثها إليه، لا يحتاج إلى زوجة، ولا يريد واحدة. بالإضافة إلى ذلك، شعر أن الوقت قد تأخر كثيراً في حياته للشروع مجدداً. وقبل ذلك، كان مشغولاً جداً. كان مرتاحاً الآن بالنسبة لوضعه، رغم أنه سيصبح أقل ارتياحاً حين تذهب. قبّلها، وتمنى لها ليلة طيبة، وقد بدأ يبكي غيابها.
ثم في صباح اليوم التالي تناولا الفطور. كانت ترتدي سروال جينز أزرق استعداداً للرحلة الطويلة، وربما لن ترتدي شيئاً آخر طوال السنة المقبلة. أخذت معها فستاناً واحداً فقط، في حال احتاجت إليه، وتنورتين طويلتين أحضرتهما معها من كاليفورنيا، وبعض السراويل القصيرة التي كانت ترتديها في الجامعة، وكدسة من الجينزات، والقمصان القطنية، والقبعات، وشبكة البعوض، وطاردات الحشرات، وأدوية الملاريا، وجزمات متينة، وأحذية قوية لحمايتها من الأفاعي المرعبة.

"ليس الأمر أسوأ مما كان عند عودتي إلى الجامعة بعد الأعياد، بابا. خذ

الأمر بهذه الطريقة"، حاولت تعزيته. بدا كئيباً وحزيناً جداً قبل رحيلها.

"أودّ التفكير في أنك موجودة هنا".

بالكاد استطاع التكلم حين ودعها. عانقها طويلاً، وقبّلت هي وجنته بطريقة ودودة، مثلما تفعل دوماً. "تعرفين كم أعتمد عليك، أليس كذلك، كريكي؟ إعتني بنفسك".

"سأفعل. سوف أتصل بك بابا. أعدك. إعتني بنفسك أنت أيضاً". كان وداعه أصعب مما اعتقدت، وعلقت الغصة في حنجرتها. عرفت كم يحتاج إليها، وكرهت تركه لوحده. عرفت كم سيكون الوضع موحشاً بالنسبة إليه. لكن هذه المرة فقط، هذه المرة الأخيرة، قبل أن تستلم مهامها الملكية إلى الأبد، إنها تحتاج إلى حياتها الخاصة".

قال بنعومة: "أحبك، كريكي"، بعد ذلك، التفت إلى الحارسين الجالسين خلفها ووجه إليهما نظرة صارمة. "ابقيا بالقرب منها طوال الوقت". لا مجال لمخالفة أوامره. إنهما الرجلان اللذان رافقاها إلى روسيا، صاموئيل وماكس. كانا متحمسين بقدرها هي لمغامرتهما الجديدة، وكانت هي مرتاحة ومذعنة لوجودهما معها. أصرّ والدها على ذلك. إنه الشرط الوحيد الذي لا يتنازل عنه أبداً، ولذلك قبلت كريستيانا في النهاية. شعرت أنه من الغباء قليلاً وجود حارسين معها، لكنّ مدير مخيم الصليب الأحمر قال إنه يفهم تماماً الحاجة إليهما. إنه مدرك تماماً لوضعها، وطمأنها في البريد الالكتروني أنه لن يكشف عن هويتها. إنه الشخص الوحيد الذي يدرك أن جواز سفرها لا يحمل اسم شهرة، الأمر الذي قد يكشف سرها أمام الأشخاص المطلعين على مثل هذه الأمور، وإن كانوا قلائل عموماً. كانت مارك مدركة تماماً لذلك، لأنها عملت مع أفراد من العائلة المالكة قبلاً. لكنّ الآخرين غير مدركين. إلا أن كريستيانا لم تشأ المجازفة. فالشيء الوحيد الذي لا تريد أن يعرفه أحد هو أنها أميرة. أرادت أن تتم معاملتها مثل أي شخص آخر هناك. لا تريد أن يناديها أحد صاحبة السمو أو سيدتي، وخصوصاً حارسيها، اللذين سيقال عنهما إنهما

صديقان متطوعان حضرا معها. فكّرت كريستيانا في كل شيء، وغطت كل قواعدها. ولغاية الآن، كان مدير المرفق متعاوناً تماماً معها.

قالت فيما صعدت إلى السيارة: "أحبك بابا"، أغلق والدها الباب، أراد أن يذهب إلى المطار معها، لكن عليه الاجتماع بكل وزرائه هذا الصباح، للتحدث عن السياسات الاقتصادية التي ناقشتها معه كريستيانا في الليلة الفائتة. لذا، ودعها في القصر.

"أنا أيضاً أحبكِ كريكي، لا تنسي ذلك، إعتني بنفسك، كوني حذرة"، حذرها مجدداً، وانحنى فوق النافذة لتقبيل يدها. فالرابط الذي نشأ بينهما خلال الأعوام التي تلت موت أمها كان قوياً جداً.

"وداعاً"، صرخت ولوّحت له فيما ابتعدت السيارة. وقف ولوّح لها حتى خرجت السيارة من البوابة، وانعطفت واختفت. وقف حينها منحني الرأس ودخل ببطء إلى القصر. لقد فعل ذلك لأجلها، وسمح لها بالذهاب إلى أفريقيا لجعلها سعيدة. لكن بالنسبة إليه، ستكون ستة أشهر أو سنة بائسة من دونها. وفيما دخل إلى القصر، مشى الكلب بحزن خلفه. فمن دون الحضور الحيوي لكريستيانا، أصبحا مثل ثنائي حزين ووحيد.

الفصل 7

في ذلك الصباح، أقلعت رحلة كريستيانا من زيوريخ إلى فرانكفورت باكراً. جلس الحارسان في درجة الأعمال، فيما كانت هي في الدرجة الأولى. ورغم أنها حذرتهم بألا يفعلوا ذلك، فلقد أبلغ القصر سراً الخطوط الجوية بأنها موجودة على متن الرحلة. وهذا هو الأمر الذي لم ترده قط، وقد أزعجها كثيراً. كل ما استطاعت فعله هو تعزية نفسها بأنها لن تكون مميزة خلال السنة المقبلة. لا تريد أن تكون كذلك. إن الذهاب بعيداً إلى أفريقيا، والعمل مع الصليب الأحمر، هو فرصتها الأخيرة لتكون شخصاً عادياً، من دون الأعباء التي تترتب تلقائياً عليها في حياتها. خلال الأشهر المقبلة، لا تريد أياً من المزايا الملكية. لا شيء على الإطلاق. تريد أن تكون تجربتها هناك تماماً مثل تجربة أي شخص آخر، للأفضل أو الأسوأ.

حين بدلت الرحلة في فرانكفورت، شعرت بالامتنان لأن أحداً لم يعرف من تكون. لم يكن هناك أحد للقائها أو إلقاء التحية عليها، لا أحد لمساعدتها في تبديل الطائرات، ولا انتباه خاص. حملت بنفسها حقيبة ظهرها وحقيبة يدها، فيما تولى الحارسان حمل حقائبهما وحقائبها. تحدثوا بطريقة ودودة لبضع دقائق بين الرحلتين، وحاولوا تصور ما سيكون عليه الوضع. رأى سام أن الوضع سيكون صعباً. فقد ذهب إلى أفريقيا قبلاً. لكنّ المدير في جنيف طمأنها بأن الوضع سيكون مريحاً، وأصرت كريستيانا على أنها لا تبالي، وكانت تقصد ذلك تماماً. إنها ترغب تماماً في عيش حياة صعبة مع الآخرين، إذا كان الأمر كذلك. وعدها بالحفاظ على هويتها مجهولة، وكانت تعتمد على ذلك.

وإلا، سيفسد كل شيء بالنسبة إليها. برأيها، هذه آخر فرصة لها في الحياة الحقيقية، قبل أن تكرّس نفسها للعبء الثقيل والقيود الكبيرة المترتبة عن واجباتها الملكية.

كان صاموئيل يجمع المعطيات من وزارة الخارجية الأميركية خلال الأسابيع الماضية بشأن الوضع السياسي في إريتريا، في شرق أفريقيا، حيث هم ذاهبون. إنها على حدود أثيوبيا، مما سبب لإريتريا مشاكل عدة على مرّ السنوات. وقد وقّع البلدان أخيراً هدنة قبل أعوام عدة، وعمّ السلام الآن. وتوقفت المناوشات الحدودية التي حصلت قبلاً مع أثيوبيا. وعد صاموئيل الأمير بإخباره عند تغيّر أي شيء، أو حصول أي شيء مقلق في أي مكان حولهم، وسيخرج الأميرة من البلاد عند الضرورة. لكن لا داعي للقلق على ما يبدو في الوقت الحاضر، مثلما وعدها مدير الصليب الأحمر. سوف تكون إريتريا ممتعة وآمنة. كل ما تحتاج إليه كريستيانا هو التركيز على العمل الذي بين يديها. سوف تترك مسائل الأمن لهما، ليتوليا معالجتها بأكبر سرية ممكنة. سوف يزعمون أنهم ثلاثة أصدقاء من اليشتنشتاين، قرروا تمضية السنة معاً. إنها رواية مقبولة ينوون الالتزام بها، ولا داعي لأن يشك أي شخص في المخيم في غير ذلك. وعرفت كريستيانا كم أن الرجلين كتومان.

بعد الرحلة التي امتدت عشر ساعات من فرانكفورت إلى أسمره، عبر القاهرة، ألقوا نظرة خاطفة على جواز سفرها في أسمره. لم يلاحظوا حتى غياب اسم الشهرة، مما بعث الارتياح لدى كريستيانا. لا تريد أن تلاحظها الصحافة في أي مكان خلال رحلتها، لأن وجودها في البلاد قد يدفعهم إلى ملاحقتها حتى مقصدها الأخير، وهي تريد تفادي ذلك مهما كان الثمن.

لغاية الآن، مضت أربع عشرة ساعة على رحلتهم، وشعرت كريستيانا بالتعب. نام الرجلان خلال الرحلة الطويلة. حين خرجوا من المطار، نظروا من حولهم. تلقى ماكس بريداً الكترونياً قبل مغادرتهم يؤكد أنه سيتم استقبالهم. لكن لم يؤكد أحد في ذلك الوقت اسم الشخص الذي سيأتي لاستقبالهم، أو عدد

سيارات المخيم التي سيتم إحضارها. لقد أكدوا لهم أن أحداً ما سيكون هناك، لكن يبدو أنه ما من أحد ينتظرهم.

دخلوا إلى كشك صغير واشتروا ثلاث زجاجات من صودا البرتقال. كانت المشروبات من صنع شركة أفريقية، وطعمها حلو جداً، لكنهم شربوها على أية حال إذ كان الطقس حاراً وشعروا بالعطش، رغم أنه فصل الشتاء في شرق أفريقيا، لكنّ الطقس دافئ. كان المشهد حولهم جميلاً، والهواء جافاً، والأرض مسطحة. ثمة ضوء ضبابي خفيف يغطي كل شيء تقريباً، وذكّر كريستيانا بالإشراق الدافئ للآلئ أمها. ثمة رقة في محيطهم، فيما انتظروا مجيء أحد لملاقاتهم. وفي النهاية، جلسوا على حقائبهم خارج الكشك، وبعد نصف ساعة وصل باص مدرسي أصفر قديم. كان علم الصليب الأحمر مرسوماً على جانبيه، وبدا الباص بالياً جداً، وكأنه عاجز عن السير لميل واحد إضافي. رغم ذلك، اجتاز كل الطريق من سيناف، واستغرقت الرحلة خمس ساعات.

فتح الباب، وخرج منه رجل طويل أشعث المظهر وداكن الشعر. نظر إليهم هم الثلاثة وقد جلسوا على حقائبهم، وابتسم، وأسرع لمساعدتهم، مع الاعتذار على التأخير. عند النظر إلى الباص الأصفر القديم، يستطيع الشخص بسهولة أن يحزر سبب التأخير.

"أنا آسف. أنا جيفري ماكدونالد. لقد ثقب إطار خلال الطريق، واحتجت إلى وقت طويل لتغييره. لست متعبة كثيراً، يا صاحبة السمو؟" سأل بتفاؤل لقد عرفها من صورة لها في مجلة *صاحبة الجلالة* أحضرها شخص ما، رغم أنها بدت أكثر شباباً مما توقع، ولا تزال نضرة وجميلة بعد الرحلة الطويلة.

قالت كريستيانا على الفور: "أرجوك، لا تنادني هكذا، أتمنى أن يكون المدير في جنيف قد حذرك. يكفي اسم كريستيانا لوحده".

قال معتذراً: "طبعاً"، وهو يأخذ منها حقيبة ظهرها ويصافح حارسيها. مبدئياً، لا يفترض به مد يده لها، إلا إذا فعلت هي ذلك قبلاً. وبما أنه بريطاني،

كان مطلعاً تماماً على آداب التصرف، لكنها أسرعت هي إلى مدّ يدها. صافحها بحذر مع ابتسامة خجولة. بدا مثل أستاذ شارد الذهن، وأحبته على الفور تماماً مثلما فعل الحارسان.

قالت وهي تبدو قلقة: "أتمنى ألا يكون أحد مدركاً لكل ذلك هنا".

طمأنها، "لا، على الإطلاق، في الواقع، لقد تم تحذيري، لكنني نسيت. من المثير أن تأتي أميرة للبقاء معنا، حتى لو لم يعرف أحد بذلك. سوف تتأثر أمي كثيراً"، اعترف لها، "رغم أنني لن أخبرها إلا بعد أن ترحلي". كانت هناك صبيانية غريبة فيه من الصعب عدم التعاطف معها. شعرت كريستيانا على الفور بالارتياح معه. كان ودوداً ودافئاً.

"لا أريد أن يعرف الآخرون"، شرحت كريستيانا مجدداً فيما توجهوا نحو الباص، ومشى الحارسان خلفها مباشرة، وهما يحملان الحقائب.

"أفهم. نحن متحمسون جداً لوجودك هنا. نحتاج إلى كل المساعدة الممكنة. أصيب اثنان منا بالتيفوئيد وعادا إلى منزليهما. نعاني من نقص منذ ثمانية أشهر". ثمة القليل من الحيرة والإرتباك لديه، وبدا كأنه في بداية العقد الرابع. قال إنه ولد في انكلترا لكنه عاش كل حياته في أفريقيا، وترعرع في جنوب أفريقيا، في كيب تاون، لكنه يدير المخيم في سيناف منذ أربعة أعوام خلت. قال إن المرفق تطور كثيراً منذ إنشائه. "لقد اعتادوا علينا الآن. كان السكان المحليون حذرين قليلاً منا في البداية، رغم أنهم أشخاص ودودون جداً. وبالإضافة إلى مرفق الإيدز، ندير مبدئياً مركزاً للإسعافات الطبية. يأتي طبيب مرتين في الشهر لمساعدتي". أضاف أن مرفق الإيدز الذي يديرونه ناجح جداً. هدفهم كان منع انتشار المرض، وكذلك معالجة الأشخاص المصابين به الآن. "يعجّ المركز بالمرضى. سوف تلاحظين ذلك حين نصل. ونحن نعالج طبعاً كل الأمراض المحلية أيضاً". خرج من الباص مجدداً قبل أن يغادروا، واشترى لنفسه قنينة صودا. بدا مليئاً بالغبار، ومتعباً، وشرساً قليلاً، كما لو أنه يعمل بكدّ كبير، وتأثرت كريستيانا لمجيء المدير بنفسه لاستقبالهم.

من الممتع التواجد هنا، ومحاولة استيعاب المناظر والأصوات غير المألوفة، رغم أنهم شعروا جميعاً بالدوار نتيجة الرحلة الطويلة. كان صاموئيل وماكس هادئين، يفحصان محيطهما، متيقظين على الدوام، ومدركين دوماً أن مهمتهما هي حمايتها. كل شيء جيد لغاية الآن.

حين عاد جيف، شغل محرك الباص، فأصدر سلسلة من الأصوات المريعة، وأطلق الدخان، وارتج فجأة كما لو أنه عاد إلى الحياة. التفت إلى صاموئيل وماكس مع ابتسامة عريضة على وجهه. "أتمنى أن يكون أحدكما ميكانيكياً. نحتاج بشدة إلى واحد في المخيم. لدينا مساعدون طبيون، لكن لا أحد يعرف كيفية إصلاح سياراتنا. إنهم مثقفون جداً، بمعظمهم. نحتاج إلى سمكريين، وكهربائيين، وميكانيكيين". انطلق الباص على الطريق، ثم توقف، وانطلق مجدداً، كما لو أنه يريد تأكيد نظريته.

قال ماكس مبتسماً: "سوف نفعل ما بوسعنا". كان خبيراً أكثر في الأسلحة، لكنه لم يقل ذلك. إنه يرغب فعلاً في المحاولة. توقف الباص مجدداً أثناء صعوده هضبة بسرعة السلحفاة، فيما كان جيف يثرثر معهم هم الثلاثة. بدا وكأن كريستيانا جعلته عصبياً قليلاً، فيما ألقى نظرات خاطفة وخجولة عليها وابتسم. استحال عليه أن ينسى من تكون.

طرحت عليه أسئلة بشأن مرفق الإيدز، وأزمة الإيدز في أفريقيا، وبقية الرعاية الطبية التي يوفرونها. شرح لها أنه طبيب، ومتخصص في الطب الاستوائي، وهذا ما أوصله إلى هنا. فيما كانا يتحدثان، راقبت المناظر الطبيعية التي مرّوا قربها. كان هناك أشخاص يمشون على جانبي الطريق، ويرتدون ثياباً بألوان ساطعة، مع عصابات من القماش الأبيض. مرّ قطيع من الماعز أمامهم. توقف الباص للسماح له بالمرور، وعجز عن الانطلاق مجدداً، فيما حاول رجل يضع عمامة ويقود جملاً مساعدة ولد صغير في توجيه الماعز. أدار جيف المحرك في محاولة لإعادته إلى الحياة، ثم تركه ليرتاح قليلاً فيما عبر قطيع الماعز الطريق أخيراً. أعطاهم ذلك فرصة إضافية للتحدث.

كان مطّلعاً جداً في معطياته وتقييماته. قال إنهم لا يعالجون في مرفق الإيدز النساء الشابات فقط، وإنما أيضاً البنات، علماً أن العديد منهنّ تعرضن للاغتصاب وطردتهنّ قبائلهنّ بعد أن فقدن عذريتهنّ، وتكون الأمور أسوأ إذا أصبحن حوامل. لا تستطيع عائلاتهنّ تزويجهنّ، ولذلك أصبحن من دون جدوى في مقايضة الدواجن أو الأرض أو العملات. وحين تمرض هؤلاء الفتيات، يتم التخلي عنهنّ دوماً. كان عدد الرجال والنساء المصابين بالإيدز مريعاً فعلاً، والمؤسف أن هذا العدد يزداد باستمرار. قال إن مرضاهم يعانون أيضاً من داء السلّ، والملاريا، والكالا أزار (نوع من الحمى السوداء)، ومرض النعاس.

"نحن نفرغ المحيط بكشتبان"، قال وهو يفسّر لهم الوضع بكلمات أوضحت بلا شك مدى بؤس حال المرضى، الذين كان العديد منهم لاجئين من نزاعات الحدود مع أثيوبيا في الأعوام التي سبقت الهدنة. قال أيضاً إن الهدنة لم تكن سهلة نوعاً ما لأن أثيوبيا استمرت في السعي للسيطرة على ماساوا، مرفأ إريتريا على البحر الأحمر. "كل ما نستطيع فعله هو الاعتناء بهم، وجعلهم مرتاحين، ومساعدة بعضهم حتى يموتوا، ومحاولة تثقيف الآخرين بشأن الوقاية من المرض". إنه مشروع مرعب، فيما أصغت كريستيانا إليه، وطرح عليه صاموئيل وماكس عدداً من الأسئلة. لم تكن مهمتهم خطرة، لكنها صعبة. كانت نسبة الوفيات مرتفعة، وتصل إلى مئة في المئة بين مرضى الإيدز، فمعظم النساء والبنات اللواتي يأتين إليهنّ يعانين من مرحلة متقدمة من المرض بحيث يصعب وقفه، أو السيطرة عليه، أو تخفيفه نوعاً ما. قال إن أحد أهدافهم الأساسية هو منع الأمهات من نقل الإيدز إلى مواليدهن الجدد، من خلال إعطاء الأمهات والأطفال الرضّع أدوية وإقناع الأمهات بعدم الإرضاع. وهذا أمر صعب على الصعيدين الثقافي والعملي لأن العديد من النساء فقيرات جداً، ولذلك يبعن الحليب المجفف المعطى إليهنّ ويتابعن الإرضاع لأنه أرخص، فيصاب أطفالهنّ بالإيدز أيضاً. إنها معركة مستمرة، حسب قوله،

لتعليمهنّ ومعالجتهنّ، عند المستطاع. "نفعل ما بوسعنا لهنّ، لكننا لا نستطيع دوماً فعل الكثير، حسب الوضع. وعلينا أحياناً القبول بذلك نحن أيضاً". ذكر أيضاً أن منظمة أطباء بلا حدود تزور المنطقة غالباً وتساعدهم. وهم ممتنون أيضاً لمساعدة المنظمات الأخرى أيضاً، وليس فقط الصليب الأحمر، رغم أن التمويل يأتي بنسبة مئة في المئة منه. فالحكومة المحلية فقيرة جداً لتوفير أية مساعدة. قال إنهم يخططون لطلب المساعدة من بعض المؤسسات، لكنهم لم يمتلكوا الوقت لكتابة الطلبات وإرسالها. رأت كريستيانا أنها تستطيع المساعدة في النهاية، وفكّرت في مؤسستهم التي تبرعت بكرم لحالات مشابهة لهذه الحالة. سوف تتعرف أكثر إلى احتياجاتهم خلال الأسابيع والأشهر المقبلة، وتتحدث إلى المؤسسة حين تعود.

احتاجوا إلى خمس ساعات لبلوغ المخيم. تحدثوا طوال الطريق تقريباً. كان جيف رجلاً دمثاً ولطيفاً ومثيراً، لديه الكثير من المعرفة حول القارة التي عاش فيها، والكوارث التي أصابتها، والتي لا يمكن معالجة معظمها في الوقت الحاضر، وربما لوقت طويل. لكنه كان يبذل مع العاملين معه كل جهد ممكن لتغيير ذلك.

خلدت كريستيانا أخيراً إلى النوم خلال الدقائق القليلة الأخيرة من رحلة الباص، رغم الارتجاج والضجيج المستمرين، والدخان المقرف الذي يصدره الباص. كانت متعبة جداً لدرجة أنها تستطيع النوم على قنبلة في هذه المرحلة. استيقظت مذهولة حين لمس ماكس ذراعها. كانوا في المخيم، والباص محاط بعمال الصليب الأحمر الذين راقبوا بفضول المتطوعين الثلاثة الجدد الذين وصلوا. كانوا يتحدثون جميعاً عنهم منذ أسابيع. عرفوا جميعاً أنهما رجلان وامرأة، وأنهم قادمون من مكان ما في أوروبا. سرت إشاعة غامضة أنهم جميعاً من سويسرا، فيما قال شخص آخر إنهم ألمان، ثم قيل إن الرجلين ألمانيان والمرأة سويسرية. لم يذكر أحد اسم اليشتنشتاين أمامهم. لقد ساورهم الشك ربما لأن مكتب جنيف هو الذي رتّب وصولهم وإقامتهم. لكن أياً كانوا،

فإنهم محط ترحاب والمخيم بأمس الحاجة إليهم. حتى لو لم يكونوا أطباء أو ممرضين، فإنهم يمتلكون على الأقل أيدٍ وقلوباً راغبة في المساعدة.

فيما نظرت كريستيانا حولها، شاهدت عشرات الأشخاص يحدّقون فيها، ويرتدون جميعاً ثياباً متناسقة وغير رسمية. سراويل قصيرة، سراويل جينز، قمصان قطنية، جزمات عالية، النساء ذوات شعر قصير أو مربوط تحت وشاح. كان العديد منهم يرتدون ثياب الأطباء البيضاء، وكذلك النساء. شاهدت امرأة في خريف العمر، لها وجه مسمرّ، وابتسامة دافئة، ومسماع الطبيب حول عنقها. كانت امرأة جميلة جداً، وطويلة، مع شعر داكن، تنظر إلى الباص بتمعّن مع ولد أفريقي بين ذراعيها. بدا أن هناك تساوياً تقريباً بين الرجال والنساء. وبدا متوسط العمر أكبر من عمر كريستيانا، أو قريباً منها نوعاً ما، فيما بدت وجوه قليلة بضعف عمرها تقريباً. ووقف بينهم مجموعة من العمال المحليين الذين ارتدوا الثياب المحلية الملونة، وأمسك بعضهم أولاداً بأيديهم. بدا المركز نفسه أشبه بمجموعة من الأكواخ المطلية حديثاً بالأبيض. وثمة سلسلة من الخيم الكبيرة، العسكرية المظهر، على كلا الجانبين.

مدّ لها جيف يده، رغم موقعها العالي المقام، لمساعدتها على الوقوف بثبات عند نزولها من الباص على أرض غير مستوية. ابتسمت له كريستيانا، ثم ألقت نظرة خاطفة وخجولة على الآخرين، فيما خرج ماكس وصاموئيل من الباص وهما يحملان حقائبهما. بدت كريستيانا متعبة ومتعثرة كفاية بعد الرحلة الطويلة، فيما اقترب العمال المنتظرون منها، الواحد تلو الآخر.

عرّف جيف بالمرأة المتقدمة في العمر أولاً. اسمها ماري والكر، وأوحى المسماع بأنها طبيبة. إنها بريطانية ورئيسة البرنامج المسؤول عن الإيدز. تمتلك شعراً أبيض يتدلى في جديلة طويلة على ظهرها، ووجهاً مبتسماً فيه الكثير من التجاعيد، وعينين زرقاوين ثاقبتين. ذكّرت كريستيانا على الفور بمارك. صافحت يد كريستيانا بطريقة قوية وواثقة، ورحّبت بها في المخيم. وقفت امرأتان خلفها، إحداهما فتاة إيرلندية شابة لها شعر أسود مجعد وعينان

خضراوان. إنها قابلة قانونية وتتجول في منطقة دبوب، في الأنحاء البعيدة عن المركز، تساعد في ولادة الأطفال وتحضرهم، أو أمهاتهم، إلى المخيم حين يمرضون. وقفت قربها امرأة أميركية شابة ترعرعت هي أيضاً في كيب تاون، تماماً مثل جيف. ذهبت إلى الجامعة في الولايات المتحدة، لكنها اشتاقت إلى أفريقيا كثيراً، تماماً مثلهم جميعاً حين غادروا.

حين التقت بجيف وأخبرها عن المكان الذي يعمل فيه، وافقت على الانضمام إليه هناك. اسمها ماغي، وأدركت كريستيانا بسرعة أن ثمة علاقة عاطفية بين ماغي وجيف، فيما وضع جيف ذراعه حولها عندما اقتربت منه. ماغي ممرضة. عانقت كريستيانا بحنان للترحيب بها. قالت الفتاة الإيرلندية إن اسمها فيونا مع ابتسامة عريضة وماكرة. أسرعت إلى مصافحة كريستيانا والترحيب بها.

أما الرجال الأربعة الذين كانوا يقفون حولهم فعرّفوا عن أنفسهم بسرعة. ثمة رجلان ألمانيان، وواحد فرنسي، والرابع سويسري، وبدوا جميعهم في العقد الثالث من عمرهم. إنهم كلاوس، وإرنست، ونيدييه، وكارل. وأخيراً، جاءت المرأة الشابة الطويلة صاحبة الشعر الداكن التي تحمل ولداً بين ذراعيها وصافحت كريستيانا والرجلين. إنها تمتلك عينين جميلتين ووجهاً جاداً. اسمها لور وهي فرنسية. بدت أكثر تحفظاً من الآخرين، وتساءلت كريستيانا ما إذا كانت خجولة. تحدثت إليها بالفرنسية، لكن رغم ذلك لم تتحمس المرأة الشابة والطويلة كثيراً. بدا موقفها عدائياً. شرح لها جيف أنها عملت مع اليونيسيف لأعوام عدة، وجاءت إلى سيناف منذ أشهر قليلة. جيف وماري هما الطبيبان الوحيدان في المجموعة، وفيونا هي القابلة القانونية الوحيدة، وماغي الممرضة الوحيدة. أما الباقون فهم أشخاص طيبون، وحنونون، وجادون جاءوا إلى سيناف لإحداث فرق، بأية طريقة ممكنة، تماماً مثل كريستيانا.

يقع المخيم فعلياً في ضواحي سيناف، في ضاحية دبوب، في الشمال، قرب الحدود الأثيوبية، التي كانت مصدر قلق في الأعوام التي سبقت الهدنة،

لكنها لم تعد كذلك الآن. المنطقة مسالمة الآن، وبعيدة نسبياً. وفيما استمرت كريستيانا في النظر حولها، ذهلت من جمال النساء الأفريقيات اللواتي وقفن وراء المجموعة، يبتسمن بخجل، ويرتدين ثياباً ملونة، مع الكثير من الحُلي في شعرهنّ، وآذانهنّ، وحول أعناقهنّ. هناك ستة أشخاص آخرون يقيمون في المركز: أربع نساء ورجلان، يزورون النساء أو البنات اللواتي يعشن في الأكواخ، ولم يتمكنوا من المجيء لإلقاء التحية على الواصلين الجدد. وثمة مجموعة متزايدة من النساء الأفريقيات اللواتي ارتدين ثياباً غريبة، ووقفن للتحديق والابتسام للأشخاص الثلاثة الذين نزلوا للتو من الباص.

ارتدت النساء الأفريقيات اللواتي وقفن للمراقبة الثياب الأكثر غرابة التي شاهدتها كريستيانا في حياتها. كان شعرهنّ مضفوراً بإحكام في صفوف ملزوزة مع خرز وحُلي معلقة في وجوههن. وضعن الكثير من الحلي، وارتدين أقمشة مثيرة، بعضها محاك بخيوط ذهبية أو معدنية. ارتدت بعض النساء ثياباً كاملة، فيما وقفت نساء أخريات يراقبنها وصدورهن عارية. كانت ثيابهنّ المعقدة وجهودهن الكبيرة لتزيين أنفسهنّ متناقضة تماماً مع الثياب البسيطة وغير الجذابة التي ارتداها العمال الغربيون، الذين افتقدوا تماماً إلى الإثارة أو حتى الجاذبية في قمصانهم القطنية، والسراويل القصيرة، وسراويل الجينز، والجزمات العالية. شرح لها جيف أن هناك تسع قبائل أو مجموعات عرقية في إريتريا، هي التغرينيا، والراشايدا، والآفار، والتيغر، والكوناما، والساهو، والنارة، والبيلين، والهيدراب، وذهلت فوراً تقريباً بدفء ابتسامة النساء الأفريقيات. جاءت إحداهنّ وعانقتها، وشرحت لها أنها من غانا وقالت إن اسمها أكوبا، وأخبرت كريستيانا بفخر أنها متطوعة في الصليب الأحمر. التقت كريستيانا أيضاً بأحد الرجال الأفارقة الذين يساعدون في المركز، وكان اسمه ياو. هناك الكثير من المعلومات الواجب استيعابها دفعة واحدة، والكثير من الأشخاص، ومكان جديد تماماً، وثقافة مختلفة تماماً، وحياة جديدة، ووظيفة غير مألوفة. شعرت كريستيانا أنها مغمورة بالارتباك، فيما نظرت حولها،

وحاولت استيعاب كل شيء. كان يستحيل الشرح لأي كان عن مدى جمال ذلك بالنسبة إلى الحواس، وروعة ذلك، ومدى لطافة الأفريقيين. كانت وجوههم مماثلة تقريباً للأثيوبيين، الذين لديهم صلة قرابة معهم بلا شك رغم الكراهية والتاريخ الطويل للحروب بينهم. هاجر خُمس سكان إريتريا من البلاد، خلال تلك المعارك، وقبل حصول الهدنة قبل خمسة أعوام. لكنّ الوجوه التي رأتها كريستيانا لم تكن مغتاظة على ما يبدو. على العكس، كان الناس جميلين، وبدوا لطفاء جداً.

"لا بد أنك مرهقة"، قاطع جيف التعريفات العديدة. لاحظ أنها متعبة، وكانوا في الباص لخمس ساعات تقريباً. لقد جاءت إلى أبعد مناطق العالم. إلا أن كريستيانا لم تكن يوماً أكثر سعادة، وأرادت استيعاب كل شيء، تماماً مثل الولد في حفلة العيد.

قالت بشجاعة: "أنا بخير"، وتحدثت لبرهة مع أكوبا، ثم تحدثت إلى النساء الإريتريات، وأخيراً مع الأشخاص الذين ستعمل معهم خلال الأشهر المقبلة. بالكاد استطاعت الانتظار للتعرف إليهم وبدء العمل بنفسها.

قالت فيونا بابتسامة عريضة: "هيا، اسمحي لي بمرافقتك إلى الريتز". أشارت إلى إحدى الخيم الكبيرة المنصوبة في جهة مجموعة الأكواخ، حيث يعملون. إنهم يعيشون في الخيم، النساء في جهة، والرجال في جهة أخرى. وبالنسبة إلى الذين يرغبون في العيش معاً مثل جيف وماغي، هناك خيم صغيرة ومنفصلة. أطلق على خيمة الرجال اسم جورج الخامس، نسبة إلى الفندق الفخم والشهير في باريس، وعلى خيمة النساء اسم الريتز.

أخذت كريستيانا حقيبتها من صاموئيل، وبدا مستاء على الفور من ذلك. لا يحب تركها لوحدها، قبل أن يقيّم هو وماكس المكان، لكنّ الوقت لم يسمح لهما بذلك بعد. أومأت إليه برأسها وابتسمت، وأخذت الحقيبة من يده وذهبت مع فيونا. لقد بدأت الحياة الحقيقية.

كانت الخيمة التي أخذتها إليها فيونا أكبر مما توقعتها كريستيانا، وأكثر

تهوئة مما تبدو من الخارج. إنها خيمة متينة اشتروها من الجيش، ووضعوا أرضية خشبية فيها، مع ثمانية أسرّة، أحدها شاغر منذ أن انتقلت ماغي للعيش مع جيف في خيمة منفصلة. ومع الواصلين الجدد، سيكون هناك ثمانية رجال في خيمة الرجال. أما الأفارقة الذين يعملون معهم في المركز فيعيشون في أكواخ بنوها بأنفسهم. ويمتلك جيف وماغي خيمتهما الخاصة، التي اشتراها جيف بنفسه.

أخذت فيونا كريستيانا إلى الزاوية البعيدة. ثمة طاولة صغيرة مع درج فيها قرب سريرها، ومصباح عامل بالبطارية، وصندوق عسكري قديم عند أسفل السرير.

قالت فيونا مع ضحكة كبيرة: "هذه خزانتك، لا تسأليني لماذا، لكنني جئت إلى هنا مع خزانة كاملة من الملابس قبل ستة أشهر، وأرجعتها كلها في النهاية. لم أرتدِ أي شيء سوى الجينزات والسراويل القصيرة منذ أن وصلت إلى هنا. حتى عندما نذهب إلى سيناك لتناول العشاء، وهذا أمر لا نفعله غالباً، لا يرتدي أحد ثيابه الرسمية". لقد ارتدت كريستيانا الجينز وقميصاً قطنياً أبيض طويل الأكمام، وسترة من الدنيم القديم اشترتها من متجر في بيركلي، وانتعلت حذاء رياضياً كان مريحاً خلال الرحلة. لكن رغم ذلك، كان ثمة شيء أنيق في ملابسها. لم تضع أي شيء من المجوهرات باستثناء خاتم العائلة وأقراطاً صغيرة من الفضة في أذنيها. كانت النساء الأفريقيات اللواتي التقت بهنّ للتو يضعن حلياً أكثر منها. لقد فعلت كريستيانا كل ما باستطاعتها لتبدو عادية. علمت بعد دقائق قليلة أن فيونا في الثلاثين من عمرها، رغم أنها تبدو في الخامسة عشرة. ظنت كريستيانا خطأ أنهما بالعمر نفسه. قالت إن لور، الفتاة الطويلة صاحبة الشعر الأسود، في الثالثة والعشرين. أما الباقون فكانوا جميعاً في العقد الثالث تقريباً، باستثناء كلاوس وديدييه. وقالت إنهم فريق رائع.

جلست كريستيانا على سريرها فيما استمعت إليها، وبعد برهة جلست فيونا على السرير أيضاً، مثل الفتاة المتمرّسة في المدرسة الداخلية التي ترحب

بالفتاة الجديدة القادمة. كان الأمر غريباً قليلاً في البداية، ورغم أن كريستيانا كانت تتوق بشدة للمجيء إلى هنا، إلا أنّ عليها الاعتراف أنها لا تزال تشعر ببعض الارتباك، مع صدمة ثقافية، على الأقل.

"ماذا يفعل صديقاك؟" سألتها فيونا مع ابتسامة مرحة. اعترفت أنها خرجت مع إرنست مرات قليلة لتناول العشاء، لكنهما قررا في النهاية ألا يتورطا في علاقة عاطفية وهما الآن بمثابة صديقين. هذا أسهل هنا. جيف وماغي هما حالة نادرة. في معظم الأوقات، تفضل المجموعة كلها الزمالة بين العمال، من دون التورط في علاقات عاطفية، وإن كان هذا يحصل بين الحين والآخر. وهم يعرفون أيضاً أن معظم الأشخاص سيرحلون عاجلاً أم آجلاً. نادراً ما يبقون لأكثر من سنة، وتتغير الأمور حين يعود الشخص. "أخبريني إذاً عن سام وماكس"، أصرّت فيونا، وضحكت كريستيانا. على الصعيد التقني، خلال الأشهر الستة أو السنة الكاملة التي سيقضيانها في شرق أفريقيا معها، إنهما في مهمة ولا يجدر بهما التورط في مثل هذه الأمور. لكنها لن تعارض حتماً أو تخبر أحداً إذا عاش أي منهما أو كلاهما قصة عاطفية عابرة أو جدية. فالوقت طويل لكي يبقيا عاقلين. وهما في النهاية رجلان شابان. يمكنهما الانتباه إليها، كما هو مطلوب منهما، والحصول في الوقت نفسه على بعض المتعة. كانت كريستيانا راغبة كثيراً في صرف النظر عنها. "إنهما رجلان لطيفان فعلاً. يمكن الوثوق فيهما، وهما جادان، ومسؤولان، وصادقان، ولطيفان، ويعملان بجدّ". ذكرت مزاياهما العديدة فيما ضحكت فيونا. بدت مثل قزمة صغيرة ذات شعر داكن تجلس على سرير كريستيانا، فيما ترقص عيناها الخضراوان. بدت الشابتان كأنهما فتاتان صغيرتان، وأملت كريستيانا في أن تصبحا صديقتين، رغم الفرق في عمرهما. لور، التي كانت بعمرها، ليست ودودة على ما يبدو وبالكاد وجهت لها كلمة حين التقتا. في الواقع، لقد حدقت فيها بغضب ما إن نزلت كريستيانا من الباص، لكنها لا تعرف السبب. جميع من في المخيم كانوا لطفاء معها.

"يبدو ذلك وكأنه وصف لوظيفة"، مازحتها فيونا، وهي أكثر دقة مما تعرف أو تقرّ كريستيانا. "أقصد كيف هما؟ إنهما رائعان. هل هما رجلان لطيفان؟"

"جداً. كان صاموئيل في الكومندوس. إنه مدهش في الأسلحة". أدركت أنها أخطأت مجدداً، وذكّرت نفسها بضرورة توخي المزيد من الحذر في المستقبل. كانت متعبة بعد الرحلة.

"يبدو ذلك مخيفاً، إلا إذا واجهنا حرباً أثيوبية جديدة. في هذه الحالة، قد يفيدنا. أفترض أنهما غير متزوجين، وإلا لما جاءا إلى هنا". رغم أنها تعرف أن ماري والكر كانت متزوجة في البداية. جاءت لأداء خدمة لمدة تسعين يوماً، لكنها لم تعد أبداً، وتطلقت من زوجها. أحبت شرق أفريقيا وشعبها كثيراً بحيث عجزت عن تركها. إنها الطبيبة الوحيدة في الفريق غير جيف، وهي متخصصة في الإيدز. إنها مولعة بالأشخاص الذين تهتم بهم، أكثر مما كانت مولعة بزواجها، الذي أدركت حين وصلت إلى هنا أنه ميت منذ أعوام، ولذلك بقيت هنا. "هل يمتلكان صديقتين في بلدهما الأصلي؟" سألت فيونا، وهزّت كريستيانا رأسها ثم ترددت.

"لا أظن ذلك. لم أسألهما أبداً". حتى لو توجب عليها الاعتراف بذلك، بدا الأمر غريباً، خصوصاً وأنهم يزعمون أنهم أصدقاء. المشكلة هي أن هناك تمثيلية تحزيرية، ولا تريد كريستيانا ارتكاب خطأ.

"كيف تعرفت إليهما؟" سألت فيونا وهي ممدة على سريرها مثل القزمة. كان سريرها بالقرب من سرير كريستيانا. تستطيعان همس الأسرار في الليل مثل الفتاتين الصغيرتين.

"في الواقع، أعرفهما منذ وقت طويل. إنهما يعملان مع والدي". وأخيراً، كانت صادقة على الأقل. "حين أخبرتهما أنني أريد المجيء إلى هنا، تطوعا للمجيء هما أيضاً". وتم تحديد مهمتهما، لكنها لا تستطيع البوح بذلك طبعاً. "ذهبنا إلى روسيا معاً، خلال أزمة الرهائن في ديغورا. المرأة التي كانت تدير

محطة الصليب الأحمر هناك مميزة جداً. أحببت شخصيتها وعملها. قررت بعد ذلك المجيء إلى هنا، وكذلك فعلاً". أصبح وجه كريستيانا جاداً وحزيناً. "أظن أن تلك الليلة غيّرت الكثير من الأمور بالنسبة إلينا نحن الثلاثة. ولذلك جئنا إلى هنا". ابتسمت لصديقتها الجديدة. أحبّت فيونا كثيراً. وكل من في المخيم يفعل ذلك. إنها شابة ودودة، وطيبة المعشر، وتؤدي عملها بلا كلل، وتقول إنها تحب ذلك. إنها تعشق أفريقيا، مثل العديد من الأشخاص الآخرين. إنه مكان سحري ويسبب الإدمان حين يدخل إلى عروقك.

سألت باهتمام: "ما كان اسم المرأة؟"

"طبعاً، أنا أعرفها أيضاً. الجميع يعرفها. تأتي إلى هنا أحياناً. إنها عمة لور، ولذلك هي موجودة هنا. واجهت لور نوعاً من الخطوبة الفاشلة، أو الزواج الفاشل، أو ما شابه. لا تتحدث أبداً عن الأمر. لكنّ الإشاعة تقول إنها جاءت إلى هنا لتتعافى من الصدمة. لست أكيدة تماماً من أنها تحب ذلك، أو هي ربما غير سعيدة بكل بساطة. هذا النوع من الأمور صعب. كنت أنا أيضاً مخطوبة قبلاً"- ضحكت مجدداً- "لعشر دقائق تقريباً. لرجل مذهل. هربت إلى إسبانيا لمدة سنة للهروب منه، وتزوج هو من امرأة أخرى. إنه شخص مريع. ثمل دوماً". ابتسمت كريستيانا، وحاولت أن تبدو متعاطفة معها. هناك الكثير من المعلومات الواجب استيعابها دفعة واحدة، وكانت متعبة من السفر ومرهقة، وخائفة من أن تقول شيئاً لا يجدر بها الإفصاح عنه، بأنها أميرة وتعيش في قصر. فكرة القيام بذلك جعلتها ترتعد من الخوف. لا تريد أن يؤثر أي شيء في حياتها هنا، وأملت ألا يحصل ذلك. لا يفترض أن يحصل ذلك إذا كانت حذرة. عليها أن تنتبه فقط لما تقوله في البداية حتى تعتاد على حياتها الجديدة.

سألتها فيونا باهتمام: "هل لديك صديق في بلادك؟"

"لا. لقد انتهيت للتو من دراستي الجامعية في الولايات المتحدة في شهر يونيو. وبقيت بعدها في المنزل إلى أن جئت إلى هنا".

"وأي نوع من العمل تريدين ممارسته حين تعودين؟ الطب؟ أحب مهنة

القابلة القانونية كثيراً؛ يمكنك المجيء معي ربما وإلقاء نظرة. أصاب بالدهشة كلما جاءت حياة جديدة إلى هذا العالم. إنها أعجوبة فعلاً، ومسألة مدهشة على الدوام، رغم أنها حزينة أحياناً عندما يحصل خطب ما. يحدث ذلك. لكنّ الأمر سعيد في أغلب الأحيان".

ترددت كريستيانا في سؤالها. "كنت أفكر في العلاقات العامة. هذه مهنة والدي، وهو يتعاطى أيضاً في السياسة والاقتصاد قليلاً. أحب إدارة الأعمال كثيراً. نلت شهادة في الاقتصاد من الجامعة". كل ذلك صحيح، نوعاً ما، حسب المنطلق الذي تراه منه.

قالت فيونا، وهي غير دقيقة تماماً: "لا أحب الرياضيات على الإطلاق. بالكاد أستطيع العدّ". عرفت كريستيانا أنها احتاجت إلى سبع سنوات لنيل شهادة القابلة القانونية، بما في ذلك مدرسة التمريض، ولا بد أنها كانت طالبة مقبولة، أو على الأقل مثابرة. وهي تحب عملها بوضوح. قالت فيونا بصراحة: "أظن أن إدارة الأعمال مضجرة جداً، كل تلك الأرقام. أحب العمل مع الأشخاص. لا يمكنك التوقع أبداً بما سيحصل، خصوصاً هنا". استلقت على سريرها مع تنهيدة. سوف تخرج الليلة لزيارة مرضى، وتحاول عادة الاستراحة لبرهة قبل ذلك لكي تكون نشطة ويقظة. لديها عدد من النساء اللواتي سيلدن أطفالهن في أية لحظة. ترسل النساء في طلبها إذا كانت هناك حاجة إليها، وتذهب هي إليهنّ في سيارة فولسفاكن قديمة موجودة في المخيم منذ أعوام. تشعر فيونا بالإثارة كلما جاءت حياة جديدة إلى العالم. وهنا في أفريقيا، أنقذت حياة الأطفال والأمهات في أغلب الأحيان. الظروف التي تعمل فيها بدائية أكثر مما يمكن للمرء تصوره. إنها تجيد فعلاً عملها.

استلقت كريستيانا بهدوء على سريرها لبضع دقائق. أرادت النهوض وترتيب أغراضها والنظر من حولها. إنها متحمسة جداً بحيث لا تريد النوم، لكنها شعرت لبرهة أن جسمها ثقيل وبدأ جفناها يغمضان. نظرت إليها فيونا وابتسمت. بدت مثل فتاة مدللة، وأعجبت بها فيونا لأنها وبمثل عمرها جاءت

إلى أفريقيا. إنه أمر شجاع فعلاً، وفيما نظرت إليها، فتحت كريستيانا عينيها مجدداً، وألقت نظرة سريعة على فيونا في السرير المجاور.

"ماذا عن الأفاعي؟" بدت قلقة، وضحكت فيونا عالياً على السؤال.

"يطرح الجميع هذا السؤال في اليوم الأول هنا. إنها مخيفة، لكننا لا نشاهد الكثير منها". لم تخبرها أن أفعى ضخمة دخلت إلى الخيمة قبل أسبوعين، لكنها لا تفعل ذلك عادة. "سوف نريك صور الأفاعي التي يجدر بك الحذر منها. سوف تعتادين عليها بعد فترة". رأت فيونا الأفاعي أكثر من معظم الأشخاص الآخرين في المخيم، لأنها تخرج إلى الأدغال كثيراً لزيارة مرضاها.

استلقت المرأتان لدقائق معدودة، ومن دون أن ترغب في ذلك، خلدت كريستيانا إلى النوم. كانت مرهقة تماماً، وحين استيقظت، كانت فيونا قد رحلت. خرجت كريستيانا للبحث عن الآخرين. وكانت هناك مجموعة من الأشخاص يمشون حول المجمّع.

شاهدت كريستيانا أكوبا وابتسمت لها. كانت تمسك ولداً بيده، وتدخله إلى أحد الأكواخ. والرجل الذي يدعى ياو كان يضرب شيئاً ما بقوة. نظرت من حولها، وشاهدت جمالاً في الليل لم ترَه قط في حياتها من قبل. شاهدت ذلك الضوء الأفريقي الذي يتحدث عنه الناس، وكان الهواء مثل مداعبة على وجنتها. لاحظت أنه توجد خيمة أخرى خلف الأكواخ. تبعت الأصوات التي سمعتها تصدر من هناك، واكتشفت وجود كل طاقم الصليب الأحمر، يجلسون أمام طاولات كبيرة وعلى مقاعد خشنة يأكلون الطعام. شعرت كريستيانا على الفور بالإحراج، رغم أنها أصبحت أكثر ارتياحاً مما كانت عندما تركتهم قبلاً. لقد احتاجت إلى النوم، لكنها خشيت أن تبدو كسولة، وهذه ليست طريقة جيدة للانطلاق.

قالت باعتذار حين شاهدت جيف وماغي: "أنا آسفة جداً"، كان الطاقم كله موجوداً هنا، ما عدا فيونا، التي خرجت إلى الأدغال لتوليد طفل ومضى على

غيابها ساعات عدة. مع وجود كريستيانا وماكس وصاموئيل، أصبح عددهم سبعة عشر شخصاً الآن، من العاملين الفعليين في الصليب الأحمر. هناك عشرة أشخاص على الأقل من الإريتريين المحليين الذين يعملون معهم، إضافة إلى أكوبا وياو من غانا. "خلدت إلى النوم". بدت محرجة، لكنّ صاموئيل وماكس سرّا لرؤيتها، تماماً مثل الآخرين. لقد بدأوا الأكل لتوهم. كانوا يتناولون الدجاج والخضار، مع وعاء كبير من الأرز الممزوج بالفاكهة. إنهم يعملون بكد، ولذلك كانت الكميات كبيرة كفاية للسماح لهم بالاستمرار في العمل.

قال جيف بلطافة: "كنت بحاجة إلى النوم، سوف نريك كل شيء تحتاجينه غداً. أخذت صاموئيل وماكس في جولة". طلبا منه سراً رؤية كل شيء، وهذا جزء من مهامهما في حمايتها. لكنهما ذهلا فعلاً بما شاهداه، وأعجب كلا الرجلين بالأولاد، الذين بدوا موجودين في كل مكان في المخيم، بالعشرات، يبتسمون، ويضحكون، ويقهقهون، ويلعبون تماماً مثل بعض الأشخاص الأكبر منهم سناً. بدا السكان المحليون أشخاصاً سعداء، يبتسمون أو يضحكون طوال الوقت. حتى الأشخاص المرضى الذين يقيمون في المركز كانوا ودودين وطيبي المعشر.

أشارت ماري إلى مكان فارغ لتجلس فيه كريستيانا، قرب لور، وتسلقت كريستيانا فوق المقعد وجلست. كان ديدييه يجلس إلى الجانب الآخر من لور ويتحدث معها بالفرنسية، فيما كان إرنست إلى الجانب الآخر من كريستيانا. كان يثرثر مع ماكس وسام بالألمانية السويسرية لأنهم يحملون جميعاً نفس الجنسية. فهمت كريستيانا حديثهم وضحكت أحياناً. ثم التفتت إلى لور وقالت لها شيئاً بالفرنسية. لا جواب. تجاهلت كريستيانا عمداً واستمرت في الثرثرة مع ديدييه. بدا واضحاً أنها تنفر منها، لكنّ كريستيانا لا تعرف السبب. لم تفعل أي شيء لإهانتها.

تحدثت كريستيانا مع ماري والكر عبر المائدة. كانت تشرح عن وباء

الإيدز الذي يواجهونه، وراحت تشرح لكريستيانا ما هو مرض الكالا أزار، الذي هو في الواقع حمى سوداء ويبدو أشبه بالطاعون، ويضفي اللون الأسود على القدمين، والوجه، واليدين، والبطن. بدا مريعاً بالنسبة إلى كريستيانا، لاسيما أثناء العشاء. أضاف جيف بعض التفاصيل المريعة الأخرى. لكنّ كريستيانا وجدت كل شيء مذهلاً، لاسيما عملهم في مجال الإيدز. ذكرت ماري أن فريق أطباء بلا حدود سيأتي للزيارة خلال أسابيع قليلة. إنهم يأتون إلى هنا مرة كل شهر، يحضرون معهم فريقاً طبياً أكبر من ذلك الموجود في المخيم في سيناف. ويحضرون معهم عند الضرورة جراحين، وينجزون العمليات الجراحية حسب الحاجة. يأتون إلى هنا في الحالات الطارئة أيضاً، رغم أن ماري وجيف يعالجان في أغلب الأوقات كل المشاكل التي تظهر، بما في ذلك الاستئصال الطارئ للزائدة الدودية والعمليات القيصرية. إنهم فريق شامل الخدمات، قال جيف ممازحاً. تحدث بنبل عن فريق أطباء بلا حدود، الذين يسافرون في كل أفريقيا في طائرات صغيرة، ويوفرون الخدمات الطبية حيث تدعو الحاجة، حتى في مناطق الحروب أو في المناطق النائية جداً.

قال: "إنهم فريق مذهل"، فيما سكب لنفسه حصة كبيرة من الحلوى. كان نحيلاً جداً، ويحرق بوضوح كل الطعام الذي يأكله. لقد تناول عشاء صحياً، تماماً مثلما فعل كل الرجال الموجودين على المائدة. تناولت النساء مقداراً أقل، رغم أنهن تناولن مقادير جيدة أيضاً. إنهم يعملون جميعاً بكدّ، ويستمتعون خلال السهرات في الحديث والضحك معاً أثناء العشاء. يتناول معظمهم الغداء بسرعة، وأخبرت ماري كريستيانا أنه يتم تقديم الفطور في الخيمة نفسها في تمام الساعة السادسة والنصف. يبدأون العمل باكراً. تتولى النساء المحليات إعداد الطعام، ولقد تعلمن إعداد الأطباق الأوروبية التي يحبونها جميعاً. كانت ماغي المرأة الأميركية الوحيدة في الفريق، وقالت إن الشيء الوحيد الذي تفتقد إليه فعلاً من بلدها هو الآيس كريم. قالت إنها تحلم به أحياناً. إنها بعيدة جداً جداً عن وطنها، لكنها بدت سعيدة كثيراً. كانوا كلهم كذلك، ما عدا لور، حسبما

لاحظت كريستيانا خلال العشاء. بدت دوماً حزينة، وتتفوه بالقليل فقط. الشخص الوحيد الذي تحدثت إليه، بفرنسية خافتة، هو ديدييه. تحدثت قليلاً مع الآخرين، ولم تقل أي شيء لهم خلال العشاء. كان الآخرون يبذلون جهداً واضحاً للتعرف إلى كريستيانا والرجلين الذين جاءا معها. سكب لها جيف كأسين من الشراب الذي قدموه احتفالاً بقدومهم. وبدا ماكس وصاموئيل منسجمين تماماً مع المجموعة، بين الرجال. حصل الكثير من المزاح خلال العشاء، وقيل الكثير من النكات السيئة بالفرنسية والانكليزية والألمانية، وهي تجيد هذه اللغات الثلاث. إنهم مجموعة دولية مدهشة.

كان الوقت متأخراً جداً حين نهضوا أخيراً، وخرجوا إلى الليلة الأفريقية الدافئة، وهم لا يزالون يتحدثون ويضحكون. دعا الرجال ماكس وصاموئيل للعب الورق معهم، فقبلا وقالا إنهما سيعودان إلى الخيمة بعد دقائق قليلة. لم يفصحا عن الحقيقة طبعاً، لكن عليهما التأكد من أن كريستيانا استقرت في خيمتها لقضاء الليل، لأن هذا هو سبب وجودهما هنا في النهاية. عاد جيف وماغي إلى خيمتهما، يداً بيد، ومشت النساء ببطء نحو خيمتهنّ وهن ما زلن يثرثرن. لم تعد فيونا بعد، وافترض الآخرون أنها تساعد في ولادة طفل في مكان ما. كان معدل الوفيات مرعباً بين المواليد الجدد في شرق أفريقيا، وتحصل الوفاة عموماً خلال الأربع وعشرين ساعة التي تسبق الولادة أو تليها. كانت فيونا تحاول لوحدها تحسين هذه الإحصاءات، وأقنعت العديد من النساء المحليات بضرورة الحصول على الرعاية قبل الولادة، وكانت تحضر كل ولادة ممكنة.

سألت كريستيانا ما إذا كانوا يقلقون بشأن تجولها لوحدها في الليل. قالت ماري والكر إنها لا تخشى أي شيء وإن الأنحاء المجاورة آمنة جداً. إنهم قريبون من الحدود الإثيوبية، وهذا أمر مقلق نوعاً ما، لكن لم تحصل أية مشاكل أو انتهاكات للهدنة خلال الأعوام الماضية، وإن كان هذا لا ينفي إمكانية حصول ذلك. أضافت أن الهدنة بين البلدين متوترة دوماً وما زال

الإثيوبيون يشعرون أنهم عقدوا صفقة سيئة. ما زالوا يريدون الاستيلاء على مرافئ إريتريا، لكن لم تحصل أية مشاكل في سيناف، والقابلة القانونية الإيرلندية الشابة محبوبة كثيراً من الجميع. ومن النساء الأخريات اللواتي التقت بهن كريستيانا في تلك الليلة كانت أوشي، أستاذة ألمانية تعمل مع الأولاد المحليين. قالت إن فيونا تحمل دوماً مسدساً معها، حين تسافر في الليل، ولا تخشى استعماله رغم أنها لم تضطر لفعل ذلك يوماً. لم يكن حمل الأسلحة محبذاً، لكنّ فيونا فعلت ذلك بأية حال، وربما يكون في ذلك شيء من الذكاء نظراً للظروف. كانت أوشي، وهو اختصار لاسم أورسولا، لطيفة ورحبت بكريستيانا والرجلين. في الواقع، كانوا جميعاً مثلها، باستثناء لور التي عادت إلى الخيمة قبلهنّ بصمت. بدت مثل فتاة غير سعيدة البتة، واستمرت في إلقاء نظرات خاطفة على كريستيانا مع نفور واضح وإنما غير مبرر.

تحدثت النساء قليلاً مع بعضهن عندما عدن إلى الخيمة، وارتدين ملابس النوم. أرادت كريستيانا الاستحمام، لكن قيل لها قبلاً إن هذا غير ممكن. ثمة حمام خارجي يستعملونه جميعاً في الصباح، أو في بداية المساء، فيما تسكب الفتيات المحليات الماء عليهن، ويفعل الصبيان الشيء نفسه مع الرجال. إنها طريقة بدائية، لكنّ كريستيانا اطلعت على الأمر مسبقاً ولذلك لم تتفاجأ. لم تخف من الانزعاجات التي قد تصادفها، ومازحتها النساء الأخريات بشأن الأفاعي والأسود، وقلن لها إن هذه الحيوانات قد تدخل إلى الخيمة خلال الليل. إنهن يفعلن الشيء نفسه مع كل شخص يصل حديثاً. كنّ جميعاً مثل الفتيات في المخيم، وأحبت كريستيانا ذلك. هذا كل ما تمنته، وأحبت لغاية الآن نساء سيناف اللطيفات اللواتي التقت بهنّ. إنهن جميلات وغريبات جداً، ويبتسمن على الدوام.

خلدت كريستيانا إلى النوم ما إن وضعت رأسها على الوسادة. قرأت بعض النساء الكتب على ضوء المصابيح العاملة بالبطارية، فيما نامت نساء أخريات. وكنّ قبل ذلك قد أخذنها إلى الحمام الموجود خارجاً، وبقيت إحداهن

معها لأنها لا تزال خائفة من الأفاعي، لكن لم يحصل أي شيء مرعب. كان الحمام الخارجي بدائياً جداً وعبارة عن حفرة في الأرض وكرسي فوقها، ومجرفة، وكيس كبير من الكلس. قالت كريستيانا لنفسها إنها ستحتاج إلى بعض الوقت لتعتاد على ذلك، لكن عليها أن تفعل ما هو مطلوب منها. رأت أنها ستتكيف مع الوقت. نامت قبل كل النساء الأخريات، اللواتي راح بعضهنّ يتحدث بصوت خافت، وقلن إنهن أحببنها. بدت مثل فتاة لطيفة جداً، وسوف تشكل إضافة جيدة للفريق. شعرن جميعاً بأنها تتحدر من عائلة جيدة، ومرتاحة مادياً ربما. فهي تتحدث بطريقة لبقة، ومتكتمة، ومهذبة، وتتقن لغات عدة، لكنها أيضاً بعيدة عن التصنع والادعاء، وبدت طبيعية وصريحة جداً، وأحببن ذلك فيها. هزّت لور كتفيها غير مبالية فيما استمعت إليهنّ ولم تقل أي شيء. تساءلت ماري ما إذا كانت غيورة، لأنهما بالعمر نفسه تقريباً، لكنها لم تكن مقربة من الآخرين في المخيم. كانت لور العجلة الوحيدة المتعثرة في المجموعة، وبدت غير سعيدة معظم الوقت. سوف تعود إلى بلدها خلال شهرين، حسب الخطة. إنها من أولئك الأشخاص القلائل الذين لم يقعوا في غرام أفريقيا، لا مع القارة ولا مع الشعب، ولم تستمتع كثيراً بها. أحضرت معها مشاكلها وأحزانها. عرفت ماري من عمة لور، مارك، أنه تم نبذها من قبل حبيبها قبل يومين من موعد الزفاف، وأن خطيبها هرب مع أفضل صديقة لها وتزوجها. أصبحت لور يائسة منذ ذلك الحين، ولا تزال كذلك، ولم يساعدها العمل هنا في صرف انتباهها كثيراً. سوف تعود للعمل مع اليونيسيف في جنيف، وبدا أنها استفادت قليلاً من التجربة الاستثنائية التي عاشتها هنا. إنها متشائمة، وحتى مريرة، بالنسبة إلى فتاة شابة في عمرها.

عادت فيونا في الرابعة فجراً، وكان الجميع نائمين حينها. لقد ساعدت في ولادة طفلين تلك الليلة، وجرى كل شيء على ما يرام. استلقت في سريرها، وخلدت إلى النوم خلال دقائق. في السادسة صباحاً، بدأت المنبهات تصفر، وتحركت النساء. كنّ جميعاً بمزاج جيد حين استيقظن، وتوجهن

للاستحمام معاً، كل منهن في ثوب الحمام والمنشفة على الذراع. نهضت فيونا، ووقفت على قدميها مع بقية النساء، وكانت بمزاج جيد بعد ساعتين فقط من النوم. إنها معتادة على ذلك، وغالباً ما يتكرر الأمر معها. تكاد لا تنام تقريباً، وخاصة إذا واجهت ليلة صعبة بطريقة استثنائية. وحتى لو حصل ذلك، تكون مرحة عادة. تحب إنشاد الأغاني القديمة أثناء الاستحمام بأعلى صوتها، لمجرد إزعاج الآخرين، وكانوا يقولون لها دوماً إن صوتها مريع. إنها تحب ذلك. إنها مهرّج المخيم.

ارتدت كريستيانا ثيابها، وذهبت إلى خيمة الفطور في تمام السادسة والنصف. تناولت فطوراً لذيذاً من العصيدة والبيض، مع وعاء من التوت المقطوف من المخيم. شربت كوباً كبيراً من عصير البرتقال، وابتسمت لماكس وصاموئيل حين دخلا. كان الفطور سريعاً لأن الجميع مشغول، وفي تمام الساعة السابعة كان كل واحد يؤدي عمله، وينكب عليه بجهد. شاهدت كريستيانا ماكس يغادر في سيارة قديمة بعد فترة وجيزة، وأخبرها صاموئيل بهدوء أنه ذاهب إلى سيناف، إلى مكتب البريد، للاتصال بوالدها. أومأت برأسها، ولحقت بماري إلى الكوخ الرئيسي، حيث تتم معالجة وإيواء النساء والأولاد المصابين بالإيدز.

شرحت ماري لكريستيانا، مثلما فعل جيف خلال رحلة الباص، أنهم يعطون النساء الحوامل المصابات بالإيدز جرعة واحدة من عقار النفيرابين قبل أربع ساعات من موعد الولادة، ويعطون الطفل جرعة صغيرة خلال الأيام القليلة الأولى التي تلي ولادته. في معظم الحالات، يخفض ذلك خطر الإيدز بنسبة 50 في المئة، وفقاً للدراسات. وتتمثل المشكلة الحقيقية حين يتوجب عليهم إقناع النساء بإعطاء الحليب المجفف لأطفالهن بدل حليب الثدي. فإذا أرضعن أطفالهن، سوف ينقلن الإيدز حتماً إليهم، لكنّ الحليب المجفف هو مفهوم غريب بالنسبة إليهن، وما زلن يشككن فيه. وحتى لو أعطاهن المتطوعون حليباً مجففاً في المركز لأخذه معهنّ إلى المنزل، لا يستعملنه في

أغلب الأحيان، فيبعنه أو يقايضنه بأشياء أخرى هنّ بحاجة أكثر إليها. إنها معركة صعبة حسبما قالت ماري. ويعتبر تثقيف النساء حول مرض الإيدز للوقاية منه جزءاً مهماً من عملهم. ورأت أن كريستيانا قد تجيد فعل ذلك. فهي تمتلك طريقة لطيفة ورقيقة أعجبت على ما يبدو النساء اللواتي تحدثت إليهنّ، فيما راقبتها ماري، وترجمت لها العبارات، عند الحاجة، إلى أن تعلمت اللغة المحلية. إنها تمتلك طريقة محترفة تقريباً في الانتقال بهدوء من سرير إلى سرير، والتفوه ببضع كلمات، وتقديم العزاء، والتعاطي مع النساء الأفريقيات بدفء ولطافة وحنان واحترام.

سألتها ماري باهتمام، "هل عملت قبلاً في مستشفى؟" لا تعرف كريستيانا عدد المستشفيات التي زارتها في حياتها كأميرة. هذا واجب قياسي بالنسبة إليها. فهي تعرف تماماً كم يجدر بها البقاء والثرثرة، من دون إرهاق المرضى، وفي الوقت نفسه منحهم الانطباع بأنها مهتمة في ما يقولونه، وجعل كل شخص يشعر وكأنه يحظى بكل انتباهها.

قالت كريستيانا بطريقة غامضة: "ليس تماماً، أنجزت بعض العمل التطوعي".

قالت لها ماري: "تمتلكين طريقة محببة، ربما يجدر بك التفكير في أن تصبحي طبيبة أو ممرضة".

قالت كريستيانا، مبتسمة: "أودّ ذلك"، وهي تعرف تماماً أنه لا مجال أبداً لذلك. تأثرت ماري أيضاً بعدم إجفالها عند رؤية أسوأ الجروح أو أبشعها. فمهما كانت الأشياء التي رأتها، فلقد بقيت دوماً لبقة، ولطيفة، وغير متأثرة ظاهرياً. "يتوقع مني والدي الاهتمام بشؤون العائلة حين أعود إلى المنزل"، كان ذلك كل ما قالته.

"للأسف. ثمة شيء داخلي يقول لي إنك موهوبة في هذا المجال". ابتسمت المرأتان لبعضهما، فيما استمرّت ماري في تعريفها على المرضى، ومن ثم أخذتها إلى كوخ آخر، حيث كان جيف يفحص المرضى، ويعطي

اللقاحات. كانت غرفة الانتظار الصغيرة جداً مليئة بالمرضى والأولاد الذين يلعبون. ومرة جديدة، توقفت كريستيانا مجدداً للتحدث إلى كل منهم بإيجاز، كما لو أنها فعلت ذلك قبلاً.

بعد ذلك، اصطحبتها فيونا للقاء بعض النساء الحوامل. توقفت ماري للتحدث مع جيف لبضع دقائق بعدما رحلت كريستيانا مع فيونا.

قالت ماري بإيجاز: "إنها جيدة جداً في هذا، تمتلك طريقة محببة في التعاطي مع الأشخاص. يبدو وكأنها ليست جديدة في هذا المجال. إنها رائعة مع المرضى. أظن أنني أرغب في جعلها تعطي تثقيف الإيدز نيابة عني. ويمكنها العمل مع أوشي مع الأولاد".

قال جيف: "كما تشائين"، بينما كان هناك ولد يصرخ بعد أن تلقى للتو لقاحاً. لم يتفاجأ أن كريستيانا جيدة مع المرضى. فهو يعرف أشياء عنها لا يعرفها الآخرون، وافترض أنها تزور المستشفيات طوال حياتها. لا تحتاج إلى استعمال لقبها كأميرة، لكنه لاحظ عند مراقبتها أنها أميرة في الصميم وتمتلك طرقاً لطيفة ومحببة. جعلت جميع من حولها يشعرون بالارتياح، ولم تخشَ المرح، والمزاح، والضحك، والهزل تماماً مثل الباقين. إنه سعيد جداً لمجيئها، رغم خوفه قليلاً من ذلك. لاحظ منذ الآن أنها إضافة جيدة للفريق، وتتناغم جيداً معهم، علماً أنهم بحاجة ليس فقط إلى مساعدتها وإنما أيضاً لمساعدة الرجلين معها. وتفاجأ جيف أنها ليست صعبة، أو متطلبة، أو مدللة. إنها منفتحة، ومهتمة، ومتواضعة.

أمضت كريستيانا بقية الصباح مع فيونا، تتحدث إلى النساء الحوامل. عند موعد الغداء، تناولت بعض الطعام في خيمة الأكل، ولم تزعج نفسها بالجلوس للأكل، وإنما اكتفت بتناول الطعام وهي واقفة. ثم أمضت بقية اليوم مع أوشي في تعليم الأولاد. أحبت كريستيانا ذلك، وعلّمت الأولاد أغنيتين جديدتين بالفرنسية قبل أن تغادرا. نظرت إليها أوشي مع ابتسامة عريضة، فيما توجهتا إلى الخارج لاستنشاق بعض الهواء، وأطرتها بكرم، تماماً مثلما

فعل الآخرون.

قالت أوشي فيما أشعلت سيجارة: "تعرفين. أنت موهوبة".

قالت كريستيانا بهدوء: "لا، التواجد هنا في أفريقيا هو الهدية". قالت ذلك بامتنان واضح بحيث انحنت أوشي فوقها وعانقتها.

قالت أوشي، فيما عانقتها: "أهلاً بك في أفريقيا، أظن أنك ستحبين المكان هنا، وأنت محقة في اختيارك المكان".

قالت كريستيانا بحزن تقريباً: "وأنا أيضاً"، لقد وصلت للتو ووقعت في غرام المكان. إنها حزينة لأنها تعرف أنها ستضطر للمغادرة يوماً ما. لقد عثرت على الحياة التي أرادتها، وعرفت تماماً أنه سيتوجب عليها يوماً ما إعادة الهدية التي تلقتها. راحت تفكر في ذلك، وبقيت صامتة طوال طريق العودة إلى خيمة النساء.

سألتها فيونا حين رأتها: "لماذا تبدين مكتئبة هكذا؟" لقد وصلت للتو، وسوف تخرج لزيارة المرضى مجدداً هذه الليلة.

"لا أريد الرحيل أبداً"، قالت كريستيانا، وهي تبدو كئيبة، فيما ابتسمت فيونا.

"أووه، أيها الجميع، لقد أصيبت بالعدوى"، قالت فيونا بصوت عالٍ، فيما نظرت إليها بقية النساء. لقد أنهين عملهن للتو، ويستمتعن باستراحة قبل العشاء. "أصيبت بالحمى الأفريقية! هذه أسرع حالة شاهدتها في حياتي". ضحكت كريستيانا على الوصف فيما جلست على سريرها. لقد عملت عشر ساعات متتالية وأحبت كل دقيقة منها. "انتظري فقط حتى تشاهدي أفعى".

ضحكت النساء الأخريات، وكذلك فعلت كريستيانا. لعبت بعد ذلك السكرابل مع أوشي بالألمانية، فيما قلمت وطلت فيونا أظافرها. إنها تستعمل الطلاء الأحمر البراق حتى هنا. قالت إن هذا هو الترف الوحيد الذي لا تستطيع الاستغناء عنه. وفيما نظرت حولها في الغرفة إلى بقية النساء، عرفت كريستيانا أنها لم تكن يوماً أكثر سعادة في حياتها.

الفصل 8

فيما توجهت كريستيانا إلى خيمة الأكل في صباح اليوم التالي في تمام الساعة السادسة والنصف، كان ماكس ينتظرها سرّاً خارج خيمتها. تفاجأت لرؤيته، وتحدث إليها بالهمس.

"صاحبة السمو"، همس لها، وأوقفته تقريباً ما إن خرجت الكلمات من فمه نتيجة العادة. بدت منزعجة على الفور.

همست له: "لا تناديني هكذا، ناديني فقط كريكي، مثلما يفعل الباقون". أخبرتهم أن هذه كنيتها في اليوم السابق.

"لا أستطيع فعل ذلك، صاحبة... أوه.. آسف..."، وتورّد خجلاً.

قالت له: "عليك فعل ذلك"، وهمست بصوت منخفض، "هذا أمر ملكي". ابتسم لها. "لمَ تنتظرني؟" بدا أن هناك مؤامرة جدية بينهما فيما مرّت ماغي وفيونا قربهما في طريقهما لتناول الفطور.

"تحدثت إلى والدك البارحة. لم تتح لي فرصة إخبارك الليلة الفائتة". لم يبقيا أبداً لوحدهما.

"هل هو بخير؟" بدت قلقة لبرهة إلى أن أومأ ماكس برأسه.

"إنه بخير. وقال إنه يرسل إليك حبه. إذا أردت التحدث معه، أستطيع أخذك إلى مكتب البريد في وقت ما. المكان ليس بعيداً جداً".

"ربما خلال أيام قليلة. لا أمتلك الوقت الآن. هناك الكثير من الأمور التي يتوجب عليّ فعلها هنا".

"أنا واثق من أنه يتفهم ذلك. أخبرته أنك بخير".

"جيد. هل هذا كل شيء؟" أومأ برأسه. "شكراً لك ماكس"، وابتسمت.

"على الرحب والسعة يا صاحبة...". توقف قبل أن يلفظ الكلمة، وضحكت هي.

تمرّن على قول ذلك ماكس. كريكي. وإلا فأنت مطرود". ضحك كلاهما، وتبعها لتناول الفطور. كان الآخرون يأكلون في الخيمة حين وصلا.

"أيها البطيئان"، مازحتهما فيونا. "أكلنا كل شيء". إنها تغازل ماكس، الأمر الذي وجدته كريستيانا مسلياً. بدا أنه يستمتع بذلك. ابتسم صاموئيل لذلك أيضاً. إنهما مرتاحان في المجموعة.

استمتعت كريستيانا في تشارك الفطور مع الآخرين، وعادت بعد نصف ساعة إلى العمل. أعطتها ماري كدسة من الكتب الواجب قراءتها بشأن الإيدز، وبعض الإرشادات حول ما يجب تعليمه. أرادت من كريستيانا أن تحضر مادتها التعليمية بنفسها وأن تحسّن ما فعلوه قبلاً. شعرت كريستيانا بالإطراء لذلك. سوف تعطي الدرس في تيغرينيا، مع مترجم محلي قربها للترجمة. قرأت قدر ما استطاعت من المواد هذا الصباح، وزارت بعض المرضى مع ماري، ثم عادت إلى قراءتها، وحذفت وجبة الغداء بالكامل. توجهت بعد ذلك إلى أوشي في الصف المدرسي. بدأت تقع في غرام الأولاد. إنهم رائعون ولطيفون، وأحبوا الحديث معها. قرأت للصغار قصة بعد المدرسة، ثم ذهبت إلى خارج المجمع لممارسة بعض التمارين. بقيت محجوزة في الداخل طوال اليوم.

شاهدت لور تجلس لوحدها بهدوء حين خرجت، فيما مرّت أكوبا وهي تمسك أحد أولادها بيدها. لوّحت لها كريستيانا وابتسمت. لقد مضى يومان فقط على وجود كريستيانا هنا، لكنها بدأت تشعر وكأنها في المنزل. كل شيء جديد ومثير، لكنها شعرت بالارتياح، ووقعت في غرام الأشخاص والبلاد بهذه السرعة كما لو أنها جاءت إلى هنا قبلاً. كانت على وشك الخروج من المجمع،

ثم قررت العودة والتكلم إلى لور. بدأت تعقد صداقات مع الآخرين، وأرادت على الأقل أن تحاول التقرب من الفتاة الفرنسية النكدة. بدت يائسة منذ أن وصلت كريستيانا. ويصعب عدم التساؤل عن السبب. والمرة الوحيدة التي شاهدتها فيها كريستيانا تبتسم كانت أثناء حديثها مع ولد. تمثلت مهمة لور في إنجاز عمل إداري في المكتب، وتعبئة السجلات الطبية وتصنيفها. إنه عمل متعب، لكنها تجيده على ما يبدو. قال جيف إنها دقيقة ومتأنية.

قالت كريستيانا بحذر: "مرحباً، هل تودين المشي؟ أحتاج إلى بعض الهواء". كان الهواء منعشاً، رغم كونه حاراً. هناك دوماً رائحة أزهار حولهم. ترددت الفتاة الفرنسية الطويلة صاحبة الشعر الداكن لبرهة. ظنت كريستيانا أنها سترفض، وذهلت حين أومأت برأسها. وقفت منتصبة، ونظرت إلى كريستيانا، ومن ثم انطلقتا للسير بصمت.

تجاوزتا نساء يرتدين ثيابهنّ الجميلة، ونزلتا في طريق بدا أن لور تعرفها وهي تؤدي إلى نهر صغير، مما جعل كريستيانا فجأة تشعر بالقلق.

اعترفت كريستيانا: "هل يجدر بي القلق بشأن الأفاعي. أنا أخاف كثيراً منها".

قالت لور مع ابتسامة خجولة: "لا أظن ذلك، جئت إلى هنا قبلاً ولم أشاهد يوماً واحدة". بدت لور أكثر ارتياحاً معها مما كانت قبلاً.

تابعتا المشي، وذهلت كريستيانا حين شاهدت خنزيراً وحشياً من بعيد. ذكّرها ذلك أنها في أفريقيا وليست في منطقة ريفية جميلة موجودة ربما في أوروبا. كل شيء هنا مثير ومختلف. يصعب التصديق أنه مضى يومان فقط على وجودها هنا. وبعد برهة، جلست المرأتان على جذع شجرة، وشاهدتا النهر وهو يجري. المكان هادئ جداً وأقرب إلى الخيال نوعاً ما. أملت كريستيانا ألا تظهر أفعى أمامهما.

قالت أخيراً: "تعرفت على عمتك مارك في روسيا"، وهي لا تعرف ما هو الشيء الآخر الذي يجدر بها قوله. بدت وكأنها تريد قول الكثير أو كأن

هناك شيئاً يوخزها في مكان ما. بدا واضحاً أن شيئاً ما يزعجها، وهو يفعل ذلك منذ وقت طويل ربما.

قالت لور بهدوء: "من المذهل عدد الأشخاص الذين يعرفونها".

قالت كريستيانا بتأثر، وهي تتذكر كيف التقتا في روسيا: "إنها امرأة لطيفة".

"إنها أكثر من ذلك. إنها قديسة نوعاً ما، هل تعرفين أنها خسرت زوجها وولديها؟ بقيت لوقت طويل حين اندلعت الحرب في... ورغم ذلك، لا تزال تحب المنطقة هنا. أفريقيا موجودة في دمها. وهي الآن تكرّس حياتها للأشخاص الآخرين. أتمنى لو أستطيع أن أكون مثلها، وأعطي الآخرين مثلما تفعل هي. أكره المكان هنا". ذهلت كريستيانا من الكلمات. بالنسبة إلى لور، هذا كلام طويل واعتراف مفاجئ.

قالت كريستيانا بلطف: "لا يوجد الكثير من الأشخاص الذين يستطيعون القيام بما تفعله هي"، شعرت بالإطراء لأن هذه المرأة التي بدت منغلقة جداً فتحت لها قلبها. "أظن أنها موهبة".

قالت لور بهدوء، فيما حدّقت فيها كريستيانا وهي غير مصدقة: "وأرى أنك تمتلكين الموهبة نفسها".

"كيف يمكنك قول ذلك؟ فأنت لا تعرفينني". شعرت بالإطراء نتيجة الكلمات. إنه إطراء كبير، خصوصاً منها.

"راقبتك، وأنتِ تخرجين البارحة من الصف مع أوشي. تحدثتِ إلى الجميع، وكان الأولاد متحلقين حولك. وحين أحضرت السجلات من مكتب ماري، كان كل مرضى الإيدز عندها يتحدثون عنكِ. هذه موهبة".

"أنت جيدة مع الأولاد أيضاً. أراك تبتسمين كلما تحدثت إليهم".

قالت لور بحزن: "الأولاد صادقون على الدوام، الكبار ليسوا صادقين أبداً. إنهم يكذبون، ويخدعون، ويجرحون. أظن أن معظم الأشخاص سيئون". حزنت كريستيانا لسماعها تقول هذا، وكان هذا وصفاً حزيناً لحياة امرأة شابة

والتجارب التي عاشتها.

بعدما استمعت إليها، وشاهدت النظرة في عينيها، قررت كريستيانا المجازفة. "الخيانة شيء فظيع، ولاسيما من الأشخاص الذين نحبهم".

كان هناك صمت طويل فيما راقبتها لور، كما لو أنها تقرر ما إذا كان يجدر بها الوثوق بها أم لا، ثم فعلت أخيراً. "أخبروك عن سبب مجيئي إلى هنا. أفترض أنه ليس سرّاً. الجميع في جنيف يعرفون الأمر... وفي باريس... وكل مكان آخر... حتى هنا. كنت مخطوبة من رجل سخر مني، وهرب مع أفضل صديقة لي". بدت حزينة جداً فيما قالت ذلك، والأكثر من ذلك، مجروحة في الصميم.

"لا تعطيه متعة تدميرك. لا يستحق ذلك، وكذلك الحال أيضاً بالنسبة إلى صديقتك التي هربت معه. سوف يدفعان عاجلاً أم آجلاً ثمن ذلك. فمثل هذه الأمور تقضّ مضجعك في النهاية. لا تجدين السعادة على حساب شخص آخر". ثمة شيء مطمئن في ما قالته كريستيانا. كانت تصلّي لتعثر على الكلمات الصحيحة الواجب قولها لهذه الفتاة المجروحة.

"سوف يرزقان بطفل. كانت حاملاً حين هربا معاً. جعلها تحمل منه فيما كنّا مخطوبين. لم أكتشف الأمر إلا لاحقاً. لإضافة الإهانة إلى المأساة".

فيما استمعت كريستيانا إليها، فكّرت فجأة في الكلمات التي كانت تسمعها كل يوم تقريباً في بيركلي، ولا مجال أبداً لترجمتها إلى الفرنسية. سألت لور بحذر ما إذا كانت تتكلم الانكليزية. أومأت لها بجدية وقالت إنها تفعل. نظرت إليها كريستيانا وابتسمت.

"في هذه الحالة، كل ما يمكنني قوله عنهما إنهما مقرفان. من الفظيع أن يفعلا هذا بك". ابتسمت لور أيضاً حين سمعت الكلمات، وكشفت فجأة عن ابتسامة عريضة، ثم بدأت تضحك.

قالت لور وهي تضحك: "هذا أسخف شيء سمعته في حياتي"، بدت أكثر جمالاً حين تضحك. كانت فتاة رائعة المظهر ويصعب التصديق أنه تمت

خيانتها. لا بد أنه مجنون لأنه تركها، وخصوصاً بالطريقة التي اعتمدها.

سألت كريستيانا وهي تقهقه: "هذا سخيف، أليس كذلك؟ لكن هذا يختصر كل شيء، أليس كذلك؟ هذا مقرف"، كررت العبارة بحماس وبدتا فجأة مثل فتاتين صغيرتين تجلسان قرب النهر، وبدت الحياة فجأة أكثر بساطة. إنهما مثل فتاتين انتهتا للتو من المدرسة. "لا بد أنه مغفل. حين نزلنا من الباص قبل يومين، قلت لنفسي إنك أجمل امرأة رأيتها في حياتي". هذا صحيح. كانت لور فتاة رائعة الجمال.

بدت لور محرجة: "لا تكوني سخيفة، أبدو مثل الشجرة. كرهت طوال حياتي كوني طويلة جداً. لطالما أردت أن أكون صغيرة مثلك. في الواقع، إن المرأة التي هرب معها، والتي يفترض أنها أفضل صديقة لي، تشبهك كثيراً. أزعجني الأمر لحظة رأيتك. وحين طلبت مني للتو مرافقتك في المشي، قلت لنفسي إنها ليست أنت. أنا آسفة إذا كنت فظة. في البداية، كلما نظرت إليك، كنت أراها، وأغضب منك".

كذبت كريستيانا: "لم تكوني فظة، بدوت فقط حزينة".

"لا"، أصرّت لور. "كنت فظة. لكنك تذكرينني كثيراً بها".

"كم أنا مقرفة"، قالت كريستيانا مجدداً بالانكليزية. كانت هذه عبارتها المفضلة في الجامعة. انحنت الشابتان نحو بعضهما وراحتا تضحكان.

أضافت لور بلكنتها الفرنسية القوية: "لا، أنا هي المقرفة"، فيما انهمرت الدموع على وجنتيهما، ومرّ ياو أمامهما. كان يركب على دراجته الهوائية متوجهاً إلى مكان ما، وسمعهما تضحكان، فأبطأ سرعته، ونظر نحو الشجرة، ثم صرخ لهما فيما لوّحتا له. ظنتا أنه يريد قول مرحباً فقط.

صرخ لهما. "اذهبا، إبتعدا!" كان يلوّح بعصبية، ونظرتا إلى بعضهما البعض، وهما لا تزالان تضحكان، ونهضتا. كان يلوّح لهما من بعيد. لم تتأكدا مما يريده أو مما يقوله لهما، لكنّه استمر في الصراخ لهما. كانتا لا تزالان تقهقهان، فيما عادتا على الطريق، وأشار هو إلى الشجرة. ثمة أفعى مامبا

خضراء عملاقة مستلقية مباشرة فوقهما، تتشمّس على غصن سميك في الشجرة، ثم نزلت إلى الجذع الذي كانتا تجلسان عليه، وانسلّت إلى النهر. عندما رأتاها، صرخت الفتاتان بصوت عالٍ وهربتا، وهما تلوّحان بأيديهما لياو الذي ضحك، ومشى بعيداً.

قالت كريستيانا: "اللعنة!"، وهي لا تزال تصرخ، فيما ركضت الفتاتان كل طريق العودة تقريباً إلى المجمع. ثم توقفتا وراحتا تضحكان مجدداً. "أوه، يا إلهي! هل رأيت ذلك الشيء؟" ركضتا بسرعة كبيرة بحيث شعرت كريستيانا بألم في خاصرتها. قالت كريستيانا وهي لا تزال ترتجف: "قلت لي إنك لم تري أبداً أية أفاعي هناك".

قالت لور مع ابتسامة: "ربما لم أنظر يوماً إلى الشجرة، هذه أكبر أفعى رأيتها في حياتي".

قالت الفتاتان في الوقت نفسه: "اللعنة علينا"، وضحكتا مجدداً.

قالت لور: "الحمد لله أنني سأعود قريباً إلى المنزل"، فيما مشتا ببطء أكبر، مراعاة للألم في خاصرة كريستيانا نتيجة الركض بسرعة. لم تركض يوماً في حياتها بهذه السرعة التي ركضت بها بعد أن شاهدتا الأفعى. لقد تحقق أسوأ كابوس لها. أو كان على وشك أن يتحقق لولا ياو. وفيما مشتا في طريق العودة، أدركت لور فجأة أنها حزينة للمغادرة. كريستيانا هي أول صديقة لها هنا. كان الآخرون لطفاء معها، وطيبين في العمل، لكنّ كريستيانا هي أول شخص تقرّب فعلاً منها. وهي بلا شك أول شخص جعلها تضحك بهذه القوة. حتى لو كانت تشبه كثيراً المرأة التي خانتها، فإنها فتاة لطيفة. هذا واضح لديها. سألتها لور باهتمام، فيما دخلتا إلى المخيم: "هل تمتلكين صديقاً؟"

"لا، لديّ شقيق، وأب، وكلب. هذا كل شيء في الوقت الحاضر. كان لدي صديق في بيركلي، لكنّ العلاقة لم تكن جدية. يرسل إليّ بريداً الكترونياً أحياناً، أو بالأحرى، كان يفعل قبل أن آتي إلى هنا".

"بدا لي صديقاك لطيفين؛ أقصد الشخصين اللذين جاءا معك". أومأت

كريستيانا برأسها، وهي غير أكيدة مما يجب قوله. يصعب شرح وضعهما أحياناً، سوى القول إنهما مجرد صديقين جيدين أرادا المجيء إلى أفريقيا هما أيضاً.

"كانا معي في روسيا، والتقيا بمارك أيضاً". أومأت لور برأسها، وفيما توجهتا إلى خيمة النساء، توقفت ونظرت إلى كريستيانا لبرهة طويلة.

"شكراً لأنك طلبت مني المشي معك. أمضيت وقتاً جميلاً كريكي". سمعت الآخرين ينادونها هكذا، وشعرت بالارتياح لأن تفعل ذلك هي أيضاً.

"أمضيت وقتاً جيداً أنا أيضاً". ابتسمت لها كريستيانا بحنان. فعقد صداقة مع لور هو بمثابة انتصار بالنسبة إليها، وهدية غير متوقعة. النتيجة تستحق العناء. "باستثناء الأفعى"، أضافت كريستيانا وضحكت الفتاتان فيما دخلتا إلى الخيمة التي يسميها الجميع الريتز. لقد عادت النساء الأخريات من العمل، ويرتحن بعد يوم طويل، في درجات مختلفة من الثياب المريحة.

سألتهما ماري: "أين كنتما؟" وهي متفاجئة لرؤيتهما معاً. لاحظ الجميع البرودة بين الاثنتين، وكيف كانت لور بغيضة مع كريستيانا حتى هذا الوقت.

"خرجنا للبحث عن الأفاعي، وعثرنا على واحدة كبيرة، مستلقية فوق شجرة". ابتسمت كريستيانا، وكذلك فعلت لور.

"لا تجلسي تحت الأشجار في أفريقيا"، وبختها ماري مع نظرة صارمة، وألقت نظرة خاطفة على لور مع الاستياء نفسه. ضحكت المرأتان، وأعلنت لور أنها ستستحم قبل العشاء، الأمر الذي يعرف الجميع أنه ليس بسيطاً بقدر ما يبدو. لكنّها واثقة من أنها تستطيع العثور على أحد ليسكب الماء عليها. ارتدت ثوب الحمام، وغادرت الخيمة، فيما استلقت كريستيانا على سريرها، محاولة عدم التفكير في الأفعى الكبيرة التي رأتاها. لم تصرخ يوماً في حياتها بهذا القدر أو تركض بهذه السرعة. الحمد لله أن ياو كان موجوداً.

"ماذا فعلت لها بحق السماء؟" سألت فيونا مع نظرة ذهول، بدت متعبة. لقد وُلدت ثلاث نساء بعد ظهر اليوم، ومات طفل واحد. تصاب دوماً بالاكتئاب

حين تحصل مثل هذه الأمور المأساوية. بذلت كل ما بوسعها لإنقاذ الطفل، وساعدها جيف، لكن لم يكن بوسعهما فعل أي شيء. تحصل الأمور بهذه الطريقة أحياناً، لكنّها تشعر بالاستياء.

قالت كريستيانا بهدوء: "خرجنا للمشي، أظن أنها كانت بحاجة إلى شخص للتكلم معه".

"حسناً، لم تتحدث أبداً مع أي منا إلى أن وصلتِ إلى هنا. لا بد أنكِ تمتلكين قوى خاصة".

"لا، كانت مستعدة للتحدث". أحست كريستيانا بذلك، رغم أنها لم تتوقع أن تجري الأمور بشكل جيد كما حصل. لم تشأ فقط أن تكون لديها عدوة تعيش معها في الخيمة نفسها.

قالت فيونا مع نظرة إعجاب: "لديك طريقة في التعامل مع الأشخاص، كريكي"، جميع من في المخيم لاحظوا ذلك، وتحدثوا عن الأمر. بدا الأمر واضحاً لهم جميعاً، حتى في الوقت القصير الذي مضى على وصولها. تمتلك كريستيانا نوعاً خاصاً من اللطافة؛ وهذه "موهبة" مثلما قالت لور بعد ظهر اليوم.

عادت لور من الاستحمام بعد فترة قصيرة. بدت سعيدة ومرتاحة، وحين خرجن جميعاً لتناول العشاء تلك الليلة، كانت تضحك هي وكريكي بشأن الأفعى. وللمرة الأولى منذ وجودها هنا، شاركت لور في مجمل الحديث خلال العشاء تلك الليلة. تفاجأ الجميع حين اكتشفوا أنها تمتلك حس الدعابة. مازحت كريكي بشأن صراخها العالي وسرعة ركضها.

أجابتها كريستيانا: "لم أشاهدكِ وأنتِ واقفة لالتقاط الصور لها"، وضحكتا مجدداً وهما لا تزالان ترتجفان مما كان سيحصل لو سقطت الأفعى من الشجرة فيما كانتا تجلسان هناك. يصعب التفكير في ذلك.

عادتا معاً إلى الخيمة تلك الليلة، وسألتها كريستيانا بهدوء لماذا تكره أفريقيا. صدمها الأمر حين قالت لور ذلك بعد الظهر.

قالت لور بشكل حالم: "ربما أنا لا أكره أفريقيا بقدر ما أظن، لم أكن سعيدة هنا. أفترض أنني أحضرت كل شيء معي، كل التعاسة التي حصلت لي قبل مجيئي. لا أعرف... ربما كرهت نفسي".

سألتها كريستيانا برفق، "لماذا تفعلين ذلك؟"

"لا أعرف... ربما لأنه لم يحبني كفاية للبقاء معي والإخلاص لي. ظننت ربما أنه إذا لم يحبني، لمَ يجدر بي... استمريت في البحث عن المشكلة التي لديّ لجعلهما يفعلان مثل هذا الشيء معي. الأمر معقد، حسبما أظن".

قالت كريستيانا ببساطة: "إنهما سيئان لأنهما فعلا هذا بكِ، الأشخاص الجيدون لا يفعلون مثل هذه الأشياء. لن تصدقي الأمر الآن، لكنكِ ستسرّين يوماً ما، حين تعثرين على شخص آخر. في المرة المقبلة، ستعثرين على رجل طيب. أنا واثقة من ذلك. الحظ السعيد لا يأتي مرتين. مرة واحدة تكفي في الحياة".

قالت لور فيما دخلتا إلى الخيمة: "لا أتخيل أنني أستطيع الوثوق في شخص آخر مجدداً". لم تعد بقية النساء، وكانتا لوحدهما.

"سوف تفعلين. سوف ترين".

سألت لور، وقد بدت حزينة مجددا، "متى؟" إن ألم الخيانة الذي عاشته لا يزال ظاهراً في عينيها، لكنّها تمتلك الآن صديقة على الأقل.

"حين تصبحين مستعدة. إنه لمن المفيد أنكِ أتيت إلى هنا وهربتِ من كل ذلك".

"هذا ما اعتقدته. لكنني أحضرت كل شيء معي إلى هنا. لم أستطع التفكير في شيء آخر".

قالت كريستيانا بهدوء: "عندما يحصل ذلك مجدداً، هل تعرفين ما يجدر بكِ فعله من الآن وصاعداً؟"

"ماذا؟" كانت لور تتوقع الكثير من الحكمة من صديقتها الجديدة. كانت ذكية ودقيقة جداً لغاية الآن، وتأثرت لور بذلك.

"فكّري فقط في الأفعى التي كادت أن تسقط علينا اليوم، وافرحي لأننا ما زلنا على قيد الحياة. لقد نجوتِ لغاية الآن من أفعيين. هو وأفعى اليوم". ضحكت لور بصوت عالٍ. كانت لا تزال تضحك حين دخلت الأخريات، ونظرن إليهما بدهشة مجدداً. لم يتخيل أحد أبداً ما الذي فعلته كريستيانا لتلك الفتاة التي لا تتحدث أبداً. كلهم كانوا متفقين على أنها نجحت في ما فعلته. لا مجال للشك أبداً. كريستيانا لديها موهبة. شعرن أنهن محظوظات لوجودها بينهن. وأحست هي بالشيء نفسه لوجودها بينهن.

الفصل 9

قبل يوم واحد من وصول فريق أطباء بلا حدود، كان الجميع مشغولاً. رتّب جيف الحالات التي يريدهم أن يطلعوا عليها. هناك بعض العمليات الجراحية البسيطة التي يعتقد أنهم سينجزونها هنا. ثمة حالتان خطيرتان من داء السل يشعر بالقلق حيالهما، وهناك تفشٍ بسيط لمرض الكالا أزار بحيث لم يصب بالهلع بعد، لكنّه يمتنّ دوماً لحضورهم ونصائحهم، خصوصاً في موسم الملاريا في سبتمبر، الذي ما زال بعيداً لحسن الحظ. سيأتي أربعة أطباء وممرضتان لقضاء الأسبوع، مما يخفف بعض الأعباء عن جيف وماري. وهناك دوماً مرضى الإيدز الواجب استشارتهم بشأنهم. يحضر فريق أطباء بلا حدود أدوية جديدة لهم. ومن اللطيف دوماً رؤية وجوه مألوفة وأخرى جديدة. قيل لهم في المخيم قبل بضعة أسابيع إن طبيباً جديداً سيأتي معهم، وينوي قضاء شهر تقريباً معهم. إنه شاب أميركي، يجري أبحاثاً حول الإيدز في هارفارد. أجاب جيف أنه ممتن لحضوره لمدة شهر تقريباً، إذا رغب في ذلك. سيزيد ذلك من عدد القاطنين في المخيم إلى ثمانية عشر شخصاً، ووعد جيف بأن يحضّر له سريراً إضافياً في خيمة جورج الخامس، لأن الأسرّة كلها ممتلئة.

كانت كريستيانا قد تحدثت إلى والدها مرتين، وقال لها إنه يشتاق إليها كثيراً. إنهم في شهر فبراير فقط، ولا يستطيع تخيل خمسة أشهر إضافية من دونها، أو ربما أكثر. قال إنه يريدها أن تعود إلى المنزل بعد انتهاء الستة أشهر، وعدم البقاء لبقية السنة، لم تُعلق على الموضوع. لم تشأ مناقشته في

الأمر منذ الآن. كانت تخطط لفعل ذلك في فترة لاحقة من السنة. فهي لا ترغب أبداً في مغادرة شرق أفريقيا قبل لحظة واحدة مما هو مفترض. شعر بالارتياح لأنها على الأقل بخير وسعيدة، رغم أنه يتحرق شوقاً لعودتها إلى المنزل باكراً. شعرت كريستيانا بالذنب لتركه وحيداً في اليشتشتاين، لكنّ الأمر مقدس هذه المرة بالنسبة إليها. إنها تعرف تماماً أنه لن تتاح لها مثل هذه الفرصة مجدداً.

في ذلك الوقت، كانت قد أنهت خطتها لبرنامج تعليم الإيدز، وبدأت تدير صفوفاً صغيرة للنساء المحليات، مع مترجمة برفقتها، وهي فتاة لطيفة تتحدث الانكليزية جيداً بعد أن تعلمتها من الإرساليات. في أغلب الأحيان، كانت ترجماتها تجعل كريستيانا وطالباتها يضحكن. كنّ يبتسمن ويقهقهن على الأشياء المضحكة التي تقولها كريستيانا، فيما أخذن الباقي على محمل الجد. رأت ماري أنها تنجز عملاً جيداً، وقالت ذلك لجيف، وكذلك لكريستيانا، التي اعتبرت أن ماري تجاملها.

كانت لا تزال تدرّس مع أوشي بعد ظهر كل يوم، وأحبها الأولاد كثيراً. أحضرت لور معها مرات عدة للمساعدة، وأحبت ذلك. فمع وجود صديقة يمكن الوثوق فيها، والقيام بنزهات خلال بعد الظهر، بدأت الفتاة الفرنسية المنطوية قبلاً بالإنفتاح. وحين علّق الآخرون على التحول العجيب الذي حصل، أصرّت كريستيانا على أنها مسألة توقيت فقط. كانت لور مستعدة للانفتاح، ووصلت كريستيانا في الوقت الصحيح. لم يصدق الآخرون ذلك. استطاعوا رؤية ما حصل، أفضل منها ربما، ولاحظوا كيف نجحت كريستيانا بإخراجها برفق من قوقعتها. لقد اختفت الفتاة الغاضبة والنكدة التي بقيت موجودة لأشهر. ها هي الآن تتحدث، وتضحك، وتقول النكات مثل الآخرين. وهي تلعب الورق أيضاً مع الرجال في الليل، وكانت تسرّ كثيراً حين تعود إلى خيمة النساء مع الكثير من "النافكا"، أي العملة المحلية، بين يديها.

بالإضافة إلى لور، كانت الفتاة التي ينادونها كريكي تزدهر أيضاً. حتى

جيف نسي الآن أنها صاحبة سمو، مما سهّل عليه الاحتفاظ بالسرّ. لقد أصبحت واحدة منهم خلال شهر واحد تقريباً. لم يعد باستطاعتهم تخيل الحياة من دونها، ولا هي أيضاً. شعرت وكأنها وجدت نفسها فعلاً في شرق أفريقيا، وتمنّت لو تستطيع البقاء إلى الأبد. لا تستطيع التفكير في الرحيل، وأرادت التشبث بكل لحظة والاستمتاع بمسرّاتها حتى أقصى الحدود.

صباح اليوم الذي وصل فيه فريق أطباء بلا حدود، كانت كريستيانا تقوم بجولة مع ماري، قبل الشروع في صف تعليم الوقاية من الإيدز. وعندما دخل رئيس الفريق الزائر مع جيف، عرّفه على كريستيانا. كما هي الحال دوماً الآن، يناديها فقط كريكي. كان رئيس الفريق الزائر ألمانياً، وتحدث إليها بالألمانية. كان رجلاً وسيم المظهر، يعمل مع منظمة أطباء بلا حدود منذ أعوام عدة. عمل في السودان ذات مرة، وفي سيراليون مرة أخرى، وفي زائير، وتانزانيا، وأخيراً في إريتريا. خلال حرب الحدود مع أثيوبيا، عالج الكثير من الإصابات في كلا الطرفين، وشعر بالارتياح حين انتهت الحرب، تماماً مثلما فعل السكان المحليون. والعديد من الأشخاص الذين هربوا في ذلك الوقت، وهاجروا إلى مكان آخر، عادوا الآن إلى إريتريا.

كان هو وجيف صديقين قديمين ويسرّان دوماً برؤية بعضهما البعض، علماً أنه كان أكبر سناً من جيف. كان يقول دوماً إنه أصبح كبيراً جداً للعمل الآن، لكنّ أحداً لم يصدقه. فهو رجل شاب المظهر، وحيوي، ويحب قيادة الطائرة بنفسه. قاد طائرات للجيش البريطاني في نهاية الحرب العالمية الثانية بعد الهروب من هولندا. كان رجلاً ممتعاً جداً، وسرّت كريستيانا بلقائه. سمعت عنه منذ وصولها.

تناولوا عشاء حيوياً في خيمة الأكل تلك الليلة، فالتقت المجموعتان، فيما راح الطبيب المسؤول يخبرهم قصصاً مضحكة، وقهقه الأفراد الشباب في المجموعة، واستمتعوا بالتعرف إلى بعضهم البعض أو تجديد صداقاتهم القديمة. من الجميل دوماً حضور وجوه جديدة إلى المخيم، تماماً كما حصل

عند مجيء كريكي والرجلين. جلس الأميركي الشاب قرب ماري خلال العشاء، وكانا يتحدثان عن بروتوكولات الإيدز الجديدة التي يتم اختبارها في هارفارد. كان شاباً، ولكنه كان شديد الاطلاع في مجاله، واستمتعت ماري فعلاً في سماع آخر التطورات وملء دماغه بقضاياها الحالية. فحص معها كل مرضاها بعد الظهر، وقدّم بعض الاقتراحات الممتازة. بالنسبة إلى كريستيانا، كان الاستماع إليهما بمثابة التواجد في جمعية طبية، لكنّها وجدت الأمر رائعاً. وفي أوقات كثيرة خلال العشاء، تحدثوا عن أمور أخرى. وصدح عدد لامتناه من الضحكات في خضم المواضيع الأكثر جدية.

سرّت كريستيانا لرؤية لور مستمتعة في الحديث إلى أحد الأطباء الفرنسيين. بدا وكأنهما يتحدثان بجدية طوال العشاء، وبعد تناول الحلوى استهلت لور لعبة ورق. أصبحت اللاعبة الأقوى والأكثر نجاحاً في المخيم، وليست الليلة استثناء أبداً. ألقت مرات عدة نظرات خاطفة على كريستيانا، وحين لم يكن أحد ينظر إليهما، كانت كريستيانا ترفع لها إصبعها دلالة على الطبيب الفرنسي الشاب، وتضحك لور. بدت أكثر سعادة مما كانت منذ زمن بعيد، وسرّت كريستيانا لذلك.

في نهاية السهرة، وفيما لا تزال لعبة الورق في أوجها، تم تعريف كريستيانا إلى الطبيب الأميركي الذي سيبقى معهم. اسمه باركر ويليامز، وسمعته يقول لأحدهم إنه من سان فرانسيسكو. وفيما كانا يتحدثان أثناء شرب القهوة، أخبرته أنها ذهبت إلى بيركلي. قال بتهذيب إنها جامعة ممتازة، رغم أنها تعرف أنه درس في هارفارد.

"كيف وصلت إلى هنا؟" سألها باهتمام. أخبرته عن الحصار في المدرسة الروسية، واللقاء بمارك، وإدراكها أنها تريد قضاء سنة كاملة من حياتها في القيام بمثل هذه الأشياء قبل أن تعود إلى شؤون عائلتها. وجواباً على أسئلتها، قال إنه ليس فعلياً فرداً من فريق أطباء بلا حدود، وإنما يتبعهم كجزء من مشروع بحثه حول الإيدز لجامعة هارفارد، لكنّه قال إنه يستمتع فعلاً بالأمر

ويتطلع بشوق إلى الوقت الذي سيمضيه في سيناف.

قالت بهدوء: "أحب المكان هنا"، ولاحظ من نظرة عينيها أنها فعلاً كذلك. كانت لور قد ذكرت قبلاً كم هو رجل جذاب وكم يشبه كريستيانا. فهو أشقر مثلها، وله عينان زرقاوان مثلها، لكنّه طويل وهي صغيرة القامة. بيد أنه ما من شيء صغير في روحها، مثلما اكتشف زملاؤها.

تحدثت مع باركر لبعض الوقت، بشأن المخيم، والأشخاص في سيناف، والعمل الذي يقومون به هنا. أخبرته عن برنامج الوقاية من الإيدز الذي أعدته بمساعدة ماري. وبعدما استمع إلى وصفها للمجالات التي تتناولها، قال إنه أحب الأمر، وتأثر بالتقدم الذي أحرزته في وقت قصير.

انضم بعد ذلك إلى لعبة الورق مع لور، وبقي معظم الرجال في خيمة الأكل، فيما عادت كريستيانا مع بقية النساء إلى خيمتهن.

قالت فيونا لكريستيانا أثناء عودتهما إلى الريتز: "إنه ظريف".

قالت كريستيانا ببراءة: "من؟" وقد شرد ذهنها لبرهة. إنها تفكر في أنها لم تتصل بوالدها منذ أيام عدة، ويجدر بها ربما الذهاب إلى سيناف لفعل ذلك في اليوم التالي. يصاب بالغضب حين لا تتصل به.

وبّختها فيونا قائلة: "لا تنظري إليّ هكذا، رأيتك تتكلمين معه. تعرفين من أقصد. الطبيب الشاب من هارفارد. اللعنة، إذا كنت لا تريدينه، سأنقض عليه بنفسي". كانت فيونا تغازل دوماً الرجال الجدد، رغم أن أقوالها أكثر من أفعالها. فلن تتاح لأي منهم فرصة إقامة مثل هذه العلاقات. وباستثناء ماغي وجيف، كان معظمهم يبتعدون عن العلاقات العاطفية في المخيم. يصبح الأمر معقداً جداً هنا، وهم يعيشون مع بعضهم مثل الإخوة والأخوات. لكنّ وصول فريق أطباء بلا حدود كان يلفت دوماً انتباه الجميع.

قالت كريستيانا: "يمكنك الحصول عليه"، وهي تضحك عليها، رغم أن فيونا لا تزال تغازل ماكس، لكنّها لم تصل معه إلى أي مكان لغاية الآن. إنه مجرد كلام، وشيئاً يمزحان به.

سألتها فيونا وهي تشير إلى باركر ويليامز مجدداً: "هل يعجبك؟"

"يبدو جيداً. لكنني لا أفكر في مثل هذه الأشياء هنا. هناك الكثير من الأشياء التي يتوجب عليّ فعلها والقلق بشأنها". كانت كريستيانا مهتمة بقضايا أخرى هنا، والعثور على رجل هو آخر شيء يخطر في بالها. إنها تدرك تماماً أن الأمر سيعقد حياتها. كان الأمر مختلفاً في بيركلي حين كانت طالبة. لكن ليس هنا، في أقاصي العالم، ولاسيما مع أعباء حياتها الحقيقية. إذا تورطت مع أحد هنا، سوف تنتهي العلاقة حين تعود. وقد يجرحها الأمر هذه المرة. في المرة الماضية، لم يحصل ذلك.

خلعت كل النساء ثيابهن، وخلدن إلى النوم، وبعد ساعة انضمت لور إليهن. لقد قضت وقتاً جيداً ومازحها الجميع في الصباح بشأن المال الذي ربحته. لقد تغلبت عليهم جميعاً.

قال جيف: "أنتِ الشخص الوحيد الذي أعرفه وهو يغادر سيناف ثرياً". فيما ابتسمت لور ابتسامة عريضة. لقد استمتعت بوقتها، وكان الطبيب الفرنسي لطيفاً.

كما هي الحال دوماً، بدأوا جميعاً في وظائفهم المختلفة في تمام السابعة. كان باركر ويليامز يقوم بجولات مع ماري، فيما رئيس الفريق يعاين مرضى مع جيف، ويساعدهم الأطباء الآخرون الذين وصلوا إلى هنا في معاينة المرضى وتعبئة المخازن. كانت كريستيانا في المكتب الصغير الذي استعملته لإعطاء صفها حول الوقاية من الإيدز، حين دخلت ماري، وسألتها ما إذا كانت تودّ الانضمام إليهما، وبدت متفاجئة. ليست فرداً من الفريق الطبي على الإطلاق، ومن الإطراء إدخالها في المناقشات الطبية، حتى لو لم تفهم منها شيئاً. إنها تتعلم دوماً شيئاً منها، وقد تعلمت الكثير خلال الوقت القصير الذي مضى على وجودها هنا.

أصبحت الآن تعرف كل مرضى الإيدز جيداً، وخصوصاً الأولاد. كانت تزور كل واحد منهم كل يوم، وتحضر لهم هدايا صغيرة، فاكهة للنساء وألعاب

للأولاد. كانت تضع لهم الأزهار الجميلة في غرفهم، بعد ترتيبها دوماً بطريقة رائعة. لديها طريقة في جعل حياة الجميع أفضل، مثلما لاحظت ماري على الدوام. لكنّها كانت هادئة حين انضمت إليهما. لم تشأ مقاطعة حديث باركر مع ماري. طرحت عليه فقط سؤالاً واحداً، عن دواء سمعت عنه من الآخرين لكنّها لم تفهمه. وفي مناسبتين، ترجمت له كريستيانا الكلام حين تحدث المرضى بالفرنسية فقط. ثمة امرأتان من الموزامبيق.

قال بطريقة عفوية حين غادرت لتدريس صفها: "شكراً على المساعدة".

"على الرحب والسعة". ابتسمت، وذهبت لتنجز عملها. لقد حذفت وجبة الغداء تماماً في ذلك النهار، وتوجهت مباشرة إلى الصف لمساعدة أوشي. وعندما انتهت، مرّت لرؤية لور في مكتبها. صودف وجود الطبيب الفرنسي الشاب هناك، يثرثر معها. ابتسمت لها كريكي، واختفت سريعاً. ثم خرجت للتنزه لوحدها. خرجت فيونا طوال اليوم، ولا يوجد بالتالي أحد للتكلم إليه أو المشي معه. وقد عاد الآخرون إلى الخيمة للاسترخاء.

"شكراً مجدداً على مساعدتك هذا الصباح"، سمعت صوتاً يناديها، فالتفتت لترى من يكون. إنه باركر. لقد عمل بكدّ طوال اليوم، وانتهيا في الوقت نفسه تقريباً.

"لم يكن شيئاً مهماً". ابتسمت له، ومن ثم لتكون مهذبة ولأنها لا تريد البقاء واقفة، سألته ما إذا كان يحب المشي معها، وأجابها نعم. قال إن المكان جميل، وهو جديد تماماً بالنسبة إليه. قال إنه جاء إلى أفريقيا منذ شهر واحد فقط.

قالت بمرح: "أنا أيضاً، أو أكثر قليلاً"، فيما مشيا في الاتجاه نفسه الذي تسلكه عادة مع لور.

سأل باهتمام: "من أين أنت؟" ظنّ أنها فرنسية، لكنّ ماري قالت إنها ليست كذلك.

ابتسمت له، "من بلد صغير في أوروبا، الليشتنشتاين".

"أين يقع بالضبط؟ لطالما سمعت عنه، لكن لأكون صادقاً، لا أعرف أين مكانه على الخريطة". لديه طريقة سهلة ولطيفة وابتسامة دافئة.

"هذه هي حال معظم الأشخاص. إنه يقع بين النمسا وسويسرا. مساحته مئة وستون كيلومتراً مربعاً فقط. بلد صغير جداً، ولهذا السبب لا تعرف أين يقع". ابتسمت له. لم يكونا يتغازلان، وهما بعيدان جداً عن ذلك. إنهما يجريان فقط محادثة خفيفة أثناء المشي. رأت أنه يشبه شقيقها فريدي قليلاً، لكنّه بدا أفضل سلوكاً منه. معظم الأشخاص كذلك.

"ماذا يتحدثون هناك؟" بدا أنه يمتص المعلومات مثل الاسفنجة. "الألمانية؟"

"في أغلب الأحيان، مع لهجة محلية مشتقة منها لكن يصعب كثيراً فهمها".

"والفرنسية؟" بدت فرنسيتها ممتازة بالنسبة إليه هذا الصباح، وهو الآن متأثر إذا لم تكن لغتها الأم. فلقد بدا له الأمر هكذا.

"بعض الأشخاص يتكلمونها، رغم أن معظمهم يتحدث الألمانية. أنا أتحدث دوماً الفرنسية في المنزل. كانت أمي فرنسية".

سألها، وهو يبدو متعاطفاً: "كانت؟"

"توفيت حين كنت في الخامسة".

"أنا توفيت أمي حين كنت في الخامسة عشرة". هذا شيء مشترك بينهما، رغم أنها لم تتوغل في الموضوع. لا تريد أن تكون فظة أو متطفلة وتطرح أسئلة مؤلمة. "ترعرعنا أنا وأخي لوحدنا مع والدي".

"وهكذا فعلنا أنا وأخي أيضاً". ابتسمت.

"ماذا يفعل شقيقك الآن، على افتراض أنه كبير كفاية ليفعل شيئاً ما؟" ضحك، بدت صغيرة جداً بالنسبة إليه، ربما لأنها قصيرة القامة. هي بالكاد أطول من طفلة صغيرة، لكن إذا كانت تعمل مع الصليب الأحمر في أفريقيا، فلا بد أنها في عمر مقبول، على الأقل فوق الحادية والعشرين.

قالت كريكي بحزن: "إنه كبير كفاية، إنه في الثالثة والثلاثين. في الواقع، إنه في أغلب الأحيان، يسافر، ويطارد النساء، ويقود السيارات السريعة".

"عمل جميل إذا استطعت العثور عليه"، مازحها. "شقيقي طبيب، وكذلك هو والدي. والدي جراح في سان فرانسيسكو، وشقيقي طبيب أطفال في نيويورك. وأنا أعيش في بوسطن". لقد أعطاها كل المعلومات المطلوبة، مثلما يفعل بعض الأميركيين، وأكثر بكثير مما يفعل بعض الأوروبيين الذين يعطون مقداراً أقل من المعلومات الشخصية. لكنّ كريستيانا لم تمانع. إنها تحب الطريقة الأميركية المنفتحة والودودة. لقد اشتاقت إليها منذ أن غادرت بيركلي في يونيو.

"أعرف أنك تعيش في بوسطن". ابتسمت له، فلقد بدا لطيفاً. "أنت تجري الأبحاث في هارفارد". بدا مسروراً لأنها تعرف ذلك.

"وماذا تفعلين في اليشتنشتاين... بالمناسبة، ما اسم مدينتك؟"

"أعيش في العاصمة، فادوز. وسوف أعمل مع والدي حين أعود إلى المنزل. لكنني أتمنى أن أبقى السنة كلها هنا في البداية. إذا سمح لي. يصبح عصبياً قليلاً حين أبتعد عنه. لكنّ أخي سيعود من الصين قريباً... أتمنى أن يلهيه ذلك. أو يجعله مجنوناً، بحسب ما يفعله أخي". ضحكا كلاهما.

"هل يقود سيارات سباق؟ ذكرت السيارات السريعة".

"لا". ضحكت أكثر هذه المرة، فيما مشيا في طريق محاط بالجنبات، والأزهار، والأشجار. كانت رائحة الأزهار قوية وعطرة، رائحة سترتبطها دوماً بأفريقيا. "إنه شاب سيىء جداً".

"ألا يعمل أبداً؟" بدا متفاجئاً. هذا المفهوم جديد عليه، ولكن ليس بالنسبة إليها. فمعظم الأمراء لا يعملون، وخصوصاً أولياء العهد مثل شقيقها، رغم أن معظمهم أكثر احتراماً منه، ويجدون سبلاً أكثر وداعة لتمضية أوقاتهم.

"في الواقع، يعمل أحياناً مع والدي أيضاً، لكنّه لا يحب ذلك كثيراً. يفضل السفر. إنه مسافر الآن في آسيا منذ أشهر عدة. كان قبلاً في اليابان، والآن في

الصين. وينوي التوقف في بورما في طريق عودته إلى المنزل". بدوا مثل عائلة مثيرة بالنسبة إليه.

"ووالدك؟"

"إنه يعمل في السياسة والعلاقات العامة". لقد تمرنت على العبارة الآن، وقد كررتها غالباً. وقد أقنعت نفسها بذلك تقريباً. "سوف أعمل معه حين أعود إلى المنزل".

قال بكرم: "يبدو ذلك ممتعاً".

فتمتمت: "لا أستطيع التفكير في شيء أسوأ. أفضل البقاء هنا".

"وما رأيه في ذلك؟" سأل وهو ينظر إليها بحذر. بدأت تحيّره. إنها فتاة ذكية جداً.

"ليس مسروراً كثيراً. لكنّه سمح لي بالمجيء. وافق على ستة أشهر، لكنني سأمدد لغاية سنة". أدرك أنها لا تزال صغيرة كفاية بحيث تخضع لوالدها، وتعتمد عليه نوعاً ما. لم تكن لديه فكرة إلى أية درجة كانت ملتزمة بقوانين والدها، والواجبات المفروضة عليها كأميرة. سيصاب بالذهول لو عرف.

"عليّ العودة إلى هارفارد في يونيو، لكنني أحب المكان هنا أنا أيضاً. إنه المكان الأكثر إثارة الذي ذهبت إليه. أعني أفريقيا. أجريت بعض الأبحاث في أميركا الوسطى قبل بضعة أعوام. اختصاصي هو الإيدز في البلدان النامية. كانت تلك فرصة رائعة بالنسبة إليّ".

"أطباء بلا حدود هم مجموعة رائعة. الجميع يحترمهم كثيراً".

"سيكون الأمر ممتعاً لي في سيناف أيضاً، ومن الجميل البقاء لبعض الوقت. ما فعلته خلال الشهر الماضي كان سريعاً وعلى عجلة، رغم أنني ممتن كثيراً لأنهم سمحوا لي بالمشاركة". أومأت برأسها فيما عادا ببطء. كانت نزهة ممتعة معه. سألها عن بيركلي وما إذا أحبتها، وقالت إنها أحبتها كثيراً.

"أشعر بالأسى لأنني سأعود إلى بلدي في يونيو".

قال مع ابتسامة ماكرة: "لا يبدو لي أنك تحبين أنت وشقيقك التواجد كثيراً في المنزل".

"أنت محق. الليشتنشتاين مكان صغير جداً. لا يوجد الكثير لفعله. الفرص أوسع لي هنا". إنها تستمتع بعملها في الإيدز وبالأولاد الذين تعلمهم بعد الظهر. شعرت أنها مفيدة هنا، وهذا مهم كثيراً بالنسبة إليها.

قال بتهذيب: "عليّ أن أزور ذلك البلد يوماً ما، ذهبت إلى فيينا، ولوزان، وزيوريخ لكنني لم أذهب أبداً إلى الليشتنشتاين".

قالت بإخلاص: "إنه مكان جميل جداً". لكنّها لم تكن مقتنعة بذلك.

أضاف: "ومضجر جداً".

اعترفت بابتسامة: "نعم، مضجر جداً".

"إذاً لمَ العودة؟" بدا مذهولاً. في الولايات المتحدة، إذا لم يحب الأشخاص المكان الذي يعيشون فيه، ينتقلون، تماماً مثلما فعل شقيقه. أحب سان فرانسيسكو، لكنّ المكان هادئ جداً بالنسبة إليه هو أيضاً.

قالت بحزن: "لا أمتلك أي خيار". لكنّ لا توجد أية طريقة للشرح. افترض مما قالته أن والدها يضغط عليها للعمل في الشؤون العائلية، خصوصاً وأن شقيقها غير مسؤول. لا يبدو الأمر عادلاً بالنسبة إليه. وحقيقة وضعها هي آخر شيء يمكن أن يخطر في باله. لا يستطيع تصوره ولو في مليون سنة.

"هكذا هي الحال. أمامي الآن إجازة هذه السنة، ومن ثم عليّ العودة إلى الأبد".

"يمكنك إعادة النظر في قرارك، ربما أثناء وجودك هنا". ضحكت عالياً على ذلك، وهزّت رأسها.

"أخشى أنه لا توجد أية طريقة لفعل ذلك. عليك أحياناً القبول بمسؤولياتك والقيام بما هو متوقع منك، مهما كان الأمر مملاً".

قال مصرّاً: "يمكنك فعل أي شيء تريدينه في الحياة، أو عدم القيام بما لا تريدين فعله. لم أؤمن يوماً أنه عليك الخضوع لأوامر الآخرين. علّمني والدي هذا حين كنت صغيراً".

"أتمنى لو أستطيع القول إن والدي يفكر بهذه الطريقة، لكنّه لا يفعل. إنه العكس تماماً. يؤمن في الواجب قبل أي شيء آخر. وفي التقاليد". رأى باركر أن الوضع صعب، لا بل غير منطقي ربما، لكنّه لم يقل ذلك لها. بدت سعيدة لوجودها هنا.

عادا إلى المخيم، وقال باركر، إنه سيذهب للاستحمام قبل تناول العشاء، كما لو أنه عائد إلى غرفة فندق.

أخبرته: "من الأفضل أن تسرع قبل أن يغادر الصبية صبّابو المياه". وشرحت له النظام الذي يستعملونه للاستحمام. لقد جربه هذا الصباح، لكنّه لم يدرك أنه بعد ساعة معينة، لا يبقى بإمكانه الاستحمام بعد أن يغادر الصبية صبّابو المياه. شكرها على المعلومات والنزهة اللطيفة، وأسرع عائداً إلى الخيمة. وفيما توجهت كريستيانا إلى خيمتها، فكّرت كم كان لطيفاً وطيب المعشر. ليست أكيدة تماماً، لكنّها تعتقد أنه بعمر فريدي. كانت لا تزال تفكر فيه حين عادت إلى خيمتها، واستلقت لبضع دقائق قبل العشاء.

كانت مستلقية على سريرها، تحدّق في الفضاء وباركر في فكرها، وقبل أن تدرك ذلك، شعرت بهدوء تام وخلدت للنوم.

الفصل 10

بقي فريق أطباء بلا حدود معهم لمدة أسبوع. عمل معهم فريق الصليب الأحمر في سيناف بكدّ، وأفادت جهودهم المشتركة المرضى الذين كانوا يعالجونهم، ولاسيما في قسم الإيدز، بمساعدة باركر. وفي كل ليلة، كان لقاء المجموعتين في خيمة الأكل يولّد جواً احتفالياً. قضوا وقتاً رائعاً مع بعضهم. ولاسيما لور والطبيب الفرنسي. وعندما غادر الفريق الطبي الزائر، ظهرت بوضوح شرارة بين لور وصديقها الجديد، وحين أخبرت كريستيانا بالأمر، كانت تشع فرحاً.

"إذاً؟" سألتها كريكي، فيما كانتا تسيران في طريقهما الاعتيادي نحو النهر. لكنهما لا تجلسان أبداً تحت الشجرة. لم تنسَ أي منهما الأفعى التي أنقذهما منها ياو.

"أحبه"، اعترفت لور بابتسامة خجولة، ثم بدت فجأة عصبية وخائفة. "لكن كيف لي أن أعرف؟ قد يكون كاذباً ومخادعاً مثل كل الرجال الآخرين". كانت كريستيانا حزينة جداً لسماعها تقول ذلك، وخصوصاً لرؤية النظرة المجروحة في عينيها. لقد ترك لها خطيبها هدية بشعة؛ هدية عدم الوثوق بأي رجل يتقرب منها.

قالت كريستيانا بحذر: "ليس كل الرجال كاذبين ومخادعين". لقد أصبحت المرأتان الشابتان صديقتين في الوقت القصير الذي عرفتا فيه بعضهما، وتثقان كثيراً في بعضهما البعض، وتتشاركان خصوصاً آمالهما وأحلامهما ومخاوفهما من المستقبل. تمنّت كريستيانا لو أنها تستطيع مشاركة المزيد معها، بشأن

وضعها الخاص، لكن لم تجرؤ. فسرّها كبير، ولا تستطيع مشاركته مع أي كان هنا، ولا حتى لور، مهما أحبتها. كانت تخشى أن يغيّر ذلك كل شيء بينهما، واستمرت في الاحتفاظ بما اعتبرته سرها الكبير، أي حقيقة كونها أميرة.
"بعض الرجال محترمون ومهذبون، لور، انظري إلى الحياة التي يعيشها، وما يفعله للبشرية. هذا يقول الكثير عنه، أليس كذلك؟"

قالت لور بحزن: "لا أعرف". ثم تلألأت الدموع في عينيها. "أخشى الوثوق فيه. لا أريد مجدداً أن أتعرض للأذى".

"ومن ثم ماذا؟" قالت كريستيانا بطريقة عملية، وبصوتها الرقيق والموزون. "تدخلين إلى دير؟ لا تواعدين أي شاب مجدداً؟ تتخلين عن حياتك؟ تبقين عازبة إلى الأبد، وتخشين الخروج مع أي شخص أو الوثوق في أي رجل؟ هذه حياة موحشة بالنسبة إليك لور. ليس الجميع فاسدين مثل الرجل الذي خذلك". أو صديقتها التي هربت معه. "قد لا يكون هذا الرجل هو الرجل الصحيح، أو لا يزال الوقت مبكراً ربما لكي تتقي بأحدٍ مجدداً، لكنني أكره رؤيتك وأنت تغلقين هذا الباب إلى الأبد. لا يمكنك فعل ذلك. أنت إنسانة رائعة وجميلة جداً للسماح بحدوث ذلك".

قالت لور وهي تجفف عينيها: "هذا ما يقوله لي، أخبرته بما حصل. رأى الأمر مريعاً".

قالت كريستيانا بحماس: "إنه مريع، من الفظيع فعل ذلك بكِ. كان وغداً حقيقياً، بكل ما للكلمة من معنى". وابتسمت لها لور. إنها تحب صديقتها الجديدة.

قالت لور وهي تحاول أن تكون عادلة: "لديه الحق في تغيير رأيه بشأن الزواج مني، وحتى الوقوع في غرام امرأة أخرى".

"نعم، ولكن ليس بالطريقة التي فعلها، وليس مع أفضل صديقة لك. لا بد أنه عرف قبل أكثر من يومين من موعد الزفاف أن لديه شكوكاً حول العلاقة، ولا شك في أنه كان متورطاً معها منذ فترة. كيفما نظرت إلى الأمر، تجدينه

مريعاً. لكنّ هذا لا يعني أن شخصاً آخر سيفعل الشيء نفسه مجدداً". كانت تحاول فصل المسألتين بحيث تستطيع لور رؤية الأمور بوضوح.

"حصل الشيء نفسه مع أنطوان"، قالت بهدوء. إنه الطبيب الشاب. "لم يكونا مخطوبين، لكنّه خرج معها طوال خمس سنوات، خلال الدرس في كلية الطب وبعد ذلك. هربت هي أيضاً مع أفضل صديق له، ثم تزوجت من أخيه، بحيث يتوجب عليه رؤيتها طوال الوقت. لهذا السبب، جاء إلى أفريقيا وانضم إلى أطباء بلا حدود، بحيث لا يضطر إلى رؤيتهما. لم يتحدث إلى أخيه منذ أن تزوجا، وهذا محزن بلا شك".

"يبدو أنها محتالة كبيرة. ويبدو أنكما محظوظان للتخلص من مثل هؤلاء الأشخاص، حتى لو لم يكن الأمر هكذا في الوقت الحاضر. أظن فعلاً أنه يجدر بك إعطاء هذا الرجل فرصة. متى تستطيعين رؤيته مجدداً بعد أن يغادر؟" لا تعرف تماماً متى سيعود الفريق إلى هنا مجدداً، رغم أنهم يأتون عادة إلى المخيم مرة كل شهر، وسوف تغادر لور خلال وقت قصير نسبياً، خلال شهر تقريباً، بحيث قد لا تراه إذا لم يصل فريق أطباء بلا حدود قبل أن ترحل هي. بدا مؤسفاً بالنسبة إلى كريستيانا أن يفوتا فرصة التعرف إلى بعضهما. لا شك في أنه يوجد أمر ما وإلا لما كانت منزعجة هكذا. إنها منجذبة بوضوح إلى هذا الرجل، وتشعر في الوقت نفسه بالخوف والضعف.

"يريد أن يراني في جنيف. سوف يغادر أفريقيا بعد أشهر قليلة. قبل الحصول على وظيفة في مستشفى في بروكسيل، متخصص في الطب الاستوائي. قال إنه سيأتي لزيارتي حين يعود. أنا أعود قبله بشهرين".

"يعطيك ذلك الوقت لتعديل الفكرة. لمَ لا ترين كيف يكون شعورك حين تعودين؟ ربما يمكنكما أنتما الاثنان التواصل مع بعضكما في هذا الوقت". ضحكت لور إجابة على ذلك، وتوجب على كريستيانا الاعتراف أنه لن يكون من السهل عليهما التواصل مع بعضهما في أفريقيا، نظراً للمواقع الجغرافية وطبيعة العمل. لكنّ ثلاثة أشهر ليست فترة طويلة للانتظار، وتحتاج لور إلى

الوقت للتعافي من جروحها. "أظن أنه يجدر بك التجربة، أو على الأقل ترك الباب مفتوحاً، ورؤية ما سيحدث. ليس لديك الكثير لتخسرينه في هذه المرحلة، ولم تستثمري أي شيء بعد. دعيه يثبت لك أنه رجل جيد. كوني حذرة، وإنما امنحي هذا الرجل المسكين فرصة على الأقل. فقد عانى الكثير هو أيضاً".

قالت لور وهي لا تزال تبدو قلقة: "لا أريد أن ينكسر قلبي مجدداً". لكن بدا واضحاً أنها مهتمة، واقتنعت بكل ما قالته كريستيانا.

قالت كريستيانا: "ما من شيء كامل ولم يشهد المتاعب قبلاً، هذا مثل معروف، وأظن أنه صحيح. تتحطم كل القلوب في مرحلة ما، ثم نصبح أقوى في النهاية".

قالت لها لور مبتسمة: "وأنت".

أجابت كريستيانا. "قلبي لا يزال عذرياً، في بعض الأوقات أحببت بعض الأشخاص كثيراً، لكنني لا أظن أنني وقعت يوماً في الغرام. في الواقع، أعرف أنني لن أفعل". كان لديها القليل من الفرص، باستثناء سنواتها في بيركلي. وما عدا ذلك، كان منظور عالمها صغيراً جداً، والخيارات أمامها ضيقة كثيراً لا بل غير موجودة. ولإرضاء والدها، يجب أن يكون من تحبه أميراً، أو صاحب لقب على الأقل، ومن عالمها. وإلا، فسيسبب ذلك انفجاراً كبيراً. ورغم أن أشخاصاً آخرين من العائلات الملكية تزوجوا أناساً عاديين في السنوات الأخيرة، إلا أنّ والدها لطالما شدد على ضرورة زواجها من شخص ملكي. إنه وعد قطعه لأمها قبل أن تموت، وتقليد يعني له الكثير، ويشير دوماً إلى نجاح عدد قليل فقط من زيجات الأفراد الملكيين مع أناس عاديين. ليس الأمر مجرد نسل بالنسبة إليه، وإنما هو يؤمن تماماً أنه من الضروري ألا يتزوج الإنسان شخصاً مختلفاً كثيراً عنه. ولطالما أوضح أنه لن يعطي موافقته أبداً إلا إذا تزوجت من شخص له نسل ملكي. إنها تؤمن به. ولا تستطيع تصور نفسها وهي تتزوج من دون موافقة والدها. لكنّها لا تستطيع قول الكثير للور.

"لا أوصيك بذلك. أقصد الوقوع في الغرام. لم أكن يوماً تعيسة في حياتي

مثلما أصبحت بعدما ألغى الزواج وهرب. ظننت أنني كنت سأموت".

"لكنك لم تموتي. وعليك تذكر ذلك. وإذا كان هذا الرجل، أو أي رجل آخر، شخصاً أفضل، تكونين محظوظة".

قالت لور: "أظن أنك محقة". وكانت تبدو أكثر فلسفة وشجاعة. قالت كريستيانا بعض الأشياء الممتازة، ولم تصل هذه الأشياء إلى آذان صماء. كانت لور مستعدة لسماعها، رغم أنها خائفة. أحبت فعلاً الرجل الذي التقته مؤخراً. كان هناك انجذاب وتفاهم فوري بينهما حين التقيا، تماماً مثل توأمي الروح، رغم أنها ليست واثقة تماماً من أنها لا تزال تؤمن في ذلك. كانت مقتنعة أن خطيبها السابق هو توأم روحها أيضاً، لكن تبين أنه ليس سوى توأم روح شخص آخر. لكنّ هذا الرجل مختلف، وبدا هشاً وحذراً، هو أيضاً، ولأسباب منطقية. إنهما متطابقان تماماً في العديد من النواحي، ويحترمان بعضهما البعض. قالت مع ابتسامة خجولة: "ربما سأراه حين أعود".

"فتاة جيدة"، قالت كريستيانا وعانقتها فيما عادتا إلى المخيم. تجاوزتا العديد من النساء المحليات اللواتي كنّ يمشين مع أولاد. ذكرت كلاهما كم أن سكان إريتريا طيبون، حتى مع بعضهم. إنهم يتحدثون تسع لغات مختلفة في البلاد، لكن مهما كانت اللغة التي ينطقون بها، فإنهم يكشفون دوماً عن ابتسامة، ويساعدون بعضهم على الدوام. يريدون أن يشعر الجميع بأنه محط ترحاب ومرتاح. وهذا ما يحول كل لقاء معهم إلى متعة.

الشيء الوحيد الذي آلم كريستيانا حين رأته كان الأولاد المصابين بسوء التغذية، والموجودين عادة في الضواحي الريفية، وإنما أحياناً في سيناف أيضاً. لقد عانوا أعواماً طويلة من الجوع والجفاف، ولطالما بكت كلما رأت البطون المنتفخة للأولاد المتضورين جوعاً الذين يأتون لتلقي المعالجة الطبية. هناك القليل من الأمور التي يمكن فعلها لهم لحل كل هذه الأمراض والأحزان والفقر الذي يعانون منه ويواجهونه بشجاعة. كان الصليب الأحمر يفعل كل ما بوسعه لهم، تماماً مثلما تفعل مجموعات أخرى، لكنّ البلاد بحاجة إلى أكثر من

مجموعة صغيرة من الأشخاص الحنونين المهتمين بهم. إنهم بحاجة إلى حلول سياسية واقتصادية تتخطى إمكانيات أي شخص. ثمة شعور باليأس عند التواجد هنا، وإنما في الوقت نفسه إحساس بالامتنان والمتعة لمجرد التواجد بينهم. أرادت كريستيانا التحدث إلى مؤسسة عائلتها بشأن تقديم هبة كبيرة لهم حين تعود إلى بلدها. وفي غضون ذلك، إنها تعطيهم وقتها، وقلبها، وروحها. ومجرد التواجد هنا هو هدية كبيرة بالنسبة إليها، وسوف تشعر دوماً بالامتنان لهم للترحيب بها بهذه الحفاوة، وكذلك للصليب الأحمر لأنه سمح لها بعيش هذه التجربة، ولوالدها لأنه سمح لها بالمجيء. مجرد التفكير في ذلك أحياناً يجعل قلبها يطير فرحاً.

وصلتا إلى المخيم في الوقت المناسب للاستحمام قبل العشاء. لقد رحلت الفتيات صبابات المياه، لكنّ النساء يسكبن المياه لبعضهن البعض، وانضمّت إليهما فيونا حين سمعتهما تضحكان خارج الخيمة.

"حسناً، ما الذي يحصل أيتها الفتاتين؟" سألت فيونا مع نظرتها الماكرة المعتادة. تواجه صعوبة حالياً في تقرير ما إذا كان يجدر بها مطاردة ماكس أو أحد الأطباء الزوار الذي رأته فاتناً. لكنّه سيغادر في اليوم التالي، الأمر الذي لا يعطيها الكثير من الوقت. ماكس هو استثمار أفضل طالما أنه سيبقى هنا لبعض الوقت. لا تنوي كريستيانا والرجلان العودة إلى بلدهم قبل أشهر، ليس قبل نهاية السنة، وهو بالتالي رهان أفضل من رجل الليلة الواحدة، مهما كان ظريفاً. ناقشت الأمر مع صديقتيها اللتين انفجرتا ضحكاً على معضلتها.

كانت فيونا تغيّر لوحدها وجه التوليد في منطقة دبوب، ولاسيما سيناف. قبل وصولها، كان يتوجب على النساء السفر ثلاثة أيام على الحمار للولادة في المستشفى بعيداً عن المنزل، وكنّ يلدن في الغالب أطفالهن على قارعة الطرقات. لكن بمساعدة فيونا، بات عدد أقل من المواليد الجدد يموت في الأيام القليلة الأولى التي تسبق الولادة أو تليها. وعندما تحسّ بمشكلة تتطلب وجود طبيب أثناء التوليد، كانت تصرّ على أن تلد النساء أطفالهن في المركز. تأثر

السكان المحليون كثيراً بلطافتها، وكفاءتها، وطاقتها، والصحة الجيدة التي يتمتع بها الأطفال عند ولادتهم. كانت الأمهات وأطفالهن بصحة جيدة بفضل رعاية فيونا. لقد أصبحت أسطورية ومحبوبة كثيراً.

سألت فيونا باهتمام: "أين كنتما؟" فيما جففت نفسها بعد الاستحمام في الوقت نفسه مع كريكي ولور.

قالت لور بهدوء: "كنا نتكلم فقط". لكنّها أصبحت ودودة أكثر معهم جميعاً الآن. فمنذ أن تفتحت صداقتها مع كريستيانا، أصبحت أكثر انفتاحاً مع الجميع. رأت فيونا أن هذا التغيير بمثابة أعجوبة، لكنّه لم يعد يفاجئها. بدا أن كريستيانا تمتلك هذه الموهبة مع الجميع. "بشأن أنطوان"، اعترفت مع تورّد في وجنتيها. "إنه لطيف جداً".

ضحكت فيونا. "إنه أكثر من ذلك. إنه رجل جميل جداً، وأظن أنه متيم بك". وكذلك لور متيمة به.

قالت لور بهدوء: "قد ألتقي به حين أعود"، مع نظرة خاطفة على صديقتها الأخرى. لقد أقنعتها كريستيانا بذلك بعد الظهر. على الأقل سوف تترك الباب مفتوحاً له، وترى ماذا سيحصل بعد ذلك. إنها خطوة كبيرة بالنسبة إليها.

في تلك الليلة، كان العشاء في خيمة الأكل بمثابة احتفال. أسف القاطنون في المخيم في ضواحي سيناف لرؤية الآخرين وهم يغادرون. الجو حيوي أكثر حين يأتون إلى هنا. هناك الكثير من الكلام والضحك، وبدا الطعام جيداً بصورة استثنائية، وقدّم جيف عدداً من قناني الشراب الجيد من جنوب أفريقيا. قضوا جميعاً وقتاً جيداً، وبعد ذلك وقفت لور مع أنطوان خارج الخيمة وتحدثا. بعد حديث لور مع كريستيانا، بدت أكثر انفتاحاً بوضوح. وحين خرجت كريستيانا مع فيونا من خيمة الأكل، شاهدتا أنطوان ولور يقبلان بعضهما بعيداً. لم تتفوها بأية كلمة، على أمل عدم إزعاج العاشقين، وعادتا إلى الريتز بصمت وهما متأثرتان بما شاهدتاه للتو. من الجيد أنه بعد مرور أشهر من

الحزن بسبب خطوبتها المفسوخة، بدأت لور تتعافى أخيراً. تمنتا أن تلتقي هي وأنطوان مجدداً في أوروبا. فهما على ما يبدو متيمين ببعضهما.

قالت فيونا مع ابتسامة: "أنا مسرورة لأن أحداً ما يحظى بقبلة هنا"، وضحكت كريستيانا فيما دخلتا إلى الخيمة. "أنا واثقة من أنني لن أحظى بواحدة"، تذمرت بطيبة. إنهم يعيشون قرب بعضهم ويعرفون بعضهم جيداً بحيث باتوا أكثر مثل الإخوة والأخوات، ولا تزدهر العلاقات العاطفية أو حتى تحصل. الأمر بهذه البساطة. لقد بدأت تفقد الاهتمام بمطاردة ماكس، وأصبحت صديقة له. يشعر بالارتياح هو وصاموئيل مع الجميع هنا. إنهما يعملان بكدّ مثل الآخرين، وخصوصاً في تسليم الأغراض وترتيبها، وإجراء التصليحات، وملء الاستمارات لطلب ما هو ناقص، والذهاب إلى السوق لشراء اللوازم الطارئة. يقدّر الجميع مساعدتهما وجهودهما الكبيرة. وهما يتكلمان مع كريستيانا مرات عدة خلال اليوم، ولا يبتعدان أبداً عنها، لكنهما لا يحومان حولها أو يتدخلان في ما تقوم به. لقد توصلا إلى التوازن المثالي. لم يحصل أي إفشاء لهويتها الحقيقية، لا منهما ولا من جيف.

سألت فيونا كريستيانا، فيما خلدتا إلى السرير: "وماذا عنك أنت والطبيب الأميركي الجديد؟ أظن أنك تعجبينه". تحب فيونا تخيل الجنس والعلاقات العاطفية حولها، رغم أنه يوجد القليل من ذلك أو حتى لا شيء إطلاقاً في المخيم. لديهم أشياء أخرى في عقولهم، ووضعوا العلاقات العاطفية جانباً خلال فترة إقامتهم هنا، الأمر الذي أحزنها.

"إنه معجب بالجميع"، ابتسمت لها كريستيانا وهي تتثاءب. شعرت بالأسف هي أيضاً لرؤية الفريق الطبي الزائر يرحل. عاشوا أوقاتاً جميلة أثناء وجودهم هنا، وقد أنجزوا الكثير من العمل المذهل. "هذه هي طريقة الأميركيين. أحببت الذهاب إلى الجامعة في أميركا. قضيت وقتاً رائعاً أثناء وجودي هناك".

قالت فيونا: "أنا لم أذهب أبداً، أحب أن أفعل ذلك يوماً ما، إذا استطعت".

جنت القليل من المال نتيجة مهنتها كقابلة قانونية في إيرلندا، وهي تجني مقداراً أقل هنا، وإنما لقضية جيدة. إنها تحب فعلاً ما تقوم به مع النساء المحليات، وقد أنقذت لغاية الآن حياة العديد من الأشخاص. "ربما سوف أبقى فقيرة إلى الأبد". لا تعرف لماذا، لكن لطالما أحست أن الحال ليست كذلك مع كريستيانا. إنها ترتدي ثياباً بسيطة، ولا تضع المجوهرات أبداً، لكنّها مثقفة بوضوح وتمتلك طرقاً راقية، وهي لطيفة مع كل شخص حولها. كل شيء فيها يوحي بأنها من عائلة ميسورة. وقد لاحظت فيونا منذ وقت طويل أنها تمتلك كرم الفتاة المرتاحة جداً في عالمها. ما من شيء فيها يوحي بالغيرة أو الكره. بدت أنها تهتم بالجميع، ولا تتحدث أبداً عن المال أو المزايا التي تمتلكها أو لا تمتلكها في بلدها. في الواقع، إنها بالكاد تتحدث عن بلدها، باستثناء الحديث بين الحين والآخر عن والدها بإعجاب كبير. شعرت فيونا أنها تأتي من حياة ميسورة جداً، لكن ليس لديها سبيل للتأكد من ذلك. هذه هي العبارة التي استخدمتها ماري حين تحدثت عنها، ووافق الجميع على أنها وصفتها بأفضل ما يمكن. تمتلك كريستيانا الكياسة، ويبدو ذلك متأصلاً فيها، مثل الابتسامة على وجهها.

"ربما نستطيع الذهاب معاً إلى أميركا في يوم من الأيام، إذا غادرت أفريقيا أصلاً، الأمر الذي بدأت أشكك فيه. أظن أحياناً أنني سأبقى هنا إلى الأبد، وربما حتى أموت هنا"، قالت فيونا بنظرة حالمة، فيما ابتسمت لها كريستيانا ورأسها على وسادتها وذراعاها خلف رأسها.

"أتمنى لو أنني أستطيع البقاء أنا أيضاً. أحب المكان هنا. كل شيء منطقي هنا. أشعر دوماً أن هذا ما أردت فعله. في الوقت الحاضر على الأقل".

قالت فيونا فيما أطفأت ضوءها: "هذا شعور جيد". لم تعد النساء الأخريات بعد. بقيت ماري خارجاً للاستمتاع بليلة أخيرة من الكلام مع الأطباء. لا تزال لور في مكان ما مع أنطوان، تقبله ربما، أو تتعرف إليه بصورة أفضل قبل أن يرحل. سمعت المرأتان ضحكاً في الخارج. وكانتا

نائمتين تماماً حين عادت بقية النساء.

كان الجميع حاضراً لقول كلمة وداعاً لفريق أطباء بلا حدود في صباح اليوم التالي. إنه واحد من الأيام الذهبية الرائعة في أفريقيا التي تجعلهم يعشقون المكان. يكرهون جميعاً رؤية الأطباء الزوار وهم يغادرون. كان الوقت ممتعاً جداً في المخيم أثناء وجودهم. ولاحظت كريستيانا فيما كانت تودعهم أن أنطوان كان يمسك بيد لور، فيما هي تبتسم له. مهما حصل بينهما في الليلة السابقة، فيبدو بأنه جيد. بدت لور وكأنها على وشك البكاء حين غادر.

قالت كريستيانا بثقة فيما عادتا إلى العمل بعد توديع الفريق: "سوف ترينه قريباً". وتوجهت لور إلى المكتب، وذهبت كريستيانا إلى الكوخ، حيث تزور مرضى الإيدز كل صباح.

تمتمت لور في سرّها: "هذا ما قاله أيضاً". وابتسمت كريستيانا ابتسامة عريضة.

حين دخلت، وجدت ماري تقوم بجولات مع باركر. لقد انتهى للتو من فحص أم شابة التقط طفلها عدوى الإيدز. كشف الحديث معها أنها لم تستخدم الحليب المجفف الذي أعطوه لها وأرضعت الطفل من ثديها بدل ذلك. قالت إن زوجها شكك في الحليب المجفف، وظنّ أن الطفل قد يمرض، وربما بعيداً. إنها مأساة تراها ماري كل يوم. الإيدز وسوء التغذية هما اللعنتان اللتان تحاربهما دوماً هنا.

مرّت كريستيانا بهدوء أمامهما لزيارة النساء والأطفال الذين تعرفهم. لم تشأ إزعاج باركر أو ماري، وراحت تنجز عملها بصمت، وتهمس برفق بضع كلمات من لغتيّ التغرينيا والتيغر اللتين تعلمتهما. تشكل هاتان اللغتان تسعين في المئة من اللغة المحكية في إريتريا. يتم التحدث أيضاً ببعض العربية، رغم أن كريستيانا لم تتعلم أية كلمة منها بعد. كانت تعمل بكدّ لتعلم اللغتين، وساعدتها فيونا لأنها طليقة اللسان في الاثنتين معاً نظراً لعملها المسهب في مجال توليد أطفال النساء المحليات. كانت النساء اللواتي تحدثت إليهن

كريستيانا في جناح الإيدز يمتلكن أسماء مثل موانايما، الذي يعني يوم الجمعة، وويكيسا الذي يعني وقت الحصاد، ونسونوا (المولود السابع)، وأبني، ومنيفة، وتشيومبو، وداداء، وإيف الذي يعني الحب. أحبت كريستيانا أسماءهن. ضحكت النساء على جهودها في تعلم لغة التيغر، التي ما زالت لا تتحدثها جيداً بعد، وأومأن برؤوسهن علامة الموافقة فيما حاولت تعلم الكلمات الأساسية على الأقل في لغة التغرينيا. لن تتحدث حتماً بهاتين اللغتين بعد رحيلها من هنا. لكنّ هاتين اللغتين مفيدتان هنا، لعملها مع النساء والأولاد المحليين، وحين تتنقل في سيناف. أحبتها النساء بسبب الجهود التي بذلتها، حتى لو ارتكبت أخطاء محرجة. وحين تفعل، كان الجميع يقهقه في الجناح. بعدما انتهت من تسليم سلل الفاكهة لكل منهنّ، ورتبت إناءين من الأزهار التي قطفتها بنفسها، ذهبت إلى مكتبها للقاء عدد من النساء الشابات وتعليمهنّ مادة الوقاية من الإيدز التي حضّرتها.

كانت قد انتهت للتو مع النساء عندما دخل باركر ليشاهدها تعطي كل واحدة من النساء قلم حبر ومجموعة من أقلام الرصاص قبل رحيلهن.

"ما هذا؟ أقصد الأقلام؟" كان ينظر إليها بإعجاب. تأثر قبلاً بلطافتها وانتباهها لكل شخص موجود في الجناح. ورأى أن مادة الوقاية من الإيدز التي حضّرتها مهمة فعلاً.

ابتسمت كريستيانا قبل أن تجيب. كان يرتدي شورتاً واسعاً حتى ركبتيه، ومعطفه الأبيض فوق قميص قطني. كل شيء عفوي هنا. "لا أعرف لماذا، لكنّ الجميع يحبون أقلام الحبر وأقلام الرصاص. أشتريها بالعلبة من المدينة". في الواقع، كان صاموئيل وماكس يفعلان ذلك، ويعطيانها الأقلام حين يعودان، لتتمكن من تسليمها في كل زيارة تقريباً للجناح ولكل شخص بعد كل صف. "يفضلون الحصول على قلم أكثر من أي شيء آخر باستثناء الطعام". البلد كله يواجه معركة سوء التغذية. الطعام هو أكبر هدية، وكان المركز يقدم الكثير منه. إنه المورد الأكثر أهمية بالنسبة إليهم.

"عليّ تذكر ذلك"، قال باركر وهو يراقبها. بدت وكأنها تعلمت الكثير خلال الوقت القصير الذي مضى على وجودها هنا. تأثر خصوصاً بجهودها للتحدث إليهم بلغتهم الأصلية. بدت اللغات مستحيلة بالنسبة إليه. لا يتخيل أنه يستطيع فعل الشيء نفسه مثلها بعد مرور شهر تقريباً على وجودها هنا. كانت كريستيانا تعمل بكدّ مع مترجمتها لتعلم الكلمات والعبارات الأساسية في اللغات المحلية الأكثر شيوعاً. "هل تذهبين إلى الخيمة لتناول الغداء؟" سألها مع ابتسامة ودودة. تساءلت ما إذا كان وحيداً الآن بعد أن ذهب الفريق الطبي.

شرحت له: "سوف أعطي صفاً خلال دقائق معدودة، مع أوشي. الأولاد ظرفاء فعلاً".

سألها باهتمام: "هل تتحدثين معهم باللغة المحلية أيضاً؟"

"أحاول ذلك، لكنهم يضحكون عادة عليّ، أكثر مما تفعل النساء". ابتسمت عند التفكير في ذلك. ينفجر الأولاد دوماً في ضحكات كبيرة كلما قالت شيئاً خاطئاً، وهذا ما تفعله غالباً. لكنّها كانت مصممة على تعلم لغتهم لتتمكن من التحدث إليهم مباشرة.

"هل تعطينهم الأقلام أيضاً؟" بدأ يجدها محيرة. لديها طريقة هادئة ورزينة تروق له، أكثر مما يريد. فآخر شيء يريده هنا هو التورط في علاقة مع امرأة. ستكون الأمور أبسط كثيراً عند الاكتفاء بالصداقة، ولديه الانطباع بأنها جيدة في ذلك أيضاً. إنها مستمعة جيدة، وبدا أنها تهتم بالأشخاص.

قالت إجابة على سؤاله: "نعم، أفعل، يشتريها لي ماكس وسام بالعلب. الأقلام الملونة تلقى دوماً رواجاً كبيراً".

"عليّ شراء البعض منها أنا أيضاً لإعطائها للمرضى. تظنين أنهم يرغبون في شيء أكثر فائدة".

"الأقلام تشكل رمزاً كبيراً هنا. إنها توحي بالتعليم وبأن لديك أشياء مهمة لتكتبها. أخبرتني ماغي بذلك حين وصلت".

"ماذا عن الغداء؟" مضت ست ساعات على تناولهم الطعام وهو يتضور

جوعاً. سوف يدير عيادة تغذية مع جيف بعد ظهر اليوم، وسوف يوزعان الطعام.

قالت بصدق: "لا أمتلك الوقت، سأتناول شيئاً في طريقي إلى الصف. أكتفي عادة بتناول الفاكهة عند الغداء. لكنهم يضعون السندويشات كل يوم، وليس فقط حين يكون الفريق الزائر هنا". لا يزال جديداً على المخيم وعاداته.

"أتمنى أن يفعلوا. أجوع كثيراً هنا. لا بد أنه الجو". أو لأنهم يعملون بكدّ، جميعهم، وهو أيضاً. أحبت أيضاً طريقته في التعامل مع الأشخاص. بدا لطيفاً وماهراً، ومهتماً كثيراً في كل حالة. بدا أنه يستجيب بسهولة لحنان الأشخاص الذين يعالجهم. من السهل ملاحظة كم هو ماهر في ما يقوم به. إنه يوحي بثقة هادئة، ولديه طريقة تطمئن الأشخاص بأنه يعرف تماماً ما يفعله.

توجها إلى خيمة الأكل جنباً إلى جنب، وحين وصلا إلى هناك، تناولت كريستيانا قليلاً من الفاكهة من سلة كبيرة. هناك لبن أيضاً، يشتريه المخيم من سيناف، لكنّها لم تتذوقه أبداً. بقيت بعيدة عن مشتقات الحليب في أفريقيا. يمرض الكثير من الأشخاص بسرعة، ليس فقط من الأمراض الأساسية التي تعصف بالمنطقة، وإنما أيضاً من الإسهال. لم تصب به بعد، وتأمل أن تستمر هكذا. ساعد باركر نفسه بسندويشين، ولفهما في فوطة، وأخذ موزة.

"بما أنك لن تتناولي الغداء معي، كريكي"– ابتسم–" أظن أنني سآخذ غدائي معي إلى العمل أنا أيضاً". لقد جاء الآخرون وذهبوا. لا يبقى أي من العاملين هنا لفترة طويلة خلال الغداء. رافقها إلى الصف حيث تعلّم هي وأوشي، ثم عاد إلى الكوخ الآخر لمناقشة عدد من الحالات مع ماري. قال لها: "أراك لاحقاً"، ثم ابتعد وهو يبدو عفوياً وسعيداً. بدا جلياً لكريستيانا أنه يحاول عقد صداقة معها، لكنّ أوشي لا ترى ذلك. رأت أن هناك شيئاً أكثر في باله.

مازحتها أوشي: "موعد غداء؟"

"لا. لا أمتلك الوقت. أظن أنه وحيد من دون أصدقائه".

"أرى في الأمر أكثر من ذلك". كانت أوشي تراقبهما منذ أيام، ووجدته

هي أيضاً جذاباً جداً، لكنّها مثل كريستيانا والأخريات، لا تريد تعقيدات علاقة عاطفية في المخيم. وبدا هو مهتماً بكريكي أكثر مما هو مهتم فيها. لقد أوضح ذلك تماماً من خلال تودده إليها، فيما بالكاد وجّه كلمة إلى أوشي.

قالت كريستيانا بحزم: "لا أمتلك الوقت، ولا الاهتمام، بالإضافة إلى ذلك، هذه هي طريقة الأميركيين. إنهم ودودون. أراهنك على أنه رغم الأجواء في المخيم، إلاّ أنه ليس مهتماً أبداً بالعلاقات العاطفية. إنه هنا ليعمل، تماماً مثلنا نحن جميعاً".

قالت أوشي مع ابتسامة: "لا يعني ذلك أنك لا تستطيعين الاستمتاع قليلاً أيضاً". إنها تحب الخروج مع الرجال، لكنّها لم تلتقِ برجال ملائمين لها هنا. باركر هو أول مرشح جذاب فعلاً تصادفه، إضافة إلى الفريق الزائر الذي يأتي كل شهر، رغم أنها اعتبرته صغيراً بالنسبة إليها. إنه بعمر ماكس وصاموئيل اللذين تجاهلت إقامة علاقة عاطفية معهما للسبب نفسه. عرفت من سجلات باركر في المكتب أن عمره اثنان وثلاثون عاماً، فيما أوشي في الثانية والأربعين. العمر لا يهم هنا، ويتصرفون معظم الوقت مثل مجموعة واحدة. لكن لديها إحساس بأنه مهتم بكريستيانا، رغم عدم وجود دليل جدي على ذلك، باستثناء جهوده العفوية لعقد صداقة معها. لاحظت باركر وهو يراقب كريستيانا بهدوء خلال العشاء، رغم أنها بدت غير مدركة لذلك. لا تخطر في بالها العلاقات العاطفية، وإنما فقط العمل، ولديها طريقة متحفظة ورزينة ومهذبة، خصوصاً مع الرجال، كما لو أنها مصرّة دوماً على عدم فضح نفسها بأية طريقة. كانت تشعر بارتياح أكبر مع النساء. أخيراً، قالت أوشي بصراحة: "أظن أنه مفتون بك"، وهزّت كريستيانا رأسها بحزم.

"لا تكوني سخيفة". استبعدت الفكرة، وعادتا بعد برهة للعمل، لكنّ أوشي كانت مقتنعة أن تقييمها صحيح.

تحدثت مع فيونا حول الموضوع بعد بضعة أيام، فيما استمر باركر في التحدث مع كريستيانا في كل مناسبة، وبدأ يستعير الكتب منها، ويسألها عن

عدد من مرضى الإيدز الذين أصبحت تعرفهم جيداً. بدا دائماً وكأن لديه شيئاً لسؤالها عنه، أو قوله لها، أو إعطائه لها، أو استعارته منها. وبناء على اقتراحها، بدأ يسلم الأقلام لكل شخص يراه. أحبه المرضى لذلك، وأصبح محبوباً جداً بعد مرور أسابيع قليلة على وصوله، بسبب طرقه اللطيفة. بقي سهراناً لوقت متأخر في خيمة الرجال، يحدق في الملاحظات التي سجلها لمشروع بحثه. شاهدت فيونا الجزء الخاص به من الخيمة مضاء حين عادت في وقت متأخر بعد الانتهاء من توليد النساء. حين سمعها، خرج وقال لها مرحبا، وتحدثا لبضع دقائق، حتى في الثالثة والرابعة فجراً. واللافت أنه بدا منتعشاً وفي مزاج جيد في اليوم التالي.

غالباً ما دعا كريستيانا للقيام بنزهات معه في نهاية أيام العمل. لم ترَ أي خطب في ذلك، واستمتعت بصحبته، واكتشفا معاً طرقاً جديدة وأراضي غير مكتشفة من قبل. أجمعا كلاهما على أنهما يحبان أفريقيا، وشعبها، والجو، والقدرة على تحسين ظروف الأشخاص الذي كانوا لطفاء ومنفتحين جداً معهم وبحاجة ماسة إلى مساعدتهم.

قالت يوماً ما فيما جلسا على جذع شجرة قبل العودة: "أشعر وكأن حياتي اكتسبت أخيراً معنى". لم تكن هناك شجرة فوقهما، علماً أنها أخبرته عن تجربتها مع لور حين سقطت الأفعى عن الشجرة قبل بضعة أشهر. لقد أصبحوا الآن في شهر أبريل، وتستعد لور للمغادرة في أي يوم. ازدهرت مراسلاتها مع أنطوان، وهي تتطلع لرؤيته في جنيف في شهر يونيو. لقد أعدّا الخطط للقاء مجدداً. "لم أشعر قبلاً هكذا"، تابعت كريستيانا. "أحسست دوماً أنني أبدد وقتي، ولم أفعل أي شيء مفيد لأحد... حتى تلك الليلة في روسيا... وحين جئت إلى هنا".

قال باركر: "لا تكوني قاسية على نفسك، لقد أنهيت الجامعة للتو، كريكي. ما من أحد في عمرك حقق شيئاً للعالم بعد، أو عالج كل أمراضه. أنا أكبر منك بعشر سنوات تقريباً وبدأت للتو أحقق ذاتي. مساعدة الأشخاص هي

عمل الحياة، ويبدو لي أنك حققت انطلاقة جيدة هنا. هل من شيء مثل هذا يمكنك القيام به حين تعودين إلى الليشتنشتاين؟" سألها رغم معرفتهما أن فرصاً قليلة في الحياة تأتي مثل الفرصة التي يعيشانها هنا.

ضحكت على سؤاله، ونسيت لبرهة أنه لا يعرف من تكون. فالحديث مع باركر كان مثل الحديث مع أخ، حتى لو لم يكن بالضرورة أخاها. "هل تمزح؟ كل ما أفعله هناك هو قص الأشرطة والذهاب إلى حفلات العشاء مع والدي. كنت أعيش حياة غبية تماماً قبل مجيئي إلى هنا. كان ذلك يجنني". قالت وهي تبدو يائسة مجدداً لمجرد التفكير في الأمر.

سألها وهو يبدو مذهولاً "أي نوع من الأشرطة؟" لا يعني قص الأشرطة شيئاً بالنسبة إليه. فمفهوم أميرة تقص شريطاً لافتتاح مستشفى أو دار للأولاد غريب بالنسبة إليه، وأبعد شيء عن باله. "هل يعمل والدك في صناعة الأشرطة؟ ظننت أنه يعمل في السياسة والعلاقات العامة". وحتى هذا الشرح بدا غامضاً.

ضحكت كريستيانا عالياً رغماً عنها. "أنا آسفة... ليس لذلك أي معنى. لا يهم. أنفذ فقط المهام التي يطلبها مني... تعلم، مثل حفل افتتاح متجر تسوق. يرسلني أحياناً لأحل مكانه حين يكون مشغولاً كثيراً. هذا هو قسم العلاقات العامة. أما القسم السياسي فهو أكثر تعقيداً بالنسبة للشرح". خافت لبرهة من أن تكون قد تفوهت بحماقة وكشفت هويتها.

قال بتعاطف: "لا يبدو لي ذلك ممتعاً". شعر بالشيء نفسه حين انضم إلى عيادة والده في سان فرانسيسكو. فضّل أكثر مشروع الأبحاث الذي يعمل عليه في هارفارد، والآن الوقت الذي يمضيه هنا. شرحت له كريستيانا العديد من الأمور، وكانت لطيفة جداً معه في تعريفه إلى الحياة في سيناف، كما كان الآخرون لطفاء معه ومضيافين أيضاً.

"ليس ممتعاً". قالت بصدق، وهي تبدو شاردة لبرهة فيما فكّرت في والدها والحياة المملة التي عاشتها في فادوز. تحدثت إليه في اليوم السابق. لقد

عاد فريدي أخيراً من الصين قبل بضعة أسابيع، في شهر مارس، كما كان مخططاً، وهو لا يعرف الراحة أبداً حسب والدها. إنه يقيم في قصر الليشتنشتاين في فيينا ويدير الحفلات هناك. قال إنه سيصاب بالجنون إذا بقي في فادوز. رأت، تماماً مثلما فعل والدها، أنه حين يرث فريدي العرش، يحتمل أن ينقل البلاط إلى فيينا، حيث كان قبل أجيال عدة. فالحياة هناك أكثر متعة وتكلفاً، وهناك يعرف المزيد من المرح. لكن حين يصبح الأمير الحاكم، عليه أن يكون جدياً أكثر من أي وقت مضى. كانت تفكر في كل ذلك مع عبوس هادئ، فيما باركر يراقبها.

"ما الذي تفكرين به؟" سألها بهدوء. بقيت صامتة لبضع دقائق.

"كنت أفكر في شقيقي. إنه مستحيل أحياناً، ويغضب والدي دوماً. أحبه، لكنه شخص غير مسؤول. لقد عاد من الصين قبل بضعة أسابيع، ويعيش حالياً في فيينا، يلعب ويقيم الحفلات. نحن في العائلة قلقون جميعاً بشأنه. يرفض أن يكبر، وهو غير مجبر على ذلك في الوقت الحاضر. لكنّه سيصبح مجبراً يوماً ما. وإذا لم يفعل، سيكون الأمر فظيعاً". كانت ستضيف كلمة "لبلدنا"، لكنّها تمالكت نفسها ولم تفعل.

"أفترض أنه لهذا السبب يتوقعون منك الكثير، ولهذا السبب تشعرين بأنك مضطرة للعودة إلى بلادك ومساعدة والدك في أعماله. ماذا لو لم تذهبي إلى بلدك وتوقفت عن مساعدة شقيقك؟ قد يضطر حينها إلى النضوج وتحمل بعض المسؤولية عوضاً عنك". إنه حل معقول، وموضوع غير مألوف بالنسبة إليه. فشقيقه كان طالباً مميزاً، وأصبح طبيباً محترماً مع زوجة وثلاثة أولاد. يصعب عليه استيعاب القصص التي أخبرتها له عن شقيقها.

"أنت لا تعرف شقيقي". قالت وهي تبتسم بحزن. "لست أكيدة من أنه سينضج يوماً ما. كنت في الخامسة فقط عندما توفيت والدتي، وهو في الخامسة عشرة، وأظن أن الأمر أزعجه كثيراً. أرى أنه يهرب من كل شيء يشعر به. يرفض أن يكون جدياً أو مسؤولاً عن أي شيء".

"كنت في الخامسة عشرة حين توفيت أمي. كان الأمر فظيعاً بالنسبة إلينا نحن الثلاثة، وقد تكونين محقة. جنّ جنون شقيقي لبعض الوقت، لكنّه استقر في الجامعة. يحتاج بعض الأشخاص إلى وقت أطول للنضوج، وقد يكون شقيقك واحداً منهم. لكنني لا أفهم لمَ يجدر بك التضحية بحياتك لأجله".

قالت ببساطة: "أدين بذلك لوالدي". ولاحظ أنها تشعر برابط وواجب تجاه والدها. أعجبه ذلك فيها، وتفاجأ أيضاً لأنها تمكنت من المجيء إلى هنا. سألها عن الأمر، وشرحت له أن والدها أذعن لها أخيراً بعد إلحاحها الكبير، وأعطاها ستة أشهر إلى سنة مع الصليب الأحمر، قبل العودة إلى الوطن وتحمل مسؤولياتها في فادوز.

قال باركر وهو يبدو قلقاً فيما التقت عيناها بعينيه: "أنتِ صغيرة جداً لتفرض عليك كل هذه المسؤوليات". ثمة شيء عميق فيهما نطق بأشياء لا يعرفها، وأثّرت نظرة الحزن في عينيها فيه كثيراً. ومن دون أن يفكر، تمدد وأخذ يدها في يده. أراد فجأة حمايتها من كل الأعباء الثقيلة المفروضة عليها، وحمايتها من كل الذين قد يؤذونها. لم تتحرك عيناه أبداً ولم تغادر عيناها عينيه أبداً، وكما لو أن الأمر مخطط ليكون بهذه الطريقة منذ أن بدأ، انحنى صوبها وقبّلها. شعرت وكأن شخصاً آخر اتخذ القرار نيابة عنها. لم يكن هناك أي قرار، وأي خيار، وأي خوف. ذابت بين ذراعيه فيما قبّلا بعضهما حتى انقطعت أنفاسهما. اجتمعت الراحة والرغبة والشغف في شيء قوي سيطر عليهما معاً. جلسا بعد ذلك يحدقان في بعضهما البعض تحت الشمس الإفريقية الحارقة، كما لو أنهما يشاهدان بعضهما للمرة الأولى.

"لم أتوقع ذلك". قالت كريستيانا بهدوء، وهي لا تزال تمسك بيده، فيما ينظر إليها برقة أكبر. ثمة شيء فيها أثر عميقاً في قلبه، وحصل ذلك منذ أول لقاء لهما تقريباً.

"ولا أنا أيضاً". قال بصدق. "أعجبتني كثيراً منذ أن التقيت بك. أحب طريقة كلامك مع الآخرين، واللعب مع الأولاد. أحب الطريقة التي تعتنين فيها بكل شخص تقريباً وتحترمينه دوماً كائناً من يكون". إنها اللباقة والرقة بحد ذاتها.

كان قول ذلك عنها لطيفاً فعلاً وتأثرت جداً، لكن حتى لو استهلا شيئاً قد يصبح فيما بعد علاقة جميلة، إلاّ أنها كانت تدرك تماماً أنه إذا كان له بداية، فسيكون له نهاية أيضاً. ومهما كان الشيء الذي تشاركاه، سيبقى هنا في أفريقيا. حياتاهما مختلفتان تماماً، وسوف تبقيان كذلك حين يعود كل منهما إلى وطنه. ما من طريقة أبداً تسمح لها بإقامة علاقة معه. إنها كبيرة كفاية الآن لتبقى دوماً تحت الأنظار، في المنزل وفي الصحافة. والطبيب الأميركي الشاب، مهما كان ذكياً أو محترماً، لن يتطابق أبداً مع المعايير الصارمة التي حددها لها الأمير الحاكم. لا يريدها أن تتزوج رجلاً أقل من أمير. وعندما يحين وقت ذلك، وإذا أرادت اتباع رغبات أهلها وتقاليد العائلة المعتمدة لغاية الآن، سوف تجبر على الزواج من شخص نبيل المولد. ونظراً لأفكاره القديمة والمتصلبة، لن يسمح والدها أبداً أن يكون شخص عادي زوجاً لها. لذا، مهما كانت العلاقة التي تبدأ الآن، فسوف تبقى طالما هما في سيناف فقط. وجعل العلاقة تمتد أكثر من ذلك سينشئ حرباً مع والدها، وهذا آخر ما تريده. فموافقته تعني كل شيء بالنسبة إليها، ولا تريد أن تغضبه. لقد فعل فريدي ما يكفي من ذلك، ولا يستحق والدهما ذلك بعد كل التضحية التي قدمها لأجلهما. اقتنعت كريستيانا منذ أعوام عدة أنه لم يتزوج ثانية بسببها هي وفريدي، وكانت هذه تضحية منه، وربما تضحية كبيرة. ونظراً لآراء والدها، سوف تكون علاقتها مع باركر، عند عودتها إلى بلدها، بمثابة الفاكهة المحرمة بالنسبة إليها. ليس الأمر مجرد الالتزام بقوانين صارمة فرضها عليها والدها، بالنسبة إلى كريستيانا، إنها مسألة احترام مئات السنوات من التقاليد، مهما كانت قديمة، والبلد الذي تحبه كثيراً، وحتى احترام وعد والدها للمرحومة أمها.

نظرت إلى باركر، وهي لا تعرف ماذا تقول له، أو ما إذا كان يجدر بها

أن تفعل. لكن مثل امرأة متزوجة، شعرت أنها تدين له بضرورة شرح ظروفها، بأفضل ما يمكنها. بطريقة أو بأخرى، كانت كريستيانا متزوجة من عرش الليشتنشتاين، وحتى لو لم تكن مؤهلة لاستلام العرش بنفسها، فإنها مرتبطة به وبكل شيء يتوقعه منه والدها وشعبها. شعرت أنه عليها أن تكون مثالاً يحتذى به في تصرف الأشخاص الملكيين. رغم مشكلاتها الكبيرة مع لقبها، كانت أميرة في الصميم.

"تبدين حزينة جداً. هل أزعجتك؟" سألها باركر وهو يبدو قلقاً. لم يشأ فعل أي شيء لا يروق لها. إنه مفتون بها منذ أسابيع، لكن لو لم تكن متجاوبة معه، لكان تفهم، حتى لو خاب أمله. أحبها كثيراً لدرجة أنه لا يريد فعل أي شيء قد يجعلها غير سعيدة أو غير مرتاحة.

"لا، طبعاً لا". قالت وهي تبتسم له، فيما لا تزال يدها في يده، "جعلتني سعيدة جداً". قالت ببساطة، وكان هذا صحيحاً. أما الباقي فليس بهذه البساطة. "يصعب شرح الأمر، وكل ما أستطيع قوله هو أن أي شيء يحصل بيننا سينتهي هنا". هذه هي الطريقة الوحيدة التي تستطيع فيها التفكير في الأمر. "أريد أن أكون عادلة، وأقول لك ذلك منذ الآن. الشخص الموجود هنا سيختفي حين أغادر. لا مجال لكي أبقى هكذا حين أعود إلى وطني. حين أعود إلى الليشتنشتاين، لن يكون هذا ممكناً أبداً لنا". بدا قلقاً حين قالت ذلك. لا يزال الوقت باكراً جداً للقلق بشأن المستقبل بعد قبلة واحدة، لكنّه أحسّ أن ما تقوله له معنى أكبر بالنسبة إليها.

"يبدو لي وكأنك ستعودين إلى سجن أو دير". قال مع نظرة قلقة، وأومأت هي برأسها، فيما اقتربت أكثر منه على جذع الشجرة كما لو أنها تريد الاختباء بين ذراعيه. وضع ذراعيه حولها ونظر عميقاً في عينيها لرؤية ما يستطيع العثور عليه هناك. وجد بركتين عميقتين زرقاوين مثل عينيه.

"سوف أعود إلى السجن". قالت بوقار، وهذا هو بالضبط شعورها الحقيقي. "وحين أفعل، عليّ أن أعود لوحدي. لا يستطيع أحد المجيء معي".

"هذا سخيف". قال وهو يهزأ مما أخبرته به. "لا يستطيع أحد سجنك، كريكي. إلا إذا سمحت أنت لهم. لا تدعي هذا يحدث لك".

"لقد حصل". يوم ولدت. وبعد خمس سنوات، يوم توفيت أمها وطلبت وعداً من زوجها بألا يسمح أبداً أن تتزوج كريستيانا من شخص غير ملكي.

"دعينا لا نقلق بشأن ذلك في الوقت الحاضر، أليس كذلك؟ لدينا الكثير من الوقت للتحدث عن هذا الموضوع لاحقاً". كان باركر مصمماً على أنه إذا وقع في غرامها، وهذا ما بدأ يحصل فعلاً، فلن يدعها تفلت منه. إنها امرأة لطيفة وغير اعتيادية بالنسبة إليه بحيث لا يسعى فقط وراء مغامرة عابرة. إنه لا يطلب يدها للزواج، لكنّه واثق تماماً من أنه لن يدعها تفلت منه، مهما كان رأيها تجاه الواجبات التي تدين بها لوالدها ولشؤون العائلة. هذا غير منطقي بالنسبة إليه. وبدل مناقشتها بشأن ذلك، شدّها مجدداً بقوة بين ذراعيه وقبّلها، فيما شعرت كريستيانا وكأنها في حلم. قالت لنفسها إنها حذرته، وحاولت أن تكون عادلة معه، أو حتى صدّه. لكن بعد ذلك، استسلمت لقبلته، ولم تكن لديها أية رغبة في المقاومة.

الفصل 11

العلاقة العاطفية التي بدأت بين باركر وكريستيانا بقيت غير ملحوظة في البداية، لكنّها نمت لاحقاً، وأصبحا أكثر قرباً، وشغفاً، وحميمية مع بعضهما. لم تكن مجرد مغامرة جنسية لكل منهما. كانا يقعان في الغرام. وفي شهر مايو، كانا تقريباً قد وقعا فعلاً. كانا يمضيان كل الساعات خارج الدوام مع بعضهما، ويريان بعضهما مرات عدة خلال اليوم، ويجلسان معاً في كل وجبة طعام. وبما أنهما كانا يعيشان معاً في المخيم خارج سيناف، فكان بدهياً أن يؤدي التبدل في علاقتهما إلى لفت أنظار الجميع خلال أسابيع، لا بل خلال أيام.

مثل العادة، كانت فيونا أول من لاحظ ذلك. أصبحت تعرف كريستيانا جيداً الآن، أو هي تظن ذلك، ولديها عين ثاقبة بشأن التبادلات الإنسانية. رأت أن كريستيانا أصبحت أكثر هدوءاً هذه الأيام، وأقل تواصلاً مع الآخرين. في البداية، خشيت أن تكون مريضة. ففي بعض الأحيان، تبدأ الأمور هكذا. كانت تراقبها عن كثب منذ أيام عدة، بسبب خوفها عليها، بعد أن مضت أسابيع عدة على علاقتها العاطفية، حين شاهدت عصفورا الحب يعودان معاً إلى المخيم بعد إحدى جولاتهما المعتادة بعد الظهر، وكشف كلاهما عن وجه سعيد وابتسامة عريضة جداً. ضحكت فيونا في سرها، في تلك الليلة لم تستطع مقاومة التحدث إلى كريستيانا بشأن هذا.

"وأنا التي ظننت أنك مصابة بالملاريا أو الكالا آزار، الحمى السوداء، وأصبحت قلقة عليك... وكل ما في الأمر القليل من الحب. حسناً، حسناً، أيتها الصغيرة كريكي، أحسنت!" تورّدت كريستيانا خجلاً في البداية وكانت على

وشك الإنكار، لكن بعد النظر إلى التعابير الخبيرة في عيني فيونا، كل ما استطاعت فعله هو الابتسام.

"حسناً، حسناً... ليس الأمر مهماً. إنه أمر جيد للوقت الحاضر فقط".

"مثلما تبدوان أنتما الاثنان؟ ليس تماماً، عزيزتي. شاهدت أشخاصاً يعودون من شهر العسل ولا يبدون أكثر سعادة منكما. ولو تعقبكما أسد اليوم، فلا أظن أنكما كنتما ستلاحظان... أو حتى أفعى!"، قالت ممازحة، ولم تكن مخطئة كثيراً. بالفعل، لم تكن كريستيانا يوماً أكثر سعادة في حياتها، لكنّها كانت تذكّر نفسها كل يوم بأن الأمر سينتهي أخيراً. بالإضافة إلى ذلك، سيعود هو إلى هارفارد في يونيو. لديهما شهران للاستمتاع بالعلاقة الجميلة في المكان السحري الذي بدأت فيه، وسوف تنتهي بعد ذلك. إنه أمر سمحت كريستيانا لنفسها بنسيانه حين تكون معه.

"إنه رائع جداً". اعترفت كريستيانا، وهي تبدو مثل فتاة صغيرة. سرّت فيونا، فمن الجميل رؤية الأشخاص سعداء، وهي مسرورة جداً لصديقتها.

"إذا كانت المظاهر تفضح أي شيء، وأنا أثق بحدسي في هذه الأمور، فأنا أرى أنه مجنون بك. متى بدأ كل ذلك؟"

"قبل بضعة أسابيع". لقد قضوا وقتاً رائعاً في الليلة التي سبقت رحيل لور. أقام لها المخيم حفلة، وغادرت وهي تبدو مثل امرأة مختلفة عن تلك التي وصلت. بكت حين عانقتهم جميعاً قبل المغادرة، ووعدتهم بأن تبقى على اتصال معهم جميعاً، ولاسيما كريكي، التي تدين لها تماماً بمنحها الشجاعة لفتح قلبها أمام أنطوان. "لا أعرف. لكنّ الأمر حدث". حاولت كريستيانا التفسير، لكنّها لم تكن واثقة من أنها تستطيع شرح الأمر لنفسها حتى. إنها واقعة فعلاً في الغرام لأول مرة.

قال باركر الشيء نفسه أيضاً. قال إنه كانت لديه علاقة عاطفية جدية واحدة في كلية الطب وعاش معها لبعض الوقت. كانت هي طبيبة تتخصص في فرع من فروع الطب وهو طبيب متمرن. لكنهما عرفا خلال أشهر قليلة

أنهما ارتكبا خطأ وبقيا صديقين. وحسب قوله - علماً أن كريستيانا صدقته - لم تكن هناك امرأة جدية في حياته قبل تلك العلاقة أو بعدها. فمع العمل الذي يقوم به في هارفارد، لا يملك الوقت. والآن، في سيناف، ها هو يكتشف الحب للمرة الأولى، وكذلك هي. كان الأمر واضحاً تماماً على وجهيهما.

قالت فيونا وهي تبدو فجأة مذعورة: "أوه، ياإلهي، هل هذا جدي؟" إن النظرة في عيني كريستيانا وكذلك عيني باركر حين رأتهما معاً بعد ظهر اليوم تقول إن الأمر كذلك.

قالت كريستيانا بحزم، وهي تبدو حزينة: "لا، ليست كذلك. لا يمكنها أن تكون كذلك. قلت له ذلك حين بدأنا، وقبل أن نبدأ، إنه عليّ العودة إلى وطني وتحمل مسؤولياتي. لا أستطيع أبداً العيش في بوسطن، ولا يستطيع هو المجيء معي إلى وطني. لن يوافق والدي أبداً". لم يكن هناك أدنى شك في ذلك.

بدت فيونا مصدومة. كان أهلها سيرقصون فرحاً: "طبيب؟ يبدو لي أن والدك يفرض معايير عالية جداً وغير منطقية".

أجابت كريستيانا بهدوء وحزن، تماماً مثلما قالت لباركر بعبارات حزينة: "ربما هو كذلك، لكن هكذا هو. لديه العديد من الأسباب الكامنة وراء موقفه. الأمر معقد".

لا وبّختها فيونا، وهي غاضبة مما قالته ومن قبولها به من دون أية شروط: "لا يمكنك عيش حياتك كرمى لوالدك. لسنا في العصور الغابرة، بحق الله. إنه رجل رائع ويملك عملاً مذهلاً. يحاول إنقاذ العرق البشري من وباء الإيدز، في إحدى المؤسسات الطبية والأكاديمية الأكثر شهرة في العالم. هل من رجل أفضل؟"

قالت كريستيانا مبتسمة، واختفت فجأة السحب الداكنة من وجهها: "إنه أفضل من ذلك، إنه أيضاً شخص مهذب ورائع، وأنا أحبه... وهو يحبني". بدت متيمة تماماً به.

"إذاً ما هذا الهراء الذي تتحدثين عنه عن ضرورة انتهاء العلاقة هنا؟"

قالت كريستيانا بتنهيدة: "هذه قصة مختلفة". وجلست على سريرها، وخلعت جزمتها. بين الحين والآخر، تشتاق فعلاً إلى انتعال الأحذية الأنيقة. كانت تحب أن تنتعل الكعب العالي له، لكن لا مجال لذلك هنا. قالت كريستيانا مجدداً: "إن شرح الأمر معقد جداً". وراحت تتحدث عنه بحماسة مفرطة، فيما بدت فيونا مسرورة.

"يبدو لي أنه من الأفضل لك أن تهربي من المنزل حين تعودين. سمعت أن بوسطن مكان جميل جداً. لديّ أقارب هناك. لو كنت مكانك، لذهبت". ولم يفاجئ ذلك كريستيانا لأن جميع من في العالم يعرف أن معظم أهالي بوسطن هم من الإيرلنديين.

"لم يوجّه إليّ دعوة". قالت كريستيانا أولاً، لكنهما تحدثا عن مجموعة منوعة من المواضيع، بما في ذلك مشاريعهما حين يعودان. لم يحب باركر سماع مشاريعها. بدا الأمر بالنسبة إليه مثل حكم بالسجن المؤبد.

قالت فيونا بثقة: "سوف يفعل، بدا مسلوب العقل تماماً حين رأيتك معه اليوم. وإذا فكرت في الأمر، أرى أنه كان كذلك منذ فترة، لكنني ظننت أنه مسرور بالبيئة والعمل. أدرك الآن أنك أنت السبب". ضحكتا معاً على الفكرة. "ماذا ستفعلين إذاً، كريكي؟" وجهت إليها نظرة ثاقبة.

"لا يزال الوقت مبكراً جداً للقلق بشأن ذلك الآن. لكنهما عرفا تماماً، لأي سبب كان، أن كريستيانا تضع نوعاً من الجدار ليس بينها وبين الطبيب الأميركي الشاب، وإنما بينهما وبين المستقبل الذي قد يكون. لا تملك فيونا أدنى فكرة عن سبب قيامها بذلك، لكن بدا جلياً أن كريستيانا مقتنعة بأن قصة حبهما لن تتجاوز الوقت الذي يتشاركانه في سيناف. ومجرد التفكير في الأمر جعل فيونا حزينة. إنها تحبهما كثيراً.

ازدهرت العلاقة العاطفية بين باركر وكريستيانا. كانا يمضيان ساعات معاً خلال الليل بعد تناول العشاء مع الآخرين. كانا يمشيان، ويتحدثان،

ويخبران بعضهما قصصاً عن طفولتهما وماضيهما. توجّب على كريستيانا دوماً تعديل قصصها نوعاً ما، لأسباب جلية، لكنّ المهم أنها شاركته جوهر شعورها وكل أفكارها. كانا يلتقيان في الصباح الباكر لتناول الفطور، ويتناولان الغداء معاً بسرعة. أصبحت علاقتهما العاطفية متفتحة تماماً في مايو، فيما انتهى الربيع الإفريقي وانتقل إلى الصيف. ومهما كان الحب الذي يجمعهما، فلم يسمح له أي منهما بأن يعيق عملهما. بالعكس، عملا بكّد أكبر، وعرفا سعادة أكبر من تلك التي عرفها كل منهما في حياته قبلاً. أصبحا معاً مثل قوة عظيمة بحيث لا يمكن تجاهلها أو إنكارها. إن تواجدهما مع بعضهما البعض جعل كل الآخرين سعداء، ووافق الجميع على أنهما شخصان استثنائيان أضفيا شيئاً مميزاً على المخيم. تملك كريستيانا اللطافة، واللباقة، والحنان، والطريقة المميزة في التعاطي مع الأشخاص، فيما يملك باركر الرقة، والذكاء، والخبرة المذهلة في مجال عمله. كانا ذكيين، ومرحين، وأضفيا نكهة خاصة على كل مجموعة ينضمان إليها. ومثلما قالت فيونا، كانا الثنائي المثالي، لكن كلما قالت ذلك لكريستيانا، بدت نظرة حزينة في عينيها. ثمة شيء يمنعها من التفكير في المستقبل أو التحدث عنه. كل ما كانت تستطيع أو ترغب في فعله مع باركر هو عيش الأوقات الحالية. تعلمت الابتعاد عن أي موضوع له علاقة بالمستقبل معها، أو ما سيفعلانه لرؤية بعضهما البعض حين يعودان. عاشا ببساطة كل يوم بيومه، وأغرما ببعضهما أكثر فأكثر مع مرور كل ساعة، وكانا سعيدين في تشارك عملهما وحياتهما في هذا المكان المميز، مع أشخاص يحبونهما كثيراً.

بقيت علاقتهما عفيفة خلال الشهر الأول، وأخيراً سأل باركر وكريستيانا ما إذا كانا يستطيعان أخذ إجازة معاً في عطلة نهاية أسبوع. نادراً ما كان الأشخاص يغادرون المخيم في أوقات إجازاتهم، رغم وجود بعض الأماكن الرائعة التي من الممكن زيارتها في المنطقة. لكن في معظم الأوقات، كان الأشخاص العاملون في المخيم يمضون أوقات فراغهم في مساعدة السكان المحليين في أية طريقة ممكنة. قال جيف إنه ليس لديه مشكلة في إعطائهما

إجازة لبضعة أيام، لأن كلاً منهما ليس ضرورياً للمخيم على الصعيد الطبي. كريستيانا كانت إنسانة متطوعة ومتفانية وتعمل بكدّ بملء إرادتها. ورغم أن باركر كان يعاين المرضى مع ماري وجيف ويقدم تشخيصات في أغلب الأحيان، فإن معظم عمله كان موجهاً نحو الأبحاث. كان من الصعب مثلاً التخلي عن فيونا لأنها القابلة القانونية الوحيدة. أو ماري وجيف لأنهما الطبيبان الوحيدان في المخيم، أو ماغي الممرضة الوحيدة.

بعد التحدث إلى السكان والقيام ببعض الأبحاث المحلية، قررا زيارة ميتيرا وكوهايتو، اللتين تقعان على مسافة عشرين ميلاً من المخيم. تشتهر ميتيرا بآثارها المميزة، والتي تعود إلى ألفي عام، فيما تشتمل كوهايتو أيضاً على آثار جميلة، من المملكة الأسكومينية. بالإضافة إلى ذلك، أرادا في كوهايتو رؤية السافيرا دام، التي تعود إلى أكثر من ألف عام أيضاً. تقع إريتريا على بقايا عدد من الحضارات القديمة، التي تم كشفها جزئياً، ولا يزال بعضها غير مكتشف بعد. بدا الأمر مثل رحلة مثيرة بالنسبة إليهما معاً، ومغامرة أولى رائعة، أشبه بشهر العسل. أُعطيا عناوين بعض الفنادق الصغيرة التي يستطيعان المكوث فيها، والتي بدت رومنسية جداً. قام إرنست وكلاوس بالعديد من الرحلات المماثلة عند وصولهما، وأوصيا بهذه الفنادق لباركر وكريستيانا. أما الرحلتان الأخرتان اللتان يريدان القيام بهما لاحقاً فهما إلى كيرين، شمال العاصمة، وإلى مرفأ ماساوا، حيث يستطيعان التزلج على مياه البحر الأحمر.

إلا أن العائق الوحيد الذي توجب على كريستيانا مواجهته قبل الرحلة هو سرّ صغير مع صاموئيل وماكس. عرفت أنها ستواجه مشكلة كبيرة لمغادرتها مع باركر من دونهما. ناقشا الأمر لمدة ساعتين تقريباً، ولم يوافق أي من حارسيها على الأمر.

قال صاموئيل بنظرة حازمة: "لمَ لا تقولين له إننا نود الذهاب نحن أيضاً في الرحلة؟" كانا مثل الكلبين المتوحشين، لكنّها عرفت أنه يجدر بهما إيجاد

جواب للأمير. وليس من العدل الطلب منهما الاحتفاظ بسرها، لكنّها ستقوم بالرحلة على أية حال. إنهما يدركان تماماً أنه إذا حصل شيء سيىء لها، حتى لو عن طريق الصدفة، فسوف يلقى عليهما اللوم تماماً، وربما يسجنان. إنها تطلب منهما الكثير، رغم أنهما لم يخبرا والدها عن قصتها العاطفية بعد. لقد اتفقا على عدم قول أي شيء عن باركر أمام الأمير. هذه هديتهما لها.

استمرت كريستيانا في مناقشتهما: "لا! لا أريد أحداً معنا، ولا هو أيضاً. سوف يفسد ذلك كل شيء". وميتيرا وكوهايتو تبعدان بضعة أميال فقط عن المخيم. كانت تبكي، وقد فعلت ذلك مرتين قبلاً، لكنهما ما زالا رافضين. عنقاهما على المحك.

التفت إليها ماكس أخيراً وهو يدرك أنه حان الوقت لتوبيخها. لم ينجح أي شيء آخر معها: "اسمعي يا صاحبة السمو، لا يهمنا مع من تذهبين، وما تفعلينه، وما هي أسبابك للرحلة. هذا شأنك وشأن باركر وليس شأننا". لحسن الحظ أنهما يحبانه كثيراً، لكنّها تطلب منهما المجازفة بعملهما، وربما بحياتهما. "لن نعطي والدك أية تفاصيل عن الرحلة. مجرد سياحة في عطلة نهاية الأسبوع. لا يحتاج لأن يعرف أكثر من ذلك. لكن إذا لم نأتِ معك، وحصل شيء لك...". لم يتابع عبارته، لكنّها فهمت المبدأ. ما يقوله منطقي تماماً. لكنّ التعايش مع الأمر على أنها امرأة في الثالثة والعشرين واقعة في غرام رجل ليس منطقياً أبداً.

"لمَ يجدر بكما إخبار والدي بأنني ذاهبة أصلاً، أو حتى أنني سأترك المخيم؟ ولا تناديني صاحبة السمو مجدداً - ذكّرته وأومأ هو برأسه - لا توجد مشاكل سياسية في إريتريا منذ أعوام. قد تكون الهدنة مع الأثيوبيين مضطربة، لكن لم يفعل أحد بعد أي شيء معارض أو حتى مخيف منذ أن جئنا إلى هنا وحتى قبل وقت طويل. لن يحدث أي شيء، أعدكما، وسنكون أنا وباركر على ما يرام. سوف أتصل بكما إذا استطعت، وإذا شعرت بالاضطراب، يمكنكما الانضمام إلينا حينها. لكن أرجوكما، أتوسل إليكما، اتركاني أعيش هذه الأيام

القليلة، لمرة واحدة في حياتي.. ماكس... سام.. هذه فعلاً فرصتي الأخيرة. حين أعود إلى المنزل، لن تتاح لي مثل هذه الأمور أبداً... أتوسلكما.. رجاء...". وفيما نظرت إليهما بعينين متوسلتين، انهمرت الدموع على وجنتيها، وبدا الرجلان مذعورين. إنهما يريدان مساعدتها، لكنهما خائفان.

قال صاموئيل أخيراً، بعد أن أصبح عاجزاً عن التفكير بوضوح أمام حزنها العميق: "سوف نفكر في الأمر". إنهما يحبانها كثيراً، ويحترمانها، لكنّها تطلب منهما اختراق شروط مهنتهما، وسبب وجودهما أصلاً في سيناف معها.

مشت كريستيانا بعيداً بصمت، وهي مضطربة كثيراً. شاهدتها فيونا فيما كانت عائدة إلى الخيمة، وهي تبكي بوضوح.

تعاطفت معها على الفور ووضعت ذراعها حول كتفي كريكي: "ما المشكلة؟ هل تشاجرتما أنت وباركر؟ هل ألغيت الرحلة؟" لا تستطيع إخبارها بما حدث، ولذلك اكتفت بهزّ رأسها إجابة عن أسئلة فيونا المنطقية. لم تقل أي شيء لباركر أيضاً، لكنّها كانت حزينة بوضوح خلال العشاء، وشعر هو بالقلق.

سألها برقة: "هل أنت على ما يرام؟" وتوجب عليها حبس دموعها مجدداً. لكنّها لا تستطيع إخباره بما يحدث، ولا تريد أن تشاركه احتمال ذهاب ماكس وسام معهما في رحلتهما، وبالتالي، إفسادها عليهما. لا تملك الشجاعة لإخباره حتى تتأكد من ذلك. لكنّها كانت واثقة تقريباً من أن الحارسين لن يتراجعا عن قرارهما. يشكل ذلك الكثير من الخطر بالنسبة إليهما، وربما بالنسبة إليها أيضاً.

"أنا بخير... أنا آسفة... عانيت فقط من صداع خلال العشاء". إنه عذر تافه ولم يقتنع به. يعرفها أفضل من ذلك. تساءل ما إذا كانت قد أصيبت بمرض استوائي معين، لكنّها بدت له بخير. تكون عادة جيدة المزاج بحيث شك فوراً في أنها كئيبة جداً.

سألها برفق: "هل أنت قلقة بشأن رحلتنا؟" متسائلاً ما إذا كانت فكرة

الذهاب معه بعيداً لا تروق لها. لم يسألها لكنه تساءل فجأة ما إذا كانت لا تزال عذراء وتخشى النوم معه. قبّلها، ثم وضع ذراعيه حولها قبل أن تجيبه. "مهما كان الشيء الذي يزعجك، كريكي، أنا واثق من أننا نستطيع معالجته معاً. لمَ لا نجرّب؟" نظر إليها بحب وحنان الأب لطفله، مما جعل قلبها يتألم أكثر. كل ما تريده هو القيام بالرحلة لوحدها معه.

كانت على وشك إخباره بأنه لا يفهم حين أشار إليها ماكس من خلف ظهر باركر، وكان هناك إلحاح واضح في إشارته. وقفت هناك فيما كانت ذراعا باركر حولها، وأومأت لماكس، محاولة الإيحاء له بأنها ستأتي إليه خلال دقيقة. حررت نفسها ببطء من ذراعي باركر، وقالت إنها ستعود خلال دقيقة إذ يتوجب عليها قول شيء ما لماكس نسيت إخباره به قبلاً، والأمر ملح. إنه شيء عن دواءٍ يحاولان الحصول عليه من المدينة. لم يسألها باركر، لكنّه ذهب للجلوس على كرسي أثناء الانتظار. جاءت إليه أوشي مع إرنست وتحدثا معه، فيما اختفت كريكي في خيمة الأكل الفارغة للتحدث مع ماكس وسام.

"ماذا؟" بدت قلقة، وبدا الرجلان عصبيين. تحدث ماكس نيابة عنهما.

"سوف نحاسب ربما على ذلك، لكننا سنسمح لك بالقيام بالرحلة". والسبب الذي دفعهما إلى اتخاذ مثل هذا القرار هو أنها ذاهبة إلى أماكن مسالمة، وهما يدركان تماماً أنها فرصة وحيدة واستثنائية في حياتها. حين تعود إلى الليشتنشتاين، لن تكون لوحدها أبداً. إلى الأبد. لذا، فإن السماح لها بالذهاب مع باركر هو هديتهما لها. ونظراً للظروف والموقع الجغرافي لرحلتهما المقررة، رأى الرجلان أنها ستكون بأمان مع باركر، وسوف يعتني بها. ابتسم لها، وكان صاموئيل يبتسم هو أيضاً. "ثمة شرط وحيد، أو بالأحرى شرطان؛ الأول هو أنه يجدر بك حتماً أخذ لاسلكي معك، ومسدس". قد لا يعمل اللاسلكي في المناطق النائية ولن تتمكن من الاتصال بهما. لكنهما يعرفان أن المسدس آمن، وأنها تستطيع استعماله إذا توجب عليها ذلك. إنها قناصة ممتازة وتعرف الكثير عن الأسلحة.

"الشرط الثاني هو أننا نريدك أن تعلمي أنه إذا حصل أي شيء لك خلال هذه الرحلة، فسوف نقتل أنفسنا بدل العودة ومواجهة والدك. هناك إذاً حياة شخصين بين يديك إضافة إلى حياتك أنت". عرفا كلاهما أنه من الجنون السماح لها بذلك، وهما يتحديان الغرض الأساسي من مجيئهما إلى هنا، لكنهما قررا المجازفة كرمى لها لإعطائها هي وباركر فرصة التواجد لوحدهما. إنها تعي تماماً ما يفعلانه، فوضعت ذراعيها حول عنق ماكس أولاً ومن ثم حول عنق سام، فيما انهمرت الدموع على وجنتيها مجدداً. إنها دموع الفرح هذه المرة.

"شكراً، شكراً... شكراً..." تركاها منقطعة الأنفاس بسبب الإثارة والفرح، وخرجت راكضة من خيمة الأكل عائدة إلى باركر الذي كان جالساً مع الآخرين. لاحظ فوراً السعادة في عينيها.

قال وهو يبدو مسروراً: "حسناً، تبدين سعيدة كريكي، ما الذي قاله لك ماكس لتصبحي هكذا؟" فلقد تبدد كل قلقها على ما يبدو، رغم أنه لم يعرف السبب.

"لا شيء. أعطيته الدواء ودفع لي مال البوكر الذي يدين به لي. أصبحت امرأة غنية الآن!"

"لست أكيداً من أن سعر صرف "النافكا" كبير هذه الأيام لدرجة تبرر منظرك، لكنّ هذا رائع إذا كان يجعلك سعيدة". أياً كان السبب، شعر بالسرور لأنها بدت مرتاحة مجدداً، وكانت تطفو على غيمة حتى غادرا. توجها إلى كوهايتو بعد يومين. ومثلما توقعت فيونا، كانت الرحلة بالنسبة إليها مثل شهر العسل، وحتى بالنسبة إليه.

استأجرا واحدة من السيارات القديمة في المخيم وشقا طريقهما ببطء نحو الريف، وهما يشعران كأنهما ولدان في مغامرة. إنها الرحلة الأكثر رومنسية التي عرفتها كريستيانا، وفي كل يوم كانت تعرف باركر بصورة أفضل وتعشقه أكثر. مارسا الحب في الليلة الأولى في فندق صغير، باستسلام تام،

وكل الحب الذي نشأ بينهما منذ أن بدأت علاقتهما.

كانت الرحلة مثل شهر العسل، فيما انتقلا من موقع إلى آخر، وجمعا الذكريات مثل الأزهار. إنه الوقت المثالي. خططا لقضاء ثلاثة أيام معاً قبل العودة إلى سيناف. وفي الليلة الثانية من الرحلة، عثر باركر على مسدسها، في علبة صغيرة داخل حقيبتها. طلبت منه إعطاءها ثوب نومها، ناسية ما خبأته في الحقيبة، وبدا مذهولاً قليلاً حين أمسكه في يده.

سألها وهو يعيده إلى حقيبتها: "هل تحملين دوماً مسدساً معك؟" لم تكن لديه فكرة حول ما إذا كان المسدس محشواً أم لا، ولا يجيد التأكد من ذلك. فالمسدسات ليست حتماً من اختصاصه. إنه يعالج الأشخاص، ولا يقضي عليهم. رغم أنها لا تبدو هي أيضاً من النوع الملائم للمسدسات. لقد تفاجأ تماماً.

ضحكت له، وهي تأخذ منه ثوب النوم فيما خرجت من المغطس في الفندق. لا تعرف لمَ تزعج نفسها بارتداء ثوب النوم وهي تعرف أنه سيصبح في مكان ما على الأرض لبقية الليل، بعد خمس دقائق من خلودهما إلى السرير. "لا، طبعاً لا. أعطاني إياه ماكس في حال واجهنا مشكلة".

قال وهو يبدو عصبياً قليلاً: "لست واثقاً من أنني أشعر بالارتياح وأنا أقتل أحداً، وأنت هكذا؟" لم تجرؤ على إخباره بأنها قناصة ماهرة، رغم أنها غير مولعة بالمسدسات هي أيضاً. لكنّ والدها أجبرها على التعلم.

قالت بمرح ووضعت ذراعيها حول عنقه وقبلته: "ليس تماماً. لكنّ نيته جيدة. وضعته في الحقيبة ونسيت أمره".

"هل هو محشو؟" لا يزال مضطرباً منه، وبدا له شرحها عفوياً قليلاً، ومرتجلاً.

"ربما". عرفت أنه محشو، لكنّها لم تشأ إخافته. شدّها بالقرب منه، وأمسك بها، ونظر في عينيها. عرف أن هناك أمراً أعمق مما تبوح به. أصبح يعرفها جيداً.

سألها بهدوء: "كريكي، ثمة شيء لا تخبرينني به، أليس كذلك؟" لم تترك عيناها عينيه، وترددت لوقت طويل، ثم أومأت برأسها. "هل تريد أن أخبرك عن السبب؟" لم يفلتها أبداً، لا جسمها ولا قلبها، وهذه المرة عينيها.

قالت بهمس وهي تتشبث به: "ليس الآن، ليس بعد". لم تشأ إفساد كل شيء، علماً أن هذا سيحصل. سوف تضطر يوماً ما لإخباره بأنها ستعود إلى حياتها كأميرة، لخدمة بلدها ووالدها الأمير الحاكم، ولن يكون هناك مجال له. لم تستطع قول الكلمات.

"متى ستخبرينني؟"

"قبل أن نترك سيناف، أياً كان الشخص الذي يغادر قبلاً". يفترض أن يكون هو. أومأ برأسه. قرر عدم الإلحاح عليها. أحس أن هناك شيئاً عميقاً وحزيناً يزعجها كثيراً. إنه الحزن الذي يراه في عينيها أحياناً. نظرة الخسارة، والأسى، والإذعان. لم يشأ سلب سرّها منها، وإنما أرادها أن تبوح به بملء إرادتها حين تكون مستعدة. وشعرت هي بالامتنان لتفهمه. إنه فعلاً رجل مذهل، وتحبه أكثر من أي وقت مضى، بامتنان على الطريقة التي يحبها بها.

كانت بقية رحلتهما أجمل مما تمنيا أو توقعا. عادا على مضض، والتقطا ملايين الصور في طريق العودة، ووصلا ببطء إلى المخيم في وقت متأخر من بعد ظهر الاثنين، وهما يشعران وكأنهما قد غابا لأشهر. شعرا فعلاً كما لو أنهما يعودان من شهر العسل. شعرت كريستيانا بأنها متزوجة منه في روحها. قبّلها حين خرجا من السيارة وحمل حقيبتها إلى خيمة النساء. كرهت فكرة عدم التمكن من النوم معه هذه الليلة والاستيقاظ بقربه في الصباح. بدا ذلك مثل العقاب بالنسبة إليها.

كانت فيونا أول من رآهما حين عادا، وابتسمت لهما. لقد انتهت للتو من عملية توليد صعبة استغرقت طوال اليوم، لكنّها انتهت جيداً في نهاية المطاف. بدت متعبة وإنما سعيدة لرؤيتهما، كما هي دوماً.

سألت بابتسامة متعبة: "كيف كانت الرحلة؟" كانت تحسدهما تقريباً، لكنها

تحبهما كثيراً هما الاثنان لتغار منهما. ومن الجميل رؤيتهما سعيدين، وهذه هي حالهما بوضوح. كانا يشرقان فرحاً حين دخلا.

قالت كريستيانا وهي تلقي نظرة من فوق كتفها على باركر لتأكيد الأمر: "كانت رائعة".

قال وهو يبتسم لها بفخر: "نعم، كانت كذلك".

"أيها المحظوظان!" تذمرت فيونا بطيبة، وأخبرها عن تفاصيل السفر في الرحلة، ولكن ليس طبعاً عن الباقي.

مازح الجميع الثنائي الشاب في تلك الليلة خلال العشاء، وبدا ماكس وسام خصوصاً مرتاحين. شكرتهما كثيراً بعد عودتهما، وأعادت المسدس إلى ماكس. عانقها الرجلان بحرارة، وهما سعيدان كثيراً لرؤيتها بخير. أمضيا عطلة نهاية أسبوع صعبة، وكانا قلقين عليها، وأخبرتهما مجدداً أنهما قدما إليها هدية رائعة، أي السماح لها بالذهاب لوحدها مع باركر.

قال ماكس وهو يضع المسدس مجدداً في جيبه: "لا تفعلي ذلك كل عطلة نهاية أسبوع".

قالت: "أعدك". رغم أنها قالت هي وباركر في طريق عودتهما أنهما يريدان تكرار التجربة. في المرة المقبلة إلى ماساوا للاستمتاع بالرياضات المائية هناك. إنه المرفأ الذي استولى عليه الأثيوبيون لسنوات.

في تلك الليلة، كان العشاء احتفالياً، وشعر الجميع بأن معنوياتهم مرتفعة. بدا باركر وكريستيانا قريبين جداً من بعضهما. فالأيام الثلاثة التي أمضياها لوحدهما، وهما يمكثان في الفنادق مع بعضهما، عززت رابط الحب بينهما. اضطرت كريستيانا إلى إجبار نفسها على الابتعاد عنه في تلك الليلة، والعودة إلى خيمتها، والنوم لوحدها من دونه. التقيا في خيمة الأكل في السادسة من صباح اليوم التالي، وكانا أول الواصلين إلى هناك. وقعا في ذراعي بعضهما مثل العاشقين التائهين، وأخبرها باركر أنه لا يستطيع تخيل حياته بعد الآن من دونها. والأسوأ من ذلك، أن الشيء نفسه حصل معها، ومن الخطر أن تشعر

هي هكذا. فالتعلق به على المدى الطويل سيفطر قلبها. لكنّ الوقت قد فات على هذه المخاوف.

في أواخر مايو، في أحد الأيام، ذهب باركر إلى مكتب البريد مع ماكس وسام، حين كانا يتصلان بوالدها. اتصل هو بمديره في هارفارد، وطلب منه تمديد إقامته حتى أواخر يوليو. أخبره أن العمل الذي يقوم به، والمعطيات التي يجمعها، مهمان جداً ومن الخطأ المغادرة باكراً في يونيو مثلما كان مخططاً. صدقه الطبيب المشرف على مشروعه ومدّد له إقامته حتى أواخر يوليو، أو حتى أغسطس، إذا شعر بضرورة لذلك. أصدر صيحة الانتصار حين أغلق الهاتف. كل ما أراده هو البقاء في سيناف مع كريستيانا. أخذه سام خارجاً للاحتفال، بحيث يتمكن ماكس من الكلام عندما يجري اتصاله. لم يشأ سام أن يسمع باركر ماكس وهو يتصل بالقصر، أو يطلب صاحب السمو. لحق باركر بسام بسرور إلى الخارج، وأجرى ماكس الاتصال لإعطاء والد كريستيانا التقرير الاعتيادي، بأن كل شيء على ما يرام وبأنها بخير. إنها تقوم بهذه الرحلة للتحدث إليه بنفسها مرة في الأسبوع تقريباً، وكان يقول لها دوماً كم هو مشتاق إليها ولا يستطيع انتظار عودتها. وكانت تشعر بالذنب لسماع صوته، ولكن ليس بالذنب كفاية بحيث يدفعها للرحيل. الأمر غير وارد. وهي سعيدة جداً مع باركر بحيث لا تريد الذهاب إلى أي مكان من دونه. كانت تفعل كل ما بوسعها للتشبث بعالمهما الصغير لأطول فترة ممكنة. سوف تأتي النهاية حتماً في يوم من الأيام، لكنّها ليست مستعدة لذلك بعد، ولا تستطيع حتى تخيل ذلك. لكن في مرحلة ما، سيتوجب عليهما مواجهة الأمر، وعرفت أنها ستضطر لإخباره الحقيقة. صلّت كي لا تأتي هذه اللحظة قريباً.

كان باركر في مزاج احتفالي حين عادوا إلى المخيم في ضواحي سيناف. ركض فوراً لرؤية كريستيانا لإخبارها بالنبأ السار. كانت متحمسة بقدره هو. وضعت ذراعيها حول عنقه، فيما رفعها هو قليلاً عن الأرض ودار بها. إنه يوم السعد بالنسبة إليهما، وكان الجميع في مزاج جيد. قامت كريستيانا

بنزهة مع باركر حين انتهت من العمل، وتحدثا عن مشاريعهما بشأن الذهاب إلى ماساوا، الأمر الذي لم يحسماه بعد وإنما ينويان القيام به.

حين عادا من نزهتهما، دخل باركر إلى خيمته، وكريستيانا إلى خيمتها، الأمر الذي ما زالا يجدانه غريباً. كانت تتوق لقضاء الليل معه مجدداً، والانطلاق في رحلة أخرى. كانا يتحدثان أيضاً عن الحصول على خيمة خاصة بهما. لكنّها تحمست كثيراً لأخباره الجيدة ولفترة التمديد التي حصل عليها من هارفارد. كانت على وشك إخبار فيونا، المستلقية على سريرها وتقرأ مجلة، حين لاحظت أن المرأة الإيرلندية الصغيرة المولعة بها كانت شاحبة جداً. ظنت لبرهة أنها مريضة، فيما رفعت فيونا عينيها للنظر إلى صديقتها. ولبرهة طويلة، لم تتفوه بأية كلمة. أصبحت بشرتها البيضاء شفافة تقريباً، وهذا ما يحصل حين لا تكون بخير، أو غاضبة، أو مغتاظة. كان مزاجها سيئاً جداً، ويمازحها المخيم كله على ذلك. وحين تغضب تماماً، تضرب قدميها، ثم تضحك أخيراً على نفسها. وكانت تبدو شاحبة جداً مثلما هي اليوم.

سألتها كريستيانا وهي تبدو قلقة: "هل أنت بخير؟ ما الأمر؟" لا شك في أن هناك خطباً ما، فيما وضعت فيونا المجلة وحدّقت فيها.

قالت بسخرية: "أنت قولي لي". وسلّمتها المجلة، لكي ترى كريستيانا بنفسها. لم تتخيل كريستيانا ما الأمر الذي أزعج فيونا كثيراً وألقت نظرة خاطفة على الصفحة. ثم شاهدت ذلك. صورة لها، قبل خمسة أشهر، مع والدها، في الزفاف الذي حضراه في باريس قبل أن تأتي إلى أفريقيا في يناير. كانت ترتدي فستان السهرة الأزرق المخملي، وتضع طقم الياقوت الخاص بأمها. والكلام تحت الصورة قال ببساطة: "صاحبة السمو الأميرة كريستيانا من الليشتنشتاين ووالدها الأمير الحاكم هانس جوزف". ليس هناك الكثير الممكن قوله. كل شيء واضح. أصبح وجه كريستيانا فجأة شاحباً مثل وجه فيونا. في تلك اللحظة، لم يكن هناك شخص آخر في الخيمة، الأمر الذي بدا جيداً بالنسبة إلى كريكي. لا تريد مشاركة هذا الخبر مع أي كان، ولا حتى فيونا. كانت

تقرأ مجلة *صاحبة الجلالة*، التي تذكر كل مناسبات العائلات المالكة في أوروبا. لطالما ظهرت كريستيانا فيها، وبدت مستاءة بوضوح لأن المجلة وقعت بين يدي فيونا. كانت أمها ترسلها لها دوماً. لم تتوقع كريستيانا أن تكون المجلة حديثة، ولم تظن أنه يجدر بها القلق لذلك. لكنّ الصورة عمرها خمسة أشهر. لم تحسب حساب ذلك. قالت فيونا وهي تبدو غاضبة: "هلاّ شرحت لي هذا؟ ظننت أننا صديقتان. يتضح لي أنني لا أعرف حتى من تكونين. والدك في العلاقات العامة، كما أنا غبية". برأي فيونا، لا يخبئ الأصدقاء الأسرار عن بعضهم. شعرت أنها مطعونة في الصميم. نظراً لما شعرت به فيونا، ذعرت كريستيانا من ردة فعل باركر حين يكتشف الحقيقة.

قالت كريستيانا بصوت خافت فيما لا تزال تبدو شاحبة: "حسناً، إنه نوع من العلاقات العامة. ونحن صديقتان، فيونا... سيتغير كل شيء إذا عرف الآخرون. لا أريد أن يحدث هذا هنا. لمرة واحدة في حياتي، أردت أن أكون مثل الجميع".

قالت فيونا وهي ترمي المجلة على الأرض: "كذبت عليّ".

"لم أكذب عليك. لم أخبرك بالأمر. وهذا مختلف".

شعرت أنها غبية تماماً ومخذولة فيما نظرت إلى كريستيانا والغضب في عينيها وقلبها. سألتها وهي تبدو غاضبة أكثر: "ياإلهي! هل يعرف باركر؟" إنهما يضحكان ربما عليها لأنها لا تعرف، لكنّ الحال ليست كذلك.

قالت كريستيانا والدموع في عينيها: "لا، لا يعرف، انظري. أنا أحبك فيونا، أنت صديقتي. لكنّ، الأمر ما كان ليكون هكذا لو عرفت أنت أو أي شخص آخر الحقيقة. انظري إلى نفسك الآن. أنت تثبتين ذلك".

قالت بغضب: "اللعنة عليّ! أنا مستاءة لأنك كذبت!"

"لم يكن لديّ خيار آخر، وإلا لما جئت إلى هنا. هل تظنين أنني أريد أن ينحني لي الجميع هنا، وينتظرني ليناديني صاحبة السمو، ويمنعني من القيام بأي عمل، أو يضع لي المنديل تحت السندويش خلال الغداء؟ هذه هي فرصتي

الوحيدة في كل حياتي لأكون طبيعية وحقيقية. اضطررت لتوسل والدي للمجيء إلى هنا. وحين أغادر هنا، سينتهي كل شيء بالنسبة إلي. سأضطر لأن أكون تلك الإنسانة لبقية حياتي، سواء أردت ذلك أم لا. وأنا لا أريد. لكنه واجبي. هذه هي الفترة الوحيدة من *الحياة الحقيقية* التي سأعرفها. ألا يمكنك فهم ذلك على الأقل؟ لا تعرفين حقيقة المسألة. إنه مثل التواجد في سجن. إلى الأبد. حكم بالسجن المؤبد حتى أموت". هكذا ترى الأمور، وهذا محزن. انهمرت الدموع على وجنتيها فيما قالت ذلك، ثم جاء صمت طويل فيما حدّقت فيها فيونا وعاد اللون ببطء إلى وجهها. لقد سمعت ما قالته كريستيانا، لكنّها لم تقل شيئاً فيما غصّت كريستيانا. لم تتمدد لمعانقة المرأة الإيرلندية، وإنما جلست هناك تبكي، وتشعر بكل وزن التاج الذي تضعه، سواء كان منظوراً أم لا، وهو يرخي بثقله على رأسها مجدداً، حتى هنا.

سألت فيونا بنظرة مشككة وغاضبة، وإنما بصورة أقل: "ومن يكونان بالضبط ماكس وسام؟" يصعب فهم بؤس صديقتها. بدا الأمر ممتعاً بالنسبة إليها، لكن بعد النظر إلى الخوف في عيني كريستيانا، بدأت تفهم أن الأمر ليس ممتعاً ربما بقدر ما يبدو في المجلات. قبل ذلك الحين، كانت تحسد دوماً الأشخاص الذين تراهم في المجلات.

قالت كريستيانا بنعومة، كما لو أنها تعترف بجريمة مروّعة: "إنهما حارساي الشخصيان".

قالت وقد عاد إليها حسّ الدعابة قليلاً، ولكن ليس تماماً: "اللعنة. وكنت أحاول دعوته إلى السرير طوال أشهر. وعليّ الإضافة أنني لم أنجح، كان ليقتلني ربما لو أصريت فعلاً على إغوائه".

"لا، لن يفعل". ثم ابتسمت كريكي لنفسها حين تذكرت باركر وحين عثر على المسدس ملفوفاً في ثوب نومها أثناء الرحلة. أخبرت فيونا بذلك، وضحكتا كلتاهما هذه المرة.

قالت بعفوية، غير متأثرة أبداً باللقب أو المنصب الرفيع: "أيتها الصغيرة

الملعونة، كيف استطعت عدم إخباري؟"

"لم أستطع. فكري في الأمر. ثم ماذا؟ لو فعلت، سيعرف الجميع عاجلاً أم آجلاً".

قالت فيونا وهي تشعر بالإهانة، ثم فكرت في شيء ما: "لو أخبرتني، كنت سأبقي الأمر سراً. أستطيع الاحتفاظ بالأسرار، تعرفين ذلك. ماذا ستفعلين مع باركر؟ هل ستخبرينه؟"

أومأت كريستيانا رأسها بيأس. "عليّ ذلك. قبل أن يرحل، أو أرحل أنا. لديه الحق في أن يعرف. لكنني لا أريد إخباره الآن. سوف يقضي على كل شيء حين يعرف".

"لماذا؟" حدقت فيها فيونا بانشداه. لا يزال الأمر يبدو مثيراً بالنسبة إليها، رغم أن كريستيانا تتصرف كما لو أنه مرض قاتل أصيبت به عند الولادة، وراثياً. إنه كذلك بالنسبة إليها. "قد يحب ربما فكرة الوقوع في غرام صاحبة سمو. يبدو الأمر جميلاً بالنسبة إلي، ربما وبالنسبة إليه أيضاً. الأميرة الحالمة والطبيب الوسيم من بوسطن".

قالت كريستيانا بحزن: "هذا رأيي، سينتهي كل شيء حين نترك هنا. يجب أن يحصل ذلك. لن يسمح لي والدي أبداً بالزواج منه. أبداً. عليّ الزواج من أمير، من شخص صاحب نسل ملكي. دوق أو كونت على الأقل، ولن يقبل أبداً بأي شيء دون مستوى الأمير. لن يسمح لي أبداً بالاستمرار في رؤية باركر. أبداً". ولم تشأ حصول عداوة دائمة مع والدها.

"وهل تحتاجين إلى إذنه؟" بدت فيونا مذهولة.

"في كل شيء. وإذن أعضاء البرلمان أيضاً، في أي شيء حتى لو كان عادياً. هناك خمسة وعشرون عضواً في البرلمان. ومئات الأفراد من البلاط الملكي، الذين يرتبطون بي بدرجة قربى نوعاً ما. عليّ أن أنفذ ما يقال لي. لا أملك الحق في أي شيء أريد فعله، على الإطلاق. كلمة والدي أشبه بقانون، حرفياً". بدت يائسة جداً فيما قالت الكلمات. "وإذا لم أطعه، وسبّبت فضيحة

كبيرة، قد يتحطم قلبه. لقد عانى ما يكفي مع شقيقي. إنه يعتمد عليّ".

"إذاً، سوف ينتهي هو بتحطيم قلبك". بدأت فيونا تفهم ببطء ما يحصل مع كريستيانا. هناك مئة وستة وعشرون شخصاً يقررون مصيرها، إذا التزمت بالقوانين. "قد لا يبدو الأمر ممتعاً مثلما يبدو". اعترفت فيما أومأت كريستيانا برأسها.

"أعدك أنه ليس كذلك". ثم مدّت يدها ولمست ذراع فيونا. "أنا آسفة لأنني كذبت. لم أظن أنه لديّ خيار آخر. وحده جيف يعرف، وكان جيداً في كتم السر. وطبعاً مدير جنيف".

"وأول مجموعة من العملاء السريين". ثم تمددت وعانقتها. "أنا آسفة لأنني غضبت هكذا. شعرت بالألم لأنك لم تخبريني. سوف تواجهين مشكلة كبيرة مع باركر. هل أنت أكيدة من أنه لا توجد طريقة تجعلهم يسمحون لك برؤيته حين تعودين؟"

"أبداً. ربما مرة واحدة، لتناول الشاي، إذا قلت إننا كنا زملاء هنا، ولكن ليس أكثر من ذلك. سوف يحبسني والدي على الفور".

"فعلاً؟ كما في البرج المحصن؟" بدت فيونا مذعورة على صديقتها وضحكت كريستيانا.

"ليس تماماً. لكن ربما. سوف يطلب مني التوقف على الفور، ولن يكون لديّ خيار آخر سوى اتباع أوامره. وإذا لم أفعل، سوف تحدث فضيحة في الصحافة، ويتحطم قلب والدي، وينكث بوعده لأمي. لا يؤمن والدي في كل هذه الملكيات المعاصرة، حيث يتزوج الأولاد من أناس عاديين. إنه يؤمن في الحفاظ على نقاوة الدم الملكي. هذا سخيف، لكنّ بلدنا بلد رجعي. حظيت النساء بحق الانتخاب قبل ثلاثة وعشرين عاماً فقط. يحتاج والدي إلى عمر بأكمله لكي يرى الأمور من منظور مختلف". بدت يائسة جداً عند التفكير في ذلك. إنها تحب باركر كثيراً، وهو يحبها أيضاً. كتبت النهاية لقصة حبهما منذ البداية، وهو لا يعرف ذلك. بدا الأمر مأساوياً بالنسبة إلى فيونا، تماماً مثل

مسرحية سيئة جداً.

"ماذا عن كل أولئك الأمراء والأميرات الذين تقرأين عنهم في المجلات، والذين ينامون مع أشخاص مختلفين ويفعلون أشياء سخيفة؟"

"هذه هي حال شقيقي. إنه يصيب والدي بالجنون، ولن يتحمل أبداً الأمر مني. بالإضافة إلى ذلك، لا يتزوج من تلك النساء، وإنما ينام معهن فقط. أظن أنه لو تزوج فعلاً واحدة منهنّ، فسوف يقتله والدي".

"لا أصدق أنني لم أشك أبداً في الأمر". قالت فيونا مجدداً مع نظرة عدم تصديق في عينيها، فيما سألتها كريستيانا ما إذا كانت تمانع تمزيق الصفحة لإخفائها قبل أن يراها شخص آخر، ولاسيما باركر. وافقت فيونا ومزقتا الصفحة إرباً. قالت فيونا وهي تشعر فجأة بالأسف عليهما معاً: "سوف يتحطم قلبه حين تخبرينه الحقيقة".

قالت كريستيانا وهي تبدو حزينة: "أعرف، أنا أصلاً هكذا. ربما لم يكن يجدر بي بدء العلاقة معه. هذا ليس عادلاً بالنسبة إليه. لكنني لم أستطع تمالك نفسي. لقد وقعنا في الحب".

"يبدو وكأن لديك الحق في ذلك، مثل أي شخص آخر". بدا الأمر كله غير عادل بالنسبة إلى فيونا، حين تفكر الآن في المسألة، وتستطيع رؤية الألم في عيني كريستيانا. شعرت بالأسف على باركر أيضاً، حين يكتشف أن قصة غرامه لن تؤدي إلى أي شيء، وسوف تنتهي في سيناف.

قالت كريستيانا، فيما تمددت فيونا وعانقتها: "لا أملك هذا الحق".

"أنا آسفة لأنني غضبت هكذا. يمكنك ربما التحدث مع والدك حين تعودين".

"لن يحدث ذلك أي فرق. لن يسمح لي أبداً بإقامة علاقة عاطفية مع شخص عادي، ولاسيما أميركي. إنه قديم الطراز في هذه الأمور، وهو فخور جداً بأن دمنا نقي تماماً، وهو كذلك منذ ألف عام تقريباً. الطبيب الأميركي ليس ما يحلم به لي". بدا الأمر غبياً حتى بالنسبة إليها وشيئاً مستوحى من العصور

الغابرة، حين تشرح الأمر، لكنّه حقيقة بالنسبة إليها.

قالت فيونا وهي تستعيد حس الدعابة لديها: "حسناً، اعذريني". كانت صدمة حقيقية. بالنسبة إليهما معاً. كانت كريستيانا لا تزال تشعر بالخوف لأنه تم كشف أمرها، حتى ولو من قبل فيونا فقط، التي تثق فيها. ماذا لو حصل شخص آخر على نسخة من المجلة- ثمة احتمال دائم- وأعطاها لباركر؟ مجرد التفكير في ذلك جعل كريستيانا ترتعد، رغم علمها بأنه سيكتشف الأمر عاجلاً أو آجلاً. من المستحسن أن يعرف الحقيقة منها في الوقت المناسب، إذا كان هناك وقت. وماذا لو كانت ردة فعله مثلما حصل مع فيونا؟ قد يبتعد ولا يتكلم أبداً معها من جديد. قد يكون ذلك أفضل في النهاية، وطريقة أسهل ليتركا بعضهما البعض، بدل الحزن والبكاء.

سألت فيونا وهي تنظر إليها بعبوس غريب: "يذكرني ذلك، بماذا يجدر بي مناداتك الآن بعد أن أصبحت أعرف الحقيقة؟" كانت تمازحها، وضحكت كريستيانا على السؤال.

"أرى أن *الصغيرة اللعينة* جيد. ما رأيك؟"

"صاحبة السمو الصغيرة اللعينة ربما؟ أو صاحبة السمو السخيفة؟ أو صاحبة الجلالة المقرفة!" رغم جدية الموضوع الذي كانتا تناقشانه، استلقت المرأتان على سريريهما وهما تنفجران ضحكاً مثل فتاتين صغيرتين. ضحكتا حتى انهمرت الدموع على وجهيهما، ليس بسبب الحزن هذه المرة. كانتا لا تزالان تضحكان حين دخلت ماري وأوشي، واستفسرتا عن سبب الضحك. كانت المرأتان الشابتان تقهقهان فعلاً.

قالت فيونا وبرمت عينيها، فيما حدّقت فيها كريستيانا مذعورة: "أوه، كنت أُخبرها للتو كم هي مزعجة. كانت تقرأ مجلتي ومزقت منها صفحة. تتصرف مثل الأميرة أحياناً".

قالت لها كريستيانا هذه المرة: "أيتها اللعينة!" فيما انفجرتا في الضحك مجدداً، ونظرت إليهما المرأتان الأكبر سناً وبرمتا عينيهما وخرجتا للاستحمام.

قالت أوشي لماري مع ابتسامة: "لا بد أن الحرارة تؤثر فيهما". ثم غادرتا الخيمة، وتبادلت كريستيانا وفيونا نظرة طويلة. في النهاية، لقد أدى اكتشاف فيونا لسرّها إلى تعزيز الرابط بينهما. وما تقلق فيونا بشأنه الآن هو باركر. وكذلك الأمر بالنسبة لكريكي، سوف يكون الأمر مدمراً بالنسبة إليه.

الفصل 12

في يونيو، ذهبت كريستيانا مع باركر إلى ماساوا لقضاء عطلة نهاية أسبوع مثلما كانا يتمنيان، سمح لها صاموئيل وماكس بالذهاب لوحدها مجدداً. قضيا وقتاً أفضل في المرة الثانية. فكل لحظة قضياها معاً كانت رائعة، وحين عادا هذه المرة من عطلة نهاية الأسبوع السحرية، بدأ باركر يُلمّح بغموض بشأن الزواج. إنه كل ما تريده كريستيانا لو كانت الظروف مختلفة. لكن لا مجال أبداً لذلك بينهما. حاولت تفادي الموضوع، وأخيراً، قالت إنه لا مجال أبداً لأن تخذل والدها. إنه يتوقع منها العودة إلى الوطن، والبقاء هناك، وإدارة شؤون العائلة معه. لقد قالت كل ذلك لباركر قبلاً، لكنّه بدا هذه المرة غاضباً ومنزعجاً بوضوح. الأمر غير منطقي بالنسبة إليه، ولا حتى بالنسبة إليها الآن. لكنّها تشعر أنها مجبرة بأمنيات والدها وكذلك بالتاريخ والتقاليد. لقد تعلمت منذ ولادتها أن تضحي بنفسها لأجل بلدها، وشعبها، وإطاعة أوامر والدها في كل القرارات ومنها هذا القرار. عرفت أن تحديه سيكون مثل الخيانة العظمى بالنسبة إليه، وحتى بالنسبة إليها. لم تترعرع لتكون واحدة من الأميرات اللواتي يتزوجن المدرب، أو النادل، أو حتى طبيباً شاباً مثل باركر. لو أرادت فعل ذلك، فستكون بحاجة إلى موافقة والدها، وهي تعرف أنها لن تحصل عليها أبداً. لن يحدث ذلك بكل بساطة.

"بحق الله، كريكي، هذا سخيف. ما الذي يتوقعه منك، البقاء في المنزل، وأن تصبحي سيدة منزل عجوزاً تعملين له؟" ابتسمت بحزن حين سمعت السؤال. في الواقع، يتوقع منها والدها أن تتزوج، وإنما من شخص يوافق

عليه، أو حتى يختاره بنفسه. شخص من عائلة تشبه عائلتهم. باركر هو من عائلة جيدة جداً، وهو مثقف. شقيقه ووالده طبيبان. كانت أمه تظهر في الحفلات الاجتماعية، مثلما أخبرها مرة وهو يضحك، لأنه اعتبر كل ذلك سخيفاً. كريستيانا صاحبة سمو، وهذا أكثر سخافة. لكنّ نتيجة ذلك لن تبدو سخيفة له حين يعرف. سيكون الأمر مأساوياً بالنسبة إليه هو أيضاً.

قالت بحزم: "هذا ما يتوقعه مني، ولن أتمكن من الزواج قبل وقت طويل. بالإضافة إلى ذلك، ما زلت صغيرة جداً". قالت وهي تحاول العثور على أعذار مقنعة لصدّه. سوف يصبح عمرها أربع وعشرين سنة بعد أسابيع، وهذه ليست سن صغيرة على الزواج. كما بدأ والدها يطالب بعودتها إلى المنزل. لقد مضى على رحيلها ستة أشهر تقريباً، ورأى أن الوقت طويل كفاية. ما زال باركر ينوي المغادرة في يوليو. وإذا كان ذلك ممكناً، أرادت كريستيانا إكمال السنة في سيناف. أصرّت على ذلك بشدة حين تكلمت آخر مرة مع والدها، وأصبحت الأمور مؤجلة في الوقت الحاضر. على الأقل معه. لكنّ باركر بدأ يلح عليها.

"كريكي، هل تحبينني؟" سألها أخيراً بفظاظة مع نظرة خوف في عينيه. لم يحب يوماً امرأة بهذا القدر في حياته، ولا هي أيضاً.

قالت بوقار: "نعم، أحبك، أحبك كثيراً".

"لا أقترح عليكِ الزواج هنا، أو في الأسبوع المقبل. لكنني سأغادر قريباً، وقبل أن أذهب، أريدك أن تعرفي كم أنا جاد. قلتِ إنكِ قد تعودين إلى الجامعة. لماذا لا تأتين إلى بوسطن لهذه الغاية؟ هناك الكثير من الجامعات التي يمكن الاختيار من بينها. هارفارد، جامعة بوسطن، تافتس، كلية بوسطن. يسمح لك والدك بالذهاب إلى جامعة في الولايات المتحدة. لمَ لا تذهبين إلى جامعة للدراسات العليا أيضاً؟"

"أظن أنني استنفدت آخر بطاقاتي هنا. يريدني أن أذهب إلى الجامعة في باريس الآن، لأنها أقرب إلى المنزل، أو الاستقرار في فادوز".

"بوسطن بعيدة ست ساعات فقط عن أوروبا". وفهم قبلاً أن المال ليس مشكلة بالنسبة إليهم. لم تتحدث أبداً عن الموضوع، لكنّه فهم ذلك. ظروف والده مرتاحة أيضاً. باركر ليس غريباً على حياة الرخاء واليُسر. كان والده ناجحاً جداً، وكذلك شقيقه، وتركت له أمه ثروة صغيرة حين ماتت. إنه ميسور الحال. ولم يكن دفع أقساطه الجامعية يوماً مشكلة بالنسبة إليه. كما أنه يمتلك منزلاً صغيراً في كامبريدج، وإذا تزوجا، يستطيع تأمين حياة كريمة لها. لكن ليس إذا أصرّت على أداء دور الخادمة لوالدها والسماح له بتدمير حياتها. إن سماع ذلك يزعجه فعلاً. قال بإصرار: "لديك الحق في عيش حياتك".

قالت بحزم: "لا، أنت لا تفهم".

"لا، لا أفهم. اللعنة. ربما إذا التقيت به، سيفهم أنني شخص محترم. كريكي، أحبك... أريد أن أعرف حين أغادر أفريقيا أنكِ ستكونين زوجتي يوماً ما". امتلأت عيناها بالدموع فيما قال ذلك. هذا مريع. أدركت أكثر من أي وقت مضى أنه لم يكن يجدر بها استهلال العلاقة أصلاً. فقد كتبت النهاية الحزينة والمحتمة منذ البداية. كادت تختنق أثناء الإجابة.

"لا أستطيع".

"لماذا؟ ما هو السرّ الذي لم تخبريني به أبداً؟ ثمة سرّ داكن ومريع تخفينه عني طوال الوقت. لا أكترث لما هو. لا يمكن أن يكون مريعاً لهذا الحدّ. أنا أحبك كريكي. أياً كان الأمر، سوف نعالجه". كل ما تستطيع فعله الآن هو النظر إليه وهزّ رأسها. "أريدك أن تخبريني الآن".

"لا يهم ما هو. صدقني، باركر، أنا أقبل بكل ما تعرضه عليّ. لكنّ والدي لن يسمح لي أبداً". بدت واثقة تماماً، فيما ازداد غضب باركر دقيقة بعد دقيقة.

"هل يكره الأميركيين؟ أو الأطباء؟ لمَ أنت واثقة بأننا لا نستطيع التغلب على ذلك؟" كان هناك صمت طويل فيما نظرت إليه بيأس. لقد حان الوقت. عرفت أنه ليس أمامها خيار آخر سوى إخباره بالحقيقة الآن. احتاجت إلى دهر

لفتح فمها وقول الكلمات، لكنّها فعلت ذلك أخيراً.

"لا يكره أحداً. ولا يكرهك. أنا واثقة من أنه سيحبك كثيراً. ولكن ليس زوجاً لي". بدت الكلمات قاسية، وحقيقة وضعها قاسية. بالنسبة إليهما معاً. "والدي هو الأمير الحاكم في الليشتنشتاين". ساد صمت طويل فيما حدّق باركر فيها، محاولاً استيعاب ما قالته للتو. المفهوم غريب عليه بحيث جلس ساكناً لوقت طويل، ينظر إليها من دون أي تعبير على وجهه.

قال بهدوء: "قولي ذلك مجدداً". وهزّت هي رأسها.

"لقد سمعته من المرة الأولى. لا أظن أنك تعرف ما يعنيه ذلك. أنا خاضعة تماماً له، وللدستور، والتقاليد. وحين يأتي الوقت، لن يسمح لي بالزواج من أي شخص ليس من أصل ملكي. في بعض الدول، لا يهتمون لمثل هذه الأمور. لكنّ والدي ليس كذلك. إنه قديم التفكير، ولن يسمح لي أبداً لا هو ولا أفراد بلاطه الملكي الذين يتخذون هذه القرارات بأن أتزوج منك، مهما كنت أحبك، وأنا أحبك فعلاً". كان صوتها أشبه بالهمس حين أنهت عبارتها، وحدّق باركر فيها غير مصدق.

"البلاط الملكي يتخذ مثل هذه القرارات؟ وليس أنت؟" هزّت رأسها.

قالت وقد بدت حزينة: "لا أتخذ القرارات لنفسي. هو من يفعل. وكذلك هم". لقد بدأت قوة ذلك تضربه فيما حدّق فيها. "حسب دستورنا، كل أفراد القصر الملكي يجب أن يوافقوا على الزواج، ويجب ألا يكون مؤذياً للسمعة، أو الرفاهة، أو القيمة في إمارة الليشتنشتاين. أنا واثقة من أن البلاط الملكي ووالدي سيعتبران زواجنا مؤذياً للبلد". بدا الأمر غير منطقي، حتى بالنسبة إليها، وهذا ما سبب له المزيد من الألم.

"كريكي، أنت أميرة؟" تحطم صوته فيما قال ذلك، وهو يبدو مذهولاً تماماً. كان عاجزاً تقريباً عن الكلام. وكانت هي مغمورة تماماً بالحزن والعجز. "هل أنت صاحبة سمو؟" حدّق فيها مذهولاً، على أمل أن تقول لا، لكنّها لم تفعل.

ابتسمت بحزن للرجل الذي أحبته كثيراً، وهزّت رأسها. "صاحبة سمو. نحن بلد صغير. كانت أمي صاحبة سمو ملكي. كانت فرنسية، من آل بوربون. أفترض أنه كان بإمكاني الاختيار. لكنني فضلت دوماً صاحبة السمو. ويحمل والدي وشقيقي اللقب نفسه أيضاً". إنها تشعر بكل شيء سوى بالسمو في هذه اللحظة، وتمنت من كل قلبها لو لم تكن من أصل ملكي، لكنّ هذا لا يفيد.

"لماذا لم تخبريني بذلك بحق الله؟" هذا ما قالته فيونا بالضبط حين اكتشفت الأمر. وفي حالة باركر، كان محقاً. إنها تدين له بذلك. في حالته، لقد خدعته لأنها تعرف تماماً أن علاقتهما العاطفية لن تصل إلى أي مكان، وسوف تحطم حتماً قلبيهما. أدركت، وهي تنظر إليه، كم كانت أنانية، فيما انهمرت الدموع ببطء على وجهها.

"أنا آسفة.. لم أشأ إخبارك... أردت فقط أن أكون أنا، معك. والآن أدرك ما الذي فعلته. لم أكن محقة في ذلك معك". وقف وبدأ يذرع المكان جيئة وذهاباً، ينظر إليها من وقت إلى آخر، فيما راقبته هي بيأس، ثم عاد وجلس بالقرب منها، ووضع يديها بين يديه.

"لا أعرف كيف تجري هذه الأمور. لكنّ الأشخاص يبتعدون عن كل ذلك. فعلها دوق ويندسور حين تخلى عن العرش للزواج من واليس سمبسون". ثم بدا باركر فجأة أكثر قلقاً. "لن تصبحي ملكة يوماً ما، أليس كذلك، أو تستلمي العرش؟ ألهذا السبب والدك قاسٍ جداً معك؟" ابتسمت وهزّت رأسها.

"لا. لا تستطيع النساء تسلم الحكم في بلدي. إنهم متأخرون جداً في التفكير. حصلت النساء على حق الاقتراع قبل ثلاثة وعشرين عاماً فقط. سوف يحكم شقيقي البلاد يوماً ما، سواء نضج أم لا. لكن، بما أنه غير مسؤول، يعتمد والدي عليّ كثيراً. لا أستطيع أن أخذله، باركر. لا أستطيع الهروب. ليس الأمر مثل وظيفة يمكنك التخلي عنها. إنها مسألة عائلة وتقاليد، وعرق دم، وشرف، وتاريخ من آلاف السنين. لا يمكنك التخلي عن هذا الأمر، كما لو

أنه قبعة، أو حتى تاج. إنه من تكون، وما ولدت لأجله، بلد وشعب تكون بمثابة مثال لهما. إنه الواجب وليس الحب. يتنحى الحب دوماً أمام كل شيء آخر. إنه الواجب، والشرف، والشجاعة. وليس الحب".

قال وهو يبدو غاضباً: "يا إلهي، هذا مقرف، ويتوقع منك والدك أن تعيشي هكذا، وتتخلي عن شخصيتك وعمن تحبين؟"

"ليس لديّ خيار آخر". قالت كما لو أنها تعلن حكم إعدامها بنفسها. وهو فعلاً كذلك بالنسبة إليهما. "ولجعل الأمور أسوأ، وعد أمي بأن أتزوج من شخص له أصل ملكي. كانا يفكران بطريقة قديمة جداً، ولا يزال يفعل ذلك حتى اليوم. يؤمن بالواجب قبل الحب. حتى بالنسبة إليه. وهو يعتمد عليّ الآن للحفاظ على التقاليد وفعل الشيء الصحيح لأن شقيقي لن يفعل ذلك على الأرجح. لا أستطيع خذله، باركر. إنه يتوقع مني، ويطلب مني، أن أقوم بهذه التضحية لأجل بلدي، وأمي، ولأجله".

"هل سترينني مجدداً، بعد أن أغادر هنا؟" سأل وهو يبدو يائساً. شعر بالذعر مما أخبرته به. جعلت الأمر يبدو يائساً تماماً، لأنه كذلك برأيها. أدرك فجأة المعضلة التي يواجهانها، وما يعني ذلك بالنسبة إليهما، وكل ذلك بسبب هويتها. كانت مستعدة تماماً للتضحية بنفسها، وبه، لأجل بلدها وأمنيات أميرها الحاكم. لم يكترث باركر أبداً لكونها أميرة. كل ما يهتم به هو أن يكون مع المرأة التي يحبها. لقد أعطاها قلبه، وها هي الآن ترده له بهدوء، بسبب من تكون وما هو مطلوب منها نتيجة لذلك. إنها مسألة شرف، وواجب، وتضحية، وشجاعة بالنسبة إليها.

"لا أعرف". أجابته على سؤاله، وقد أصبحت صادقة تماماً معه الآن. "لست أكيدة من أنني أستطيع رؤيتك مجدداً، أو مدى تواتر ذلك". شكت في أن ماكس وسام سيساعدانها في رؤيته، مرة واحدة على الأقل، لكنّ أكثر من ذلك سيكون صعباً جداً. فإذا فعلا، سوف يسببان فضيحة بلا أي شك. ويكفي وجود مصيبة واحدة في العائلة. لقد تولى فريدي هذا الدور. وإذا فعلت هي الشيء

نفسه الآن، قد يتحطم قلب والدها. لا تستطيع فعل ذلك به. "يمكننا اللقاء ربما ذات مرة في مكان ما. لا أظن أن والدي سيسمح لي بالذهاب إلى الولايات المتحدة. فقد عدت منها العام الماضي، وها أنا الآن في أفريقيا منذ أشهر. بعد ذلك، يريدني في المنزل، أو في مكان ليس أبعد من باريس ولندن".

"هل أستطيع لقاءك في باريس؟" بدا حزيناً جداً، تماماً مثلها. شعرت وكأنها وضعت خنجراً في قلبه، وقلبها أيضاً.

"لا أستطيع أن أعدك، لكنني سأحاول". بدت قلقة وغير واثقة. لديها شعور بأن والدها يريدها أن تبقى بالقرب من المنزل حين تعود. لكنّ عطلة نهاية أسبوع في باريس قد لا تكون صعبة. أو تستطيع ربما الذهاب إلى لندن والمكوث عند فيرونيكا، ورؤيته هناك. إلا أن الصحافة تطارد قريبتها دوماً، الأمر الذي سيكون بمثابة كارثة لهما. تبقى باريس أفضل بلا شك. "سوف أفعل ما بوسعي".

"وبعد ذلك؟" تلألأت الدموع في عينيه الآن. لم يكن أي من هذه الأخبار ساراً بالنسبة إليه، تماماً كما بالنسبة إليها. لكنّها أخبار قديمة بالنسبة إليها، وجديدة كثيراً بالنسبة إليه.

"بعد ذلك، حبي، تعود إلى حياتك، وأنا إلى حياتي. ونتذكر إلى الأبد ما تشاركناه هنا، ذكرى لن ننساها أبداً... سوف تحتل دوماً جزءاً من قلبي، جزءاً كبيراً، وكبيراً جداً". لم تستطع تخيل نفسها وهي تتزوج من شخص آخر.

"هذا أسوأ شيء سمعته في حياتي". لم يكن غاضباً منها. ما الجدوى من ذلك؟ إنه محطم في الصميم. "كريكي، أحبك. هلاّ سألته من فضلك؟" فكّرت في الأمر لبرهة طويلة وأومأت برأسها إيجاباً. تستطيع التجربة. لكن حين تفعل، سوف يطلب منها والدها التوقف عن رؤية باركر. وطالما أنه لا يعرفه، فثمة احتمال على الأقل أن تتمكن من رؤيته. وهي لا تريد التخلي عن ذلك بعد. السرية هي السبيل الوحيد الآن، وقد أخبرته بذلك. لكنّه هذه المرة لم يوافقها الرأي. افترض فقط أنها تعرف أفضل منه. إنه لا يستوعب شيئاً. بدا الجزء

الأخير من القدر بمثابة فيلم سيىء جداً بالنسبة إليه.

بعد ذلك، جلس ووضع ذراعيه حولها، وهو يُفكّر في كل ما قالته، محاولاً فهمه واستيعابه، وإدراك ما يعني ذلك بالنسبة إليهما. إنه مصير مروّع بالنسبة إليهما. كُتب لها أن تكون الأميرة الوحيدة إلى الأبد. وهو الطبيب الشاب المحطم القلب. لم يحب أبداً الطريقة التي ستنتهي بها هذه القصة. لن تكون بوضوح "نهاية سعيدة" لهما.

بعد ذلك، عادا إلى المخيم، وهما يبدوان حزينين. تحدثا قليلاً فقط. أمسكها فقط بالقرب منه، ووضع ذراعاً حولها، وصودف أن رأتهما فيونا وهما يتجولان في المخيم. كانا كما لو أن شخصاً ما توفي، وتساءلت فيونا. لم يلقِ باركر التحية عليها، وهذا أمر نادر من قبله. قبّل كريكي من دون أية كلمة، وعاد إلى خيمته.

سألتها فيونا وهي تبدو قلقة،"ماذا حصل؟"

قالت كريستيانا وهي تبدو مخبولة:"أخبرته".

"عنك؟" همست فيونا، وأومأت كريكي برأسها. "أوه، اللعنة. كيف تقبّل الأمر؟"

"كان رائعاً لأنه رائع. لكنّ الوضع مقرف". ابتسمت فيونا لاختيارها للكلمات.

"نعم، هو كذلك. هل غضب؟" لم يبدُ كذلك. بدا محطماً، وهذا أسوأ.

"لا. فقط حزيناً. وأنا أيضاً".

"ربما يمكنكما التوصل إلى حل".

"سوف نحاول اللقاء في باريس بعد أن أعود. لكنّ هذا لن يغير أي شيء، وإنما سيطيل المعاناة. في النهاية، عليه العودة إلى بوسطن وعيش حياته، وأكون أنا في فادوز، مع والدي، لأنفذ ما يفترض بي فعله لبقية حياتي".

أصرّت فيونا:"لا بد أن توجد طريقة".

"لا. أنت لا تعرفين والدي".

"سمح لك بالمجيء إلى هنا".

قالت بيأس: "هذا مختلف. يعرف أنني عائدة. ولن أتزوج من أي شخص هنا. يفترض أن يكون هذا مخصصاً للراحة. وعدته أن أستلم واجباتي حين أعود. لن يسمح لي بالزواج من طبيب أميركي، شخص عادي، والعيش في بوسطن. لن يحدث ذلك أبداً". وتوجب على فيونا الاعتراف بأن الأمر بدا ميؤوساً منه، حتى بالنسبة إليها.

"تحدثي إلى والدك، ربما يتفهم. الحب الحقيقي، وكل ذلك". لم تشاهد يوماً شخصين يحبان بعضهما أكثر منهما، أو يعيشان سعادة أكثر من كريكي وباركر. يصعب تجاهل ذلك، ومن المأساوي أن تكون النهاية على هذا النحو.

"سوف أتحدث إليه في النهاية. لكنني لا أظن أنني سأصل إلى أي نتيجة".

أومأت فيونا برأسها، ودخلت بهدوء إلى الخيمة معها. ليس هناك الكثير من الكلام الذي تستطيع قوله، وشعرت بالحزن عليهما معاً. إنها قصة حزينة جداً، وليست سعيدة.

في تلك الليلة، جلس باركر وكريكي بالقرب من بعضهما، وأصبحا في الأسابيع التالية قريبين من بعضهما أكثر من أي وقت مضى. فما تشاركته معه، مع مضاعفاته المأساوية، جعلهما يحبان بعضهما أكثر فأكثر. أصبحا لا ينفصلان تقريباً حتى نهاية يوليو. وبعدها توجب عليهما مواجهة أولى عقباتهما المروّعة. عليه العودة. ما من تأجيل إضافي. طلب منه مدير برنامج الأبحاث العودة في أول أغسطس. كانت أيامهما الأخيرة حلوة ومرة أكثر من المعقول، وامتازت ليلتهما الأخيرة بنوعية استثنائية. رأت كريستيانا أنها الليلة الأكثر حزناً في حياتها. جلسا خارج خيمتها طوال الليل، فيما أمسكها بين ذراعيه. أقاموا له عشاء الوداع في تلك الليلة، وبدا باركر وكريكي وكأنهما سينفجران في البكاء في أية لحظة. لم يخطر في بال الآخرين في المخيم أبداً سبب هذه

المأساة، لكنهم شعروا بسهولة بأن أمراً صعباً قد حصل، وأنه وقت عصيب جداً بالنسبة إليهما معاً.

جاء العديد من الأشخاص الذين عالجهم ليحضروا له الهدايا قبل رحيله، منحوتات وتماثيل، أوعية وخرز، وأشياء جميلة حضّروها له. شكرهم جميعاً وتلألأت الدموع في عينيه في كل مرة. لقد أثّر فيه مرضى الإيدز الذين التقاهم وعالجهم.

جلس هو وكريكي معاً طوال الليل، وشاهدا الشمس تشرق. قاما بجولة في ضوء الصباح الباكر، تحت روعة السماء الأفريقية. عرفت فيما مشت معه أنها لن تنسى أبداً هذه اللحظة، أو هذه الفترة من حياتها. أرادت إيقاف الزمن والبقاء هنا معه إلى الأبد.

"هل لديك فكرة كم أحبك؟" سألها قبل أن يعودا.

"ربما نصف مقدار ما أحبك أنا". مازحته، لكنّ الأمر لم يكن ممتعاً أو سهلاً البتة. حين عادا، كان الآخرون قد نهضوا وبدأوا بالتحرك في المخيم. كان ياو وأكوبا مشغولين، فيما الآخرون يتناولون الفطور. انضمت كريكي مع باركر إليهم، وإنما لم يتناولا شيئاً. شربا القهوة، وجلسا بصمت وهما يمسكان بيديْ بعضهما. حتى ماكس وسام كانا حزينين. إنهما يعرفان أكثر من أي شخص آخر ما ينتظرها، حياة من دون هذا الرجل اللطيف الذي أحبته. وكان فعلاً رجلاً طيباً، رغم أن هذا لن يفيدهما بشيء. لم يكن الزوج الذي يريده والدها لها، ولا أمل أبداً في أن يصبح كذلك. حين يغادر سيناف، يبدأ تنفيذ حكم الإعدام بحبهما. وما من أحد يعرف ذلك أفضل منهما.

اصطحب جيف باركر إلى أسمرة في إحدى سيارات المخيم، ودعا كريكي لتأتي معهما. لم يكن حبهما سراً، ووافق الجميع عليه. لم يكونوا واثقين من السبب، لكنهم عرفوا جميعاً أن كريكي لن تتمكن من المتابعة حين تعود. افترضوا مما قالته أن لديها والداً مستبداً، لن يوافق على حبها، ويتوقع منها إطاعته. لم يعتبروا ذلك شيئاً لا يقهر، وإنما صعباً بالتأكيد. وحدهم فيونا،

وجيف، وماكس وسام عرفوا الحقيقة، والعاشقان أيضاً. افترض الآخرون أن هناك أملاً بالنسبة إليهما. لكنّ الذين عرفوا من تكون عرفوا الحقيقة أفضل. وفي الواقع، لا يوجد أي أمل على الإطلاق، إلا إذا كانت مستعدة لتحدي والدها والتخلي عن كل ما تكونه، الأمر الذي بدا مستبعداً بالنسبة إلى الذين يعرفونها جيداً.

عانق الجميع باركر بحرارة حين غادر. شكرته ماري خصوصاً على مساعدته النفيسة، وشكرها هو على مساعدتها له في الأبحاث. قام بجولة أخيرة في جناح المرضى، وودع جميع المرضى هناك. كان قلبه يؤلمه حين غادر. صعد وكريكي إلى السيارة مع جيف، وبدأوا الرحلة الطويلة إلى أسمرة. عرفت كريكي أن الطريق ستبدو أطول خلال العودة، من دونه. تستطيع الآن على الأقل لمسه، والتحدث معه، ورؤيته، والإحساس به قربها. لم تكن يوماً حزينة إلى هذا الحدّ في حياتها. وأخيراً، بعد برهة، لم يتفوها بأي شيء وأمسك كل منهما بيديْ الآخر فيما قاد جيف السيارة. شعر من المحادثة التي دارت بينهما أن باركر يعرف الآن من تكون، لكنّه لم يسأل. وعدها بالاحتفاظ بسرها خلال إقامتها معهم، وفعل ذلك. إذا اختارت البوح لأحد، يكون ذلك شأنها. حتى الآن، بقي كتوماً.

وصلوا إلى أسمرة قبل ساعة من موعد رحلة باركر. كان التوقيت مثالياً، ومثلما فعلت هي وماكس وسام حين وصلوا، وقفوا ينتظرون، هذه المرة لتهبط الطائرة. آلمها قلبها أكثر حين هبطت. كانت تأمل أن تتأخر. فكل دقيقة مهمة، وكل شيء فيها يجعلها تتوق للذهاب معه والاختفاء إلى الأبد في حياته. لم تكن يوماً قريبة من الهروب إلى هذا الحدّ، حتى لو عنى ذلك تحطيم قلب والدها. كانت ممزقة بين رجلين تحبهما، وما يحتاجه منها كل منهما، وما تريده هي نفسها.

لديهم نصف ساعة إضافية بعد هبوط الطائرة، فيما وقف الناس في الصف، يحملون الصناديق والحقائب. وقفت هي وباركر بهدوء في جهة هادئة، وأمسكا بيدي بعضهما البعض، فيما وقف جيف بعيداً عنهما، وهو يشعر

بالأسف لهما. إنه يعرف حقيقتها، ويدرك تماماً ما تعنيه هذه اللحظة.

ثم جاء الوقت. اللحظة الأخيرة، اللمسة الأخيرة، القبلة الأخيرة، الإحساس الأخير بذراعيه حولها وذراعيها حوله.

"أحبك كثيراً". همست له، فيما حاولا معاً حبس دموعهما.

قال لها: "سيكون كل شيء على ما يرام". متمنياً أن يكون ذلك صحيحاً. إنها تعرف أفضل ولم تقل أي شيء. "سأراكِ في باريس ما إن تعودي. إعتني بنفسك". ابتسم لها. للمرة الأخيرة، إنها له، وقد لا تكون كذلك أبداً مجدداً. يصعب تحمل ذلك، بالنسبة إليهما معاً. قال ممازحاً: "واحذري من الأفاعي".

قبلة أخيرة، ومشى هو في الطريق المعبّدة التي تقود إلى الطائرة. وقفت تحدق فيه، من دون التحرك، والتصقت عيناها بعينيه، فيما صعد إلى سلم الطائرة، وتوقف، ونظر إليها للحظة لامتناهية. كانت عيناها عالقتين في عينيه. أرسلت له قبلة في الهواء ولوّحت له. لمس قلبه، وأشار إليها بابتسامة حزينة، ثم رحل. وقفت هناك، والدموع تنهمر على وجهها. استمر جيف في الوقوف على مسافة بعيدة، لأنه أراد تركها لوحدها مع حزنها الخاص، والحقيقة التي يتوجب عليها مواجهتها.

شاهدا الطائرة وهي تقلع، وتحوم عالياً في الجو، في طريقها إلى القاهرة، ومن ثم إلى روما وبعدها بوسطن. لحقت بجيف بهدوء إلى السيارة. لم يتفوه أي منهما بكلمة لوقت طويل.

"هل أنت على ما يرام؟" سأل بهدوء، وأومأت هي برأسها. شعرت كما لو أن أحداً مزق قلبها بيديه العاريتين. تفوهت بالقليل ولم تنم أبداً طوال طريق العودة. جلست ونظرت من النافذة إلى الطبيعة الأفريقية. بدت لها مختلفة جداً الآن، من دونه. سيكون كل شيء كذلك إلى الأبد. لقد خرج من سمائها. لن يعيشا أبداً ما تشاركاه خلال الأشهر الستة الماضية. كانت هدية رائعة، وواحدة عرفت أنها ستتذكرها إلى الأبد. الأيام التي قضتها معه في سيناف أثمن من الماس بالنسبة إليها.

كانت فيونا تنتظرها حين عادت. شاهدت النظرة المخبولة على وجه كريستيانا ولم تقل لها أي شيء. وضعت ذراعها حولها، وأخذتها إلى الخيمة ووضعتها في السرير. نظرت كريستيانا إليها وبدت عيناها محطمتين مثل الولد. التقت أعين المرأتين، وداعبت فيونا شعر كريستيانا على الوسادة، وطلبت منها إغلاق عينيها والخلود إلى النوم. فعلت كريستيانا ما طُلب منها، فيما جلست فيونا وراقبتها لبرهة، للتأكد من أنها على ما يرام. لاحقاً، دخلت ماري وتحدثت إلى فيونا بهمس.

"هل هي على ما يرام؟"

قالت فيونا بصدق: "لا، ولن تكون كذلك لبعض الوقت". أومأت ماري برأسها وذهبت إلى السرير. لم يفهم أحد الأمر تماماً، لكنهم عرفوا جميعاً أن شيئاً حزيناً حصل، أكثر من مجرد عودة باركر إلى وطنه. ولا شك في أنها لو عادت إلى الليشتنشتاين، لبدأ حكم إعدامها من دونه.

الفصل 13

تحركت كريستيانا خلال الأسبوعين التاليين بصعوبة. تلقت رسالة من باركر بعد عشرة أيام. كل ما استطاع الكلام عنه هو اللقاء بها في باريس. قال إنه لم يكره يوماً بوسطن إلى هذا الحدّ في حياته. إنه يتوق إليها، تماماً مثلما تتوق إليه. كتبت له رسالتين، لكنّها لم تشأ جعل الأمور أصعب عليه. الأمر غير عادل كفاية، وقد سببت له الكثير من الألم بسبب وضعها المستحيل. أخبرته كم تحبه، ولكن من دون أمل.

في الأسبوع الثالث على رحيله، شعرت في صباح أحد الأيام بالانزعاج حين ذهبت إلى العمل. لم تكن واثقة مما هو. كان الأمر محسوساً تقريباً في الجو. بدا الجميع جاداً خلال الفطور، ولاحظت أن أكوبا وياو لم يكونا في الخارج حين دخلت إلى خيمة الأكل. ألقت كريستيانا نظرة خاطفة على فيونا، التي بدت مذهولة مثلها هي. شرح لهم جيف الوضع قبل أن ينطلقوا إلى العمل. حصل هجوم على الحدود الإثيوبية في الليلة الفائتة؛ كمين. إنه أول اختراق فاضح للهدنة منذ سنوات. قال جيف إنه يأمل في أن يكون هذا الحادث وحيداً ولا يتكرر، لكن عليهم جميعاً توخي الحذر. إذا بدأت الحرب مجدداً بين إريتريا وأثيوبيا، سيصبح الأمر خطراً حتى عليهم. لكنّ هذا ما زال بعيداً. هذه ليست حرباً، وإنما مناوشة، على أمل ألا تكون شيئاً أكثر من حادثة بسيطة. قال جيف إن قوات الأمم المتحدة موجودة على الحدود، تماماً مثل قوات الاتحاد الأفريقي، لحفظ السلام. لكنّ الجميع بدوا قلقين حين ذهبوا إلى العمل، على أنفسهم وكذلك على هؤلاء الأشخاص الذين يحبونهم كثيراً. لقد عانوا

كثيراً خلال الحرب الأخيرة، وأمل جميع العاملين في المخيم ألا يشعل اختراق الهدنة فتيل الحرب مجدداً. إنه أمل الجميع.

شعر المرضى جميعاً بالغضب في ذلك الصباح، وكان هناك الكثير من الكلام والإحساس بالذعر. لقد عاشوا كل ذلك قبلاً. بالإضافة إلى ذلك، كان العاملون في المخيم قلقين من موسم الملاريا الذي سيبدأ خلال الشهر المقبل. لديهم ما يكفي للقلق بشأنه.

أجمعت الآراء على ضرورة مراقبة الوضع وتوخي الحذر. في الوقت الحاضر، لا يوجد خطر على أي كان في المخيم. لكنّهم قريبون من الحدود وبالتالي فإن خوفهم مبرر. وبعد الفطور، جاء ماكس وسام للتحدث إلى كريستيانا.

"لن يحب والدك هذا، صاحبة السمو. علينا إبلاغه بالأمر". كان هذا أحد الشروط الأساسية لوجودهما معها، وكان حتى اتفاقاً بينها وبينه بأنه إذا أصبح الوضع السياسي مضطرباً، عليها العودة على الفور.

أشارت لهما: "إنها مجرد مناوشة، لسنا في حرب". لا تنوي المغادرة الآن، خصوصاً مع قدوم موسم الملاريا. إنهم بحاجة إليها أكثر من أي وقت مضى. وهناك تقارير عن تفشٍ حديث للكالا أزار.

قالا وقد بديا قلقين جداً: "يمكن أن يسوء الوضع في أية لحظة، وحين يسوء الوضع، يمكن أن يتفاقم بسرعة". لا يريد أي منهما التواجد في وضع يعجزان خلاله عن إخراجها.

قالت بحزم: "لا داعي للهلع الآن". وعادت إلى العمل.

لم يحصل بعدها أي شيء خلال الأسبوعين التاليين. حلّ الأول من سبتمبر، وبدأت أولى حالات الملاريا تظهر. كان وقتاً صعباً بالنسبة إليهم جميعاً، مصحوباً بأمطار غزيرة. كان الوضع مأساوياً في المخيم، حتى داخل الخيم، فيما غاصوا في الوحل السميك. مضت الآن ثمانية أشهر على وجودها في أفريقيا، وقد تغلغلت في روحها. ومع ازدياد كمية العمل، والطقس السيىء،

كان الجميع ينامون مرهقين كل ليلة. وكان والدها يطلب من ماكس وسام منذ أسابيع إعادتها إلى المنزل، منذ مناوشة الحدود، الأمر الذي لم يعجبه على الإطلاق. لكنّ كريستيانا كانت ترفض الذهاب إلى أي مكان. إنهم بحاجة إليها، وسوف تبقى. بعثت له برسالة عبر سام وماكس. لم يعد لديها الوقت للذهاب إلى مكتب البريد والتحدث إليه بنفسها. لا تريد أن تتشاجر معه. لا تزال غاضبة جداً من قصة باركر، ولديها الكثير من الأمور في عقلها.

"يا إلهي، ألا تكرهين هذا الطقس المزعج؟" قالت فيونا في إحدى الليالي حين دخلتا إلى الخيمة. كانت تولّد النساء طوال اليوم. وكانت كريستيانا تساعد مرضى الإيدز والملاريا، وحالتين إضافيتين من الكالا آزار، فيما كان جيف قلقاً جداً. ليسوا بحاجة إلى تفشي هذا الوباء بينهم أيضاً.

كانت فيونا قد عادت منذ أقل من ساعة حين نادوها مجدداً. ثمة امرأة لا تبعد كثيراً عن المخيم تلد توأمين. كانت لا تزال مبللة تماماً حين خرجت، وصلّت ألا تعلق سيارتها الصغيرة في الوحل؛ الأمر الذي حصل قبلاً مرات عدة. في إحدى الليالي، توجب عليها العودة سيراً إلى المخيم تحت المطر المنهمر، لمسافة أكثر من ميلين. وقد أصيبت بالسعال منذ ذلك اليوم.

شاهدتها كريستيانا تخرج ولوّحت لها مع ابتسامة متعبة. "استمتعي!"

قالت فيونا ممازحة: "كفاية! على الأقل ستكونين جافة هنا". في بعض الأوقات، إنها حياة قاسية، وهذه واحدة منها. كانت فيونا تعمل بكدّ مثل الآخرين، لا بل ربما أكثر منهم. لم تتذمر أبداً، وإنما أحبت ما تقوم به، وعرفت تماماً كم يحتاجون إليها.

سمعت كريستيانا السيارة الصغيرة تنطلق، وخلدت أخيراً إلى النوم. كانوا جميعاً مرهقين من الطقس والعمل المتزايد. ولم تتفاجأ حين لم تجد فيونا في سريرها في صباح اليوم التالي، فغالباً ما كانت تمضي الليل خارجاً، خصوصاً إذا كانت الولادة صعبة. ومع توأمين، لا شك في أن الأمر صعب.

ذهبت كريستيانا لتناول الفطور مع الآخرين، وفيما ألقى نظرة سريعة من حوله، بدا جيف فجأة قلقاً.

"أين فيونا؟ نائمة أم لا تزال في الخارج؟"

أجابت كريستيانا: "في الخارج". فيما سكبت لنفسها كوباً من القهوة.

"أتمنى ألا تكون سيارتها قد علقت في الوحل". قال شيئاً لماغي ثم قرّر الذهاب بنفسه والتحقق. لم يتوقف المطر طوال الليل، ولا يزال يتساقط. تطوع ماكس للذهاب معه. إذا كانت السيارة عالقة، يستطيع مساعدته على إخراجها من الوحل. وبعد دقائق قليلة، انطلق الرجلان. ذهبت كريستيانا وماغي إلى عيادة الإيدز، وأوشي إلى صفها، وكل واحد إلى وظيفته. كان صباحاً مثل أي صباح آخر في الموسم الممطر، لكنّه كان أكثر رطوبة ودكنة.

كانت كريستيانا في مكتبها تنجز بعض الأعمال المكتبية في وقت لاحق من ذلك الصباح حين عاد ماكس وجيف. وجدا السيارة، ولم تكن فيونا فيها. ذهبا إلى المنزل حيث ولد التوأمان، وقيل لهما إن فيونا غادرت قبل ساعات.

هذه أول مرة يحصل فيها مثل هذا الأمر. جاء ماكس لإخبارها، وتساءلت كريستيانا ما إذا حاولت العودة سيراً إلى المخيم، وتعرضت لهجوم من مكمن أو لجأت إلى منزل أحدهم. كانت تعرف كل شخص في المنطقة تقريباً، لأنها تساعد في ولادة الأطفال منذ أعوام عدة.

بدا جيف حزيناً، ونظّم حملة بحث، وعيّن سائقين لكل السيارات. قاد ماكس سيارة، وسام أخرى، فيما صعد إرنست وكلاوس وجيف إلى باص المدرسة. نجح ديدييه في تشغيل أسوأ سيارة. ذهبت اثنتان من النساء معهم، وفي الدقيقة الأخيرة، صعدت كريستيانا في السيارة مع ماكس. اتفقوا على تمشيط المنطقة، والتوقف أمام كل منزل لمعرفة ما إذا كانت موجودة فيه. إنها تعرف فيونا جيداً، ولذلك شعرت كريستيانا بأنها بلا شك قد فعلت شيئاً كهذا. إنها امرأة عملية ومستقلة، ولن تمضي الليل في سيارة عالقة في الوحل. لا بد أنها وصلت إلى منزل وطرقت بابه. كانت أكيدة من أنهم سيعثرون عليها

سريعاً. فجميع من في المنطقة لطفاء. إنها تجلس بلا شك قرب النار في أحد منازلهم، إلى أن يتوقف المطر أو تتمكن من العودة إلى المخيم.

لم يقل ماكس أي شيء حين أخذ أول طريق ثم أخرى. شاهدا باص المدرسة بعد برهة، وتحدثا مع الآخرين. لم يشاهد أي منهم أحداً، كما أن الأشخاص في المنازل التي زاروها لم يروها أيضاً، رغم أنهم يعرفون جميعاً من تكون.

بقوا خارجاً لأكثر من ساعتين، وكان ماكس لا يزال يقود بحذر، فيما نظرت كريستيانا عمداً إلى جانب الطريق. وفجأة توقف ماكس. ثمة شيء لفت انتباهه. لم يقل شيئاً أمام كريستيانا، كي لا يقلقها من دون سبب. خرج من السيارة، وركض تحت المطر، ثم توقف. كانت هناك، مستلقية على جانب الطريق، مثل دمية بالية، عارية، شعرها ملبّد، وجهها نصفه في الوحل، وعيناها مفتوحتان. ركضت كريستيانا خلفه ورأتها، وذعرت لما رأته. لقد تعرضت فيونا حتماً للاغتصاب والقتل، إذ طعنت عشرات المرات. إنه أسوأ شيء رأته كريستيانا في حياتها. دفعها ماكس برفق بعيداً، وطلب منها العودة إلى السيارة.

صرخت في وجهه: "لا!، لا!" ركعت في الوحل قرب صديقتها، ونزعت عنها معطفها وغطتها به، ورفعت وجهها برفق من الوحل ولاطفت رأسها، فيما أصبحت هي مبللة بالمطر. كانت كريستيانا مستلقية تقريباً في الوحل، تمسك بها، تبكي وتصرخ، فيما حاول ماكس إبعادها لكنّه لم يستطع. وبعد دقائق، مرّ باص المدرسة قربهم وتوقف. خرج الجميع منه وشاهدوا ما حصل. ساعد كلاوس وإرنست ماكس برفق على إبعاد كريستيانا. تحدثوا مع الآخرين على الجهاز اللاسلكي، وأحضر أحدهم قماشاً مشمعاً. تم إبعاد كريستيانا، وهي تبكي، ولفوا فيونا برفق، ووضعوها في الباص وعادوا إلى المخيم.

كانت بقية اليوم مريعة للجميع. بقيت السلطات الرسمية في المخيم طوال اليوم. مشطوا المنطقة، لكنّ أحداً لم يشاهد أي شيء أو أي شخص. لا يعرف

أحد أي شيء، وأصرّت السلطات المحلية على أن العملية حصلت من قبل إثيوبيين، الأمر الذي بدا مستبعداً لكل من في المخيم. إنه بلا شك رجل محلي مجنون بقي مجهول الهوية. إنه أول حادث عنف يحصل معهم في المخيم. ذهب جيف إلى مكتب البريد في سيناف لإبلاغ العائلة بنفسه عبر الهاتف. أصيبوا بالصدمة، كما كان متوقعاً. ورغم أن كريستيانا توسلتهما لعدم فعل ذلك، ذهب ماكس وسام إلى مكتب البريد مع جيف للاتصال بوالدها.

كان جوابه تماماً مثلما توقعا. "أحضراها الآن. غداً. اليوم. أخرجاها من هناك". عادا وأخبرا كريستيانا، لكنّها لم تكن مستعدة للرحيل، وشعرت بالأسى الكبير على موت صديقتها، والطريقة المريعة التي ماتت بها. نظراً للظروف الموجودة في أفريقيا، وافقت عائلة فيونا على مضض على أن يتم دفنها هناك. ما زالوا مصدومين، لكنّ إعادتها إلى بلادها أمر معقد ومكلف. وهي أحبت أفريقيا كثيراً. من الملائم ربما دفنها هناك.

أرادت كريستيانا التحدث إلى باركر، لكنّها كانت مضطربة جداً للذهاب إلى مكتب البريد مع سام وماكس، ولا تريد التكلم إلى والدها. لا تهتم لما يقوله. لن تعود إلى المنزل، ليس قبل دفن فيونا على الأقل. أصبح المشهد حولها فجأة ضبابياً وقاتماً. لقد حصل خطب في كل شيء، وشعروا جميعاً بالخوف فجأة.

دفنوا فيونا في اليوم التالي، فيما لا يزال كل المخيم مصدوماً. انتشر الخبر في المناطق المجاورة. ساد إحساس بالغضب والذعر بين السكان المحليين، وكذلك بين العاملين في المخيم. بعد مراسم دفنها السريعة، اجتمع سكان المخيم في خيمة الأكل، يبكون ويبدون حزينين. لم يكن هناك احتفال إيرلندي، مثلما كانت تحب. بدل ذلك، كان هناك بكاء، وغضب، وأشخاص خائفون، عاجزون عن تصديق ما حصل لصديقتهم العزيزة. عانقت كريستيانا ماري وراحتا تبكيان. وكانت أوشي تبكي وقد فقدت السيطرة على نفسها. كان جيف وماغي مصدومين إلى أبعد الحدود. إنه وقت مريع في المخيم. وفجأة

انهار كل شيء.

بعد يومين من دفن فيونا، حصلت مناوشة أخرى على الحدود، وخلال ثلاثة أيام، اندلعت الحرب مجدداً بين أثيوبيا وإريتريا. لا كلام هذه المرة. لم يذهب ماكس وسام إلى مكتب البريد للاتصال بوالدها أو مناقشة المسألة مع كريستيانا. وضّب سام حقيبتها، وانتظرها ماكس خارجاً ريثما ترتدي ثيابها. لا خيار. سوف يحملانها إذا اضطرا لذلك. أصرّت على أنها لا تريد ترك أصدقائها. لقد وقعت في غرام هذا المكان والأشخاص الموجودين فيه. اجتمع الجميع حولها، وبكوا جميعاً حين غادرت. وافق جيف تماماً على ما فعله ماكس وسام. سوف يتخذ الآخرون قراراتهم لناحية البقاء أو المغادرة. لكنّ جيف أخبر كريستيانا بنفسه أنه عليها المغادرة. لقد خدمتهم جيداً، وأعطت الكثير من نفسها، وأحبوها جميعاً على ذلك. لكن تماماً مثل سام وماكس ووالدها، يريدها أن ترحل. ليست هذه مهنتها، إنها قطعة من قلبها وروحها قدمتها، ولا يريد الآن أن تكلفها حياتها. قبل العاملون الآخرون المجازفة كجزء من مهمتهم. لكنّ مهمة كريستيانا مختلفة. فالوقت الذي قضته معهم في أفريقيا كان هدية لهم ولها.

ودّعها الجميع والدموع في عيونهم، وقامت بجولة أخيرة على المرضى في عيادة الإيدز لتودعهم، وأخذهم جيف إلى أسمرة. حين وصلوا إلى هناك، وقفوا تحت المطر المنهمر، وتشبثت هي بجيف مثل ولد صغير. لقد حصل الكثير، وهي خائفة عليهم جميعاً. شعرت بأنها خائنة لأنها تتركهم الآن. بدأت فرق الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي تصل إلى المنطقة منذ أيام.

قال كما لو أنه يريد تذكيرها بمن تكون: "عليك الرحيل، يا صاحبة السمو، لن يغفر لنا والدك أبداً إذا حصل شيء ما". لقد مضى على وجودها هنا تسعة أشهر، ولا تزال غير مستعدة للعودة إلى المنزل، وعرفت أنها لن تصبح مستعدة أبداً. قلبها موجود هنا، وجزء من حياتها لن تنساه أبداً.

سألته فيما هبطت الطائرة: "ماذا عن الباقين منكم؟"

"سوف نرى ماذا سيحصل خلال الأيام القليلة المقبلة. لا يزال الوقت باكراً جداً لتحديد الموقف. سوف نرى ماذا يقررون في جنيف، وما يريد فعله الآخرون. لكنّ الوقت قد حان حتماً لكي تعودي أنت". في النهاية، هذا مكانهم هم وليس مكانها هي. عانقته بشدة قبل أن تغادر، وشكرته على أسعد أشهر عاشتها في حياتها. شكرته على كل ما فعلته وكل ما حصلت عليه. أخبرها أنها امرأة شابة مذهلة وتمنى لها الخير. عرف أن أحداً منهم لن ينساها، أو ينسى لباقتها الحنونة والخالية من الأنانية.

ثم صعدت هي وماكس وسام إلى الطائرة. شاهدت جيف يراقبهم فيما نظرت إلى خارج النافذة. لوّح لهم، ثم ركض عائداً إلى الباص. وبعد لحظات، أقلعت الطائرة في الرحلة اللامتناهية إلى فرانكفورت، ومن ثم إلى زيوريخ، وبعدها إلى القصر.

جلست تحدق في الفضاء لوقت طويل أثناء الرحلة، وهي تُفكّر في فيونا، وباركر، ولور قبل ذلك، وأوشي وكل الأولاد الذين علمتهم، وماري وكل النساء والأولاد في قسم الإيدز. لقد تركت وراءها العديد من الأشخاص الذين أحبتهم. والمسكينة فيونا رحلت معها، إلى الأبد في قلبها. لم تقل أي شيء لماكس وسام. جلست في جهة وهما في جهة أخرى. لقد أنجزا هذه المرة عملهما. كانا ليحملانها لو اضطرا لذلك. مع نشوب الحرب، لا مجال أبداً برأيهما، أو برأي والدها، للتفكير في مكان وجودها. حتى كريستيانا لم تعارضهما هذه المرة. عرفت أنه ليس أمامها خيار آخر.

نامت معظم الطريق إلى فرانكفورت، ثم نظرت إلى خارج النافذة بصمت. كانت تُفكّر في فيونا... ومن ثم بباركر... اتصلت به في بوسطن لحظة وصلت إلى فرانكفورت، وأخبرته بكل ما حصل، عن فيونا، ومناوشات الحدود، وبداية حرب أخرى. كان مذهولاً، فيما راحت تبكي.

"يالهي، كريكي، هل أنتِ بخير؟" لم يصدق ما أخبرته به عن فيونا. وصفت له كيف عثروا عليها، وفيما كانت تخبره راحت تبكي مجدداً. بدت منهكة تماماً.

قالت له مراراً وتكراراً، عاجزة عن وقف البكاء: "أحبك، أحبك كثيراً". لم ترَه منذ شهرين تقريباً. بدا لها الأمر مثل دهور بعد كل ما حصل.

"كريكي، أنا أحبك أيضاً. أريدك أن تعودي إلى المنزل وتهدئي. ارتاحي. وما إن تتمكني من الهروب، سوف ألتقي بك في باريس".

قالت بضعف: "حسناً". وهي تشعر كما لو أنها لم تعد تستطيع العيش يوماً واحداً من دونه. لقد مضى وقت طويل جداً، وحصل الكثير من الأشياء المريعة. بدا مصدوماً جداً مثلها هي.

قال برفق: "عودي إلى المنزل، حبيبتي، سيكون كل شيء على ما يرام"، طمأنها، متمنياً لو يستطيع وضع ذراعيه حولها. بدت وكأنها مصدومة.

قالت باكية: "لا، لن يكون كذلك، ماتت فيونا، باركر. لن يكون الأمر على ما يرام معها".

قال وهو يحاول تهدئتها، عاجزاً عن تصديق ما حصل: "أعرف". بدا مستحيلاً التصديق أن فيونا الحيوية والرائعة والحنونة قد رحلت. "أعرف. لكنّ كل شيء سيكون على ما يرام معنا. سوف أراكِ في باريس قريباً". لكنّها بكت أكثر عندما عرفت أن هذا اللقاء ربما سيكون للمرة الأخيرة. لم يعد باستطاعتها تحمل المزيد من الوداع أو الخسارة. عليها إقفال الخط معه للحاق برحلتها التالية إلى زيوريخ. وكان هو قلقاً عليها. بدت مذعورة، ومضطربة كثيراً، ومن يكون غير ذلك بعد كل ما عاشته. "هل أستطيع الاتصال بكِ في المنزل؟" سأل بحذر. أعطته الأرقام قبل أن يسافر، لكنّها طلبت منه عدم استعمالها إلا إذا اضطر لذلك. لا تريد إثارة الشكوك. لكن هذه المرة أراد باركر الاطمئنان عليها. كان قلقاً عليها فعلاً، ولسبب جيد. لم تكن يوماً غاضبة إلى هذا الحدّ في حياتها.

"لا. لا تفعل. أنا أتصل بك". قالت وهي تبدو عصبية. كل شيء مشوش في عقلها. فيونا ماتت. باركر في بوسطن إلى الأبد. أصدقاؤها في سيناف هم في منطقة حرب. وعليها الآن مواجهة والدها، في وقت لا تشعر فيه أنها

مستعدة للعودة إلى المنزل. في غضون سبع عشرة ساعة، انتقلت من جهة في العالم إلى أخرى، وشعرت وكأنها نبتة اقتلعت فجأة من جذورها في التربة الإفريقية الخصبة. لم تعد تشعر أن الليشتنشتاين موطنها. شعرت وكأنها تنتمي إلى سيناف، وقلبها في بوسطن مع باركر. كانت مرتبكة كثيراً، وفيما أقفلت الخط مع باركر، لم تستطع التوقف عن البكاء. نظرت إلى سام وماكس، وكانا حزينين بقدرها تقريباً. لقد أحبا ذلك المكان أيضاً، لكن لم يساورهما الشك أبداً في ذلك الصباح، وكان لديهما هدف واحد. عليهما إخراجها من هناك.

"أنا آسف لأننا نشعر هكذا، صاحبة السمو. لقد أدينا عملنا هذه المرة. حان وقت الرحيل".

قالت بحزن: "أعرف، ساءت الأمور كثيراً في النهاية مع فيونا، واختراق الهدنة، ومناوشات الحدود. ماذا سيحدث لكل أولئك الأشخاص إذا توجب عليهم عيش حرب جديدة؟" آلمها قلبها عند التفكير في ذلك، لأنهم أشخاص لطفاء جداً. واشتاقت إلى كل أصدقائها في المخيم كما لو أنهم إخوتها وأخواتها.

قال ماكس بصدق: "سيكون الأمر صعباً جداً عليهم إذا استمرت هذه الحرب". لقد تحدث هو وسام عن ذلك طوال الرحلة. كانت الأمم المتحدة تحاول التدخل، لكنهم لم يفلحوا في وقف الحرب هذه المرة.

أضافت كريستيانا: "أنا قلقة بشأن الأشخاص الموجودين في المخيم أيضاً".

"يعرفون متى يجدر بهم الرحيل. لقد عايشوا ذلك قبلاً". لكن لا مجال للشك أبداً في أنه توجب عليها الرحيل قبلهم. أدرك ماكس وسام تماماً أنه لو حصل لها شيء ما، فسيكون ذلك كارثة. لن يسامحهما الأمير أبداً، وهما لن يسامحا نفسيهما.

كانت هادئة في القسم الأخير من الرحلة، من فرانكفورت إلى زيوريخ. كانت حزينة جداً بحيث أصبحت خدرة. خسارة صديقتها، وغياب الرجل الذي

تحبه، وصعوبة وضعهما مهما كانا يحبان بعضهما البعض، والابتعاد عن المكان الذي أحبته خلال الأشهر التسعة الماضية؛ كان كل ذلك أكبر من قدرتها على التحمل. والآن، رغم فرحتها بلقاء والدها مجدداً، شعرت وكأنها تعود إلى السجن، لتصبح عالقة في فادوز إلى الأبد، تنفذ واجبها تجاه والدها وبلدها، تضحي بنفسها أكثر من أي وقت مضى. شعرت كما لو أنها تعاقب لأنها ولدت من سلالة ملكية. لقد أصبح ذلك عبئاً لا يحتمل، وكان كذلك على الدوام. شعرت أنها ممزقة بين ما تعلمته بأنها تدين لأجدادها وبلدها وعائلتها، وبين ما يتوق إليه قلبها، أي باركر، الرجل الوحيد الذي أحبته في حياتها.

هبطت الطائرة في زيوريخ وكان والدها ينتظرها في المطار. وضع ذراعيه حولها وتلألأت الدموع في عينيه. كان قلقاً جداً عليها خلال هذه الساعات الأخيرة. لم يكن ليتحمل الأمر لو فقدها. بدا ممتناً لأن ماكس وسام أخرجاها قبل أن يحصل شيء مريع. فتقارير الأخبار التي كان يتابعها عن كثب أصبحت أسوأ منذ أن غادروا أسمرة.

نظرت إليه، وابتسمت، ولاحظ فوراً أنها أصبحت إنسانة مختلفة. أصبحت امرأة، ولم تعد فتاة. لقد أحبت، وعاشت، وعملت، وكبرت. وكما حصل مع الآخرين قبلها، تغلغل جمال أفريقيا وكل ما تعلمته واكتشفته في أعماق روحها.

لوّحوا لها أثناء مرورها أمام الجمارك في زيوريخ، مثلما كانوا يفعلون دوماً. لم يلقوا حتى نظرة سريعة على جواز سفرها. ليسوا بحاجة لذلك. إنهم يعرفون من تكون وابتسموا لها. نظرت هذه المرة إليهم ولم تبتسم. لا تستطيع.

صعدت في سيارة الرولز قرب والدها، مع سائقه المعتاد، والحارس في المقعد قرب السائق. كان ماكس وسام يلحقان بها في سيارة أخرى، مع حارسين آخرين سعدا بلقائهما. لم يكونا تعيسين بقدر كريستيانا. كانت وظيفة بالنسبة إليهما، رغم أنهما أحباها أيضاً، وحزنا أيضاً للعودة. لقد أصبح عالمهما القديم الاعتيادي فجأة مختلفاً بالنسبة إليهما، تماماً كما مع كريكي.

تفوهت كريكي بالقليل أثناء الرحلة إلى الليشتنشتاين. أمسكت بيد والدها بصمت ونظرت إلىخارج النافذة. إنه فصل الخريف والطقس جميل. لكنّها تشتاق إلى سيناف. لقد عرف كل ما حصل، أو ظنت هي ذلك. عرف قصة فيونا، وكيف عثرت عليها كريستيانا. ظنّ أن ما يراه هو صدمتها العميقة بسبب ذلك. لم تكن لديه فكرة أنه يراها تعيسة بسبب خسارة باركر أيضاً. حتى لو لم تخسره تماماً بعد، عرفت أن هذا سيحصل. وحتى لو التقيا في باريس، لا مجال أبداً لأن يستمرا في فعل ذلك، من دون إحداث فضيحة، كما مع فريدي، ولن تفعل هي ذلك بوالدها. لا تستطيع. إنها تدين له بأكثر من ذلك.

"اشتقت إليك بابا". قالت فيما التفتت للنظر إليه. كان ينظر إليها بحنان بحيث عرفت مجدداً أنها لن تحطم قلبه بخيانة كل شيء ولدت لأجله. لذا، كانت تقدم قلبها هي وقلب باركر أيضاً أضحية لذلك، قلبان في واحد. إنه ثمن باهظ جداً مقابل الواجب.

قال والدها بهدوء: "أنا أيضاً اشتقت إليك". أمسكت بيده، وحين وصلا إلى فادوز، شاهدت القصر المألوف الذي ترعرعت فيه. لكنّها لم تعد تشعر أنها تعود إلى المنزل. باركر هو المنزل. سيناف هي المنزل. الأشخاص الذين أحبتهم هناك هم المنزل. لقد أصبح الأشخاص في الحياة التي ولدت لأجلها غرباء بالنسبة إليها خلال الأشهر التسعة الأخيرة. لقد أصبحت امرأة مختلفة تماماً. وحتى والدها عرف ذلك.

خرجت من السيارة بهدوء. كان الخدم الذين ترعرعت معهم في انتظارها. وثب تشارلز عليها، ووضع مخالبه عليها ولعق وجهها، فابتسمت. ثم شاهدت فريدي، وهو يلوّح لها من بعيد. لقد جاء من فيينا خصيصاً لرؤيتها. وفي أعماق قلبها، لم تشعر بأي شيء. لحق بها الكلب إلى الداخل، وسمعت أحدهم يغلق الباب خلفها. وضع فريدي ذراعيه حولها وقبّلها. نبح تشارلز. ابتسم لها والدها، وابتسمت هي بحزن لهم جميعاً. أرادت أن تكون سعيدة لرؤيتهم، لكنّها ليست كذلك. لقد أصبحت بين عائلة من الغرباء. كل من تحدث إليها ناداها

بلقب صاحبة السمو. وهذا هو بالضبط ما لا تريده، وما لم تكنه خلال الأشهر التسعة الماضية. لا تريد أن تكون الأميرة كريستيانا من الليشتنشتاين مجدداً. كل ما تريده هو أن تكون كريكي من سيناف.

الفصل 14

بعد أن عادت إلى المنزل، استمرت كريستيانا في متابعة أخبار الوضع في إريتريا باهتمام كبير. كانت قلقة على أصدقائها. ولم يكن الوضع جيداً. ثمة انتهاكات دائمة للحدود، وقتل العديد من الأشخاص. بدأ الإريتريون يهربون من البلاد مجدداً، مثلما فعلوا قبلاً. بدأت الحرب تتوغل ببطء، ورغم أنها كرهت الاعتراف بذلك، كان والدها محقاً في إجبارها على العودة إلى المنزل.

ما زال قلبها يؤلمها على فيونا. كانت تفكر دوماً في الضحكة التي تشاركتها معها، وكيف غضبت فيونا حين اكتشفت أن كريستيانا أميرة، وشعرت أنها مدينة لها من خلال الاحتفاظ بالسر. فكّرت في كل الأوقات الجيدة التي عرفتاها معاً، وفي ذلك الصباح المريع حين عثروا عليها، وكيف ماتت بفظاعة. أملت كريستيانا أن تكون قد ماتت بسرعة. لكن حتى لو ماتت خلال ثوانٍ، فلا بد بأنها واجهت الكثير من الذعر والرعب. يصعب عليها أن تخرج من رأسها صورة فيونا العارية، مثل دمية بالية، ووجهها في الوحل والمطر، مطعونة مراراً وتكراراً.

لقد تغيرت كريستيانا إلى الأبد في إريتريا، في نواحٍ جيدة وسيئة. أحبت كل لحظة من ذلك، والأشخاص الذين التقت بهم، وعملت وعاشت معهم، والأماكن التي رأتها. سوف يبقى ذلك منسوجاً في كيانها، وهي تشعر الآن أكثر فأكثر أنها أصبحت غريبة هنا. في سيناف، كانت على حقيقتها، أفضل حقيقة لها. في فادوز، عليها أن تكون المرأة التي قاومتها طوال حياتها. في الواقع، عليها الاستسلام تماماً للقبول بوجودها هنا. عليها الاستسلام للواجب

والتاريخ. والأسوأ من ذلك، عليها التخلي عن الرجل الذي تحبه لكي تكون المرأة التي قُدّر لها أن تكونها. لا تستطيع التفكير في مصير أسوأ. شعرت وكأنها تموت في كل يوم. أحبت والدها وشقيقها، لكنّ العودة إلى فادوز جعلتها تشعر وكأنه قد حكم عليها بالسجن المؤبد. توجب عليها إجبار نفسها للنهوض من السرير كل يوم وفعل ما هو مطلوب منها. كانت تفعل ذلك بفعل الانضباط الذاتي، لكنّها شعرت وكأن جزءاً منها يموت كل يوم. لم يلاحظ أحد الأمر، لكنّها عرفت ذلك. كانت تذبل من الداخل.

كانت تتواصل مع باركر كل يوم بواسطة البريد الالكتروني. اتصلت به في بوسطن مرات عدة بعد عودتها، لكنّه كان يخشى الاتصال بها. لم تشأ كريستيانا أن يعرف أحد بوجوده، لا أحد، وخصوصاً ألا يرى والدها، وشقيقها، والأمن اسمه على رسالة في مكان ما. البريد الالكتروني هو وسيلة الاتصال الوحيدة الآمنة. ورغم ذلك، لم تكن تحلم بالمستقبل معه. لا يوجد أي مستقبل. وسيكون تضليله الآن، أو حتى الأمل، قاسياً جداً. ليس لديهما أمل، وإنما يمتلكان فقط ذكريات من العصر الذهبي، والحب الذي يتشاركانه.

أحبت الرسائل التي تبادلاها، وضحكاتهما، حتى ولو عبر الشاشة فقط. أخبرها كيف يجري عمله، وأخبرته عن أيامها. في معظم الأوقات، كانت تخبره عن شعورها. كانت مغرمة به أكثر فأكثر، وكذلك هو.

حضرت الكثير من المناسبات الرسمية مع والدها، وعشاءين في فيينا. ثم ذهبوا إلى حفلة كبيرة في مونتي كارلو، يقيمها الأمير ألبير. إنها حفلة الصليب الأحمر، والتي تعني لها الكثير، رغم أنها لم تكن لديها رغبة حقيقية في حضور الحفلة. لقد عادت إلى أصلها مجدداً، تنفذ الواجبات مكرهة، وتحل ضيفة على والدها في فادوز وفيينا، وتتأبط دوماً ذراعه كلما خرجا معاً.

كان فريدي يعيش في قصر الليشتنشتاين في فيينا، ويجول في كل أوروبا. سافر في اليخت مع أصدقائه، وأمضى أسبوعاً في سان تروبيز خلال سبتمبر. وكما هي الحال دوماً، لاحقه الباباراتزي، على أمل إثارة فضيحة ما.

في الآونة الأخيرة، أصبح يتصرف أفضل من المعتاد، لكنّ الصحافة عرفت، تماماً مثل كريستيانا ووالدها، أن هذه مسألة وقت مع فريدي قبل أن يعود إلى عاداته مجدداً ويقدم أخباره على طبق من فضة إلى الصحافة. لقد زار فيكتوريا في لندن مرات عدة، التي خطبت مجدداً، لنجم روك هذه المرة، والذي أجرت كرمى له وشماً كبيراً على شكل قلب على صدرها وصبغت شعرها بالأخضر. أحب فريدي الخروج معها. كانت تتحرك في عالم متسارع يلائمه. وبين الحين الآخر، حين لا يكون لديه شيء للقيام به، كان يأتي لزيارة فادوز.

ثارت أعصابه حين رأى كيف أصبحت كريستيانا ناضجة، وكم كانت مصممة على إرضاء والدها. زارت المرضى في المستشفيات ودور الأيتام باستمرار، وذهبت لزيارة الأشخاص المسنين في دور العجزة، وألقت الخطابات في المكتبات، وخضعت باستمرار لجلسات تصوير. كانت تفعل تماماً ما يفترض بها فعله، من دون أي تذمر. لكن حين نظر إلى عينيها في إحدى زياراته إلى المنزل، شاهد شيئاً فيهما جعل قلبه يتألم. حتى فريدي استطاع ملاحظة الثمن الذي تدفعه للحياة التي تعيشها.

"أنت بحاجة إلى المزيد من المتعة". قال لها في صباح أحد الأيام أثناء الفطور، في يوم مشمس رائع في فادوز قرابة نهاية سبتمبر. "ستصبحين سيدة عجوز قبل وقتك، حبي". أصبح عمرها أربعة وعشرين عاماً هذا الصيف، فيما هو على وشك بلوغ الرابعة والثلاثين، من دون أي دليل على نضجه أو استقراره.

سألته كريستيانا بطريقة عملية: "ماذا تقترح؟"

"لمَ لا تذهبين إلى جنوب فرنسا لقضاء أسبوعين؟ سباق المراكب الشراعية في الأسبوع المقبل. استأجرت فيكتوريا منزلاً في راماتويل، وأنت تعرفين كم حفلاتها ممتعة". هذا كل ما استطاع التفكير به. ولا شك في أن الأمر سيكون ممتعاً. لكن بعد ذلك، ماذا؟ العودة إلى فادوز مجدداً، والمزيد من عبء الواجبات المؤلمة. أصيبت كريستيانا بالاكتئاب نتيجة ذلك فور عودتها

إلى المنزل، ولم تنفعها اقتراحات فريدي الطيبة النية وإنما السطحية. في الواقع، لا يوجد حل حقيقي للمشكلة، سوى الاستسلام. ولإضافة الوقود إلى نار يأسها ووحدتها، تم إجبارها على التخلي عن الحب، بموافقتها هي.

"أشعر وكأنني ملزمة بالتواجد هنا لمساعدة بابا. لقد غبت فترة طويلة". واستمتع هو برفقتها كثيراً. كان يقول ذلك كل يوم.

قال فريدي وهو يمدد ساقيه الطويلتين أمامه: "يستطيع والدي تدبر أموره لوحده من دونك". إنه شاب وسيم جداً، وتقع النساء بين يديه مثل العنب المتساقط من الكرمة. ضحك فريدي: "إنه يتدبر أموره من دوني". وتنهدت أخته. لقد تخلت عن الكثير للعودة إلى المنزل واستلام واجباتها مجدداً. تساءلت متى سيفعل هو الشيء نفسه، إذا فعل. ومعظم الأعباء الملقاة على عاتقها، والتي تبعدها عن باركر، هي لأن شقيقها لا يتحمل أي عبء على الإطلاق. ومن الصعب عدم لومه على ذلك.

"متى ستكبر؟" سألته تحديداً. حتى هي تعبت من قلة مسؤوليته ومرحه الدائم. هذا مضجر في عمرهما، رغم أنها سامحته قبلاً. لكنّ أسلوب عيشه لم يعد يبدو ساحراً لها مثلما كان قبلاً. إنها تتحمل مسؤولياته ومسؤولياتها.

قال بصدق: "ربما أبداً. أو ليس قبل أن أجبر على ذلك، لمَ يجدر بي النضوج؟ لن أصبح الأمير الحاكم قبل سنوات. سوف أكبر حين أصبح كذلك". لم تقل له شيئاً، لكنّها أرادت أن تقول له إن الوقت يكون قد فات كثيراً حينها. لقد طوّر عادات سيئة على مرّ السنوات وهو منغمس كثيراً في الملذات الشخصية. على النقيض من أخته المسؤولة كثيراً. ورغبتها في التواجد هنا لأجل والدها هي التي أتاحت لفريدي أن يكون ما هو عليه، وليس مايجب عليه أن يكون.

قالت بصرامة: "يمكنك مساعدة والدي أكثر من ذلك، لديه عبء كبير، وهو قلق دوماً بشأن اقتصاد البلاد، ويواجه المسائل الاقتصادية والإنسانية، ويرتب المعاهدات التجارية مع الدول الأخرى. سوف تصبح الحياة أسهل عليه

لو اهتممت أنت في بعض ذلك". حاولت تشجيعه، لكن كما حصل طوال حياته، لم يفعل فريدي شيئاً. إنه يلعب فقط.

قال وهو يبدو منزعجاً قليلاً منها: "أصبحت جادة كثيراً أثناء غيابك". لا يحب أن يذكره أحد بواجباته، أو أن يطلب منه العمل. لقد توقف والده عن فعل ذلك، ونادراً ما يفعل ذلك الآن. إنه يعتمد أكثر فأكثر على كريستيانا، ولا يحب فريدي أن يلقى توبيخاً من أخته الصغيرة، خصوصاً إذا كانت محقة. قال فريدي، مع ارتعاش في صوته: "أجد ذلك مضجراً جداً".

قالت وهي تبدو أكبر من عمرها الحقيقي: "ربما الحياة الحقيقية مضجرة، لا أظن أن الناضجين يستمتعون كثيراً كل يوم، على الأقل ليس في وضعنا الحالي. لدينا مسؤولية تجاه الوالد والبلاد، أن نكون مثالاً للأشخاص، وفعل ما هو متوقع منا، سواء أحببنا ذلك أم لا، أو أردنا ذلك أم لا. هل تذكر؟ الشرف، والشجاعة، والرفاهة".

هذا هو قانون العائلة الذي عاشوا وفقه، أو يفترض بهم ذلك. والده وكريستيانا ملتزمان به. لكنّه لا يعني الكثير لفريدي، أو بالأحرى لا شيء على الإطلاق. شرفه موضع تساؤل. وليس شجاعاً في أي شيء. والرفاهة الوحيدة التي اهتم بها لغاية الآن هي رفاهته الشخصية.

سألها بغضب: "متى أصبحت تقية هكذا؟ ماذا فعلوا بك في أفريقيا؟" أدرك في الأسابيع الأخيرة أنها تغيرت. لم تعد الفتاة الصغيرة التي كانت حين غادرت. إنها الآن امرأة، بكل ما للكلمة من معنى. وحين نظر إلى عينيها، بدت متألمة.

قالت بهدوء: "تعلمت الكثير من الأشياء، من بعض الأشخاص الرائعين". أولئك الذين عملت معهم وكذلك الذين ذهبت لمساعدتهم. لقد أغرمت في الفتنتين معاً، وفي رجل تحبه كثيراً، وتخلت عنه لأجل والدها وبلدها. شاهدت صديقتها تموت، والبلاد تشتعل في حرب. شاهدت الكثير خلال الأشهر التسعة التي غابت فيها، وعادت إنسانة مختلفة. استطاع فريدي ملاحظة ذلك، ولم يكن

واثقاً من أنه أحبه. بدأ يجد إحساسها المتزايد بالمسؤولية مزعجاً ومؤلماً.

قال مع نبرة قاسية في صوته: "أظن أنك أصبحت مضجرة قليلاً، أختي العزيزة، تحتاجين ربما إلى المزيد من المتعة، وقضاء وقت أقل في كبح متعتي". كانت هناك مرارة في جوابه، فيما وقف وتمدد بكسل. "سوف أعود إلى فيينا اليوم، وأطير بعدها إلى لندن لرؤية الأصدقاء". إنه مرح لامتناه معه، من حفلة تسلية إلى أخرى. تساءلت كيف يستطيع تحمل ذلك. إنها حياة فارغة جداً. كم حفلة يستطيع الشخص حضورها؟ وكم نجمة وعارضة يستطيع مطاردتها؟ فيما الباقون ينجزون كل العمل.

غادر في ذلك الصباح بعدما ودعها، وكان هناك اضطراب بينهما. لم يحب انتقادها له أو تذكيره بواجباته. ولم تحب هي رؤيته يبدد حياته باستمرار. كانت لا تزال منزعجة من ذلك، حين تلقت بريداً إلكترونياً من باركر في ذلك الصباح. كان يقترح عليها اللقاء في باريس.

حاولت أولاً قول لا له، رغم أنها وعدته بأن تفعل ذلك يوماً ما. فالسلبية في ذلك هي أنهما سيصبحان متعلقين أكثر فأكثر ببعضهما، ويقعان أكثر في الغرام، ويعانيان أكثر وأكثر حين يتوجب عليهما ترك بعضهما. وكم مرة تستطيع فعل ذلك؟ في مرحلة ما، سيتعرف إليها أحدهم، ويأتي البابارانزي، وتسبب فضيحة كبيرة مثل فريدي، أو ربما أسوأ لأنها امرأة، ومواقف بلدها تجاه النساء قديمة جداً، وربما الأقدم في أوروبا. ترددت لبضع دقائق بعدما قرأت بريده الإلكتروني، ثم رفعت الهاتف للاتصال به. كانت ستقول له لا. لكن ما إن سمعت صوته، حتى ذاب قلبها.

قال برفق: "مرحبا كريكي، كيف حالك؟" تنهدت، وهي تحاول أن تعرف كيف يجدر بها إجابته، وقررت أن تكون صادقة.

"الوضع صعب جداً. تناولت للتو الفطور مع شقيقي. بعض الأشياء لا تتغير، أو ليس كثيراً. كل ما يفعله هو اللهو، والحفلات، والتسلية، والاستمتاع فيما يعمل والدي مثل الكلب، وأنا أفعل كل ما بوسعي لمساعدته. هذا ليس

عادلاً. لا يمتلك أي حس بالمسؤولية على الإطلاق. إنه في الرابعة والثلاثين، ويتصرف كما لو أنه في الثامنة عشرة. أحبه، لكنني أتعب أحياناً من تفاهته".

وعرفت أن هذه حال والدها أيضاً. يفرض ذلك الكثير من الأعباء على كتفيها وكتفيه هو أيضاً. شعرت أنها مجبرة على التعويض بكل طريقة ممكنة، وبدأت تستاء منه بسبب ذلك. لم تشعر أبداً بهذه الطريقة قبل سيناف. لكنّها لم تكن واقعة في غرام باركر حينها. قبل أن تغادر، بدا لها شقيقها مثل رجل وسيم يسليها معظم الوقت. الآن، وبعد أن تخلت عن الكثير، أصبح الأمر أقل تسلية.

رأى باركر أنها تبدو متعبة وحزينة.

سألها وهو يبدو متفائلاً: "ما رأيك في باريس؟"

قالت بصدق: "لا أعرف، أود ذلك، لكنني أخشى أننا نؤجل فقط المأساة". لم تضف كلمة "الانفصال" التي كانت تراها واضحة. لا يوجد أي حل آخر. في مرحلة ما، سوف تحاول التكلم مع والدها، لكنّها لا تمتلك أي أمل تقريباً. فنظراً للمنطلق الذي يرى والدها من خلاله الأمور، لا يعتبر الشخص العادي من بوسطن، حتى لو كان طبيباً مرموقاً، زوجاً يوافق عليه. ليس أميراً، ولا حتى من أصل ملكي. إن وجود كريستيانا معه يتحدى كل معتقدات والدها وآماله منها. لا يهتم لعدد الأمراء والأميرات في الدول الأخرى الذين يتزوجون أشخاصاً عاديين هذه الأيام. لا ينوي أبداً تغيير آرائه أو مبادئه. وفي الوقت الحاضر، لا يعرف أن كريستيانا واقعة في الغرام. وحين يعرف، تدرك تماماً كيف سيتصرف. في النهاية، سيطلب منها التخلي عنه، وهي مجبرة على ذلك. في موقعها، لا يمكنها تحدي تيارات آلاف السنوات من التقاليد، أو أمنيات المرحومة أمها. التيارات قوية جداً، ويتوجب في النهاية على الحب الذي تتشاركه مع باركر أن يموت. وإدراك ذلك مجدداً يجعل قلبها يتألم كل مرة. ومحاولة شرح ذلك له أسوأ طبعاً.

"أحاول فقط إبقاء المريض حياً إلى أن نعثر على علاج شافٍ للمرض". قال وهو لا يزال يحتفظ بآماله وأحلامه وحبه لها. لا يريد الاستسلام، ليس

الآن على الأقل، وربما أبداً.

قالت بنعومة، وهي تتوق لرؤيته: "لا يوجد علاج شافٍ، حبي". إنها في الرابعة والعشرين، وواقعة في غرام رجل رائع. يصعب أن تشرح حتى لنفسها لمَ يجدر بها التخلي عن ذلك، من أجل بلد وسلسلة من التقاليد القديمة، أو حتى من أجل والدها، أو لأن شقيقها غير ملائم للعرش. شعرت بأنها ممزقة في ألف اتجاه.

قال برفق: "دعينا نلتقي في باريس، لا يجدر بنا حل كل المشاكل الآن. أنا مشتاق إليك، كريكي. أريد رؤيتك".

قالت بحزن: "أنا أيضاً أريد رؤيتك، أتمنى لو نستطيع الذهاب إلى ماساوا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع". ابتسمت وهي تتذكر عطلتهما هناك. استمتعا كثيراً. كانت أيامهما في أفريقيا أسهل كثيراً من الآن.

"لست أكيداً من أن المكان ملائم في الوقت الحاضر. كنت أقرأ الأخبار في الانترنت. أصبحت حرب الحدود أسوأ". أراد الإثيوبيون الاستيلاء على مرافئ إريتريا. لطالما أرادوا ذلك، ولم يقبلوا أبداً بشروط الهدنة كلها. "أظن أنك خرجت في الوقت الصحيح". رغم أنها كانت تكره العودة إلى المنزل، لم تستطع المعارضة. كان ذلك قراراً حكيماً.

"هل سمعت أخباراً عن أحد في المخيم؟" لم تسمع أي خبر منذ أسابيع، منذ أن تلقت رسالة من ماري والكر، وبطاقة من أوشي. لم تتحدث كل منهما كثيراً، وقالتا فقط إنهما تشتاقان إليها. إنهما تنتظران بحذر رؤية ما سيحصل، وتتوقعان الأوامر من جنيف. في غضون ذلك، تتوخيان الحذر.

"تلقيت بطاقة من جيف. لم يقل فيها الكثير. لا أظن أنهم يعرفون أي شيء بعد. لكن إذا حصلت حرب حقيقية هناك، سوف يصبح الأمر فوضوياً. ربما يجدر بهم الهروب، وإلا سيعرّضون أنفسهم لمخاطر حقيقية إذا بقوا. قد ينضمون إلى قوات الأمم المتحدة على الحدود، لكنّ هذا سيجعلهم على خط النار. وإذا فعلوا ذلك، فربما يغلقون القاعدة في سيناف". مجرد التفكير في ذلك

جعل كريستيانا حزينة. كانت سعيدة جداً هناك. وشعرت بحزن أكبر على الإريتريين الذين أحبتهم كثيراً. إن نشوب حرب جديدة مع أثيوبيا سيكون أمراً مريعاً بالنسبة إليهم. بالكاد تعافوا من الحرب الأولى. "فلنعد إلى موضوعنا"، أمرها باركر. عليه العودة إلى العمل. "باريس، أنت، أنا، نحن... عشاء... المشي لوحدنا على ضفاف السين، ونحن نمسك بأيدي بعضنا. قبلات... ممارسة الحب... هل يبدو أي من ذلك مألوفاً بالنسبة إليك؟" ضحكت. يبدو عرضاً لا يقاوم، وليس فقط مثيراً. والأهم من ذلك أنه مع الرجل الذي تحبه.

سألت مع ابتسامة في صوتها: "ومن يستطيع المقاومة؟"

"أتمنى ألا تفعلي. متى يمكنك الذهاب؟ كيف يبدو جدول مواعيدك؟"

"عليّ الذهاب إلى زفاف مع والدي في أمستردام في عطلة نهاية الأسبوع. سوف تتزوج قريبة ملكة هولندا، ووالدي هو عرابها. لكنني أظن أنني حرة في العطلة التي بعدها". قالت بطريقة عملية، وكان هو يضحك عليها.

"أنت المرأة الوحيدة التي أعرفها، أو الموجودة أصلاً حسب اعتقادي، التي تمتلئ مفكرة مواعيدها الاجتماعية بأسماء الملوك، والملكات، والأمراء. يمتلك الأشخاص الآخرون بطاقات لحضور مباريات البايسبول، أو الذهاب إلى دار العبادة. أما أنتِ حبي فأجدك فعلاً أميرتي الساحرة".

"هذه هي المشكلة بالتحديد". وتجده هي أميرها الساحر.

"حسناً. أقبل تماماً التنازل لصالح ملكة هولندا. ماذا عن الأسبوع التالي؟" قلّبت بسرعة مفكرة مواعيدها الاجتماعية وأومأت برأسها.

"أستطيع فعل ذلك". إنها حرّة، ثم توقفت وشعرت بالقلق. "لا أعرف ماذا سأقول لوالدي".

"قولي له إنك بحاجة للتسوق. هذا عذر جيد على الدوام". إنه كذلك، لكنّها خشيت من أن يعرض عليها والدها الذهاب معها. إنه يحب اصطحابها إلى باريس. ثم تذكرت فجأة، وأشرق وجهها بالسعادة. يمكنها فعل ذلك.

"تذكرت للتو. سوف يذهب إلى سباق لليخوت في انكلترا في ذلك الأسبوع، في كاوز. سيكون مشغولاً". تأثر باركر كم هي مخلصة، لكنّه انزعج في الوقت نفسه.

سأل وهو يبدو متفائلاً: "اتفقنا إذاً؟"

ضحكت وبدت المرأة الشابة والحرة مجدداً، للمرة الأولى منذ أن عادت إلى المنزل. "اتفقنا، حبي". شعرت وكأنها قد حصلت للتو على جائزة كبيرة. ثلاثة أيام معه في باريس. وبعد ذلك، ستعيش مع كل الأعباء التي لديها. ثلاثة أيام إضافية معه. هذا مثل الدم المانح للحياة بالنسبة إليها. فرؤيته هي مثل الهواء الذي تحتاجه للتنفس.

أعدّا الخطط. وطلبت من سكرتيرتها أن تحجز لها غرفة في الريتز. سوف يفعل هو الشيء نفسه. لا يستطيعان المجازفة بمشاركة الغرفة نفسها، في حال أفشى أحدهم الخبر في الفندق. يمكنهما ترك غرفته، أو غرفتها، فارغة، لكن عليهما حجز غرفتين منفصلتين. شعرت بالامتنان لأنه يمتلك المال لفعل ذلك، ويرغب فعلاً في ذلك.

طلبت من رئيس الأمن تعيين ماكس وصاموئيل لمرافقتها. عرفت أنهما سيكونان كتومين وسيتركانها لوحدها. سيكون مثل اجتماع لهم بعد سيناف. بالكاد تستطيع الانتظار.

نفذت واجباتها الرسمية بعد ظهر ذلك اليوم بحماس جديد. كانت لطيفة أكثر من أي وقت مضى مع الأولاد، وصبورة أكثر من أي وقت مضى مع الكبار في السن، ولطيفة أكثر من أي وقت مضى مع الأشخاص الذين صافحوها أو قدّموا لها الأزهار أو عانقوها. وحين خرجت لتناول العشاء الرسمي مع والدها في تلك الليلة، حتى هو لاحظ كم كانت سعيدة، وشعر بالارتياح لذلك. كان قلقاً بشأنها. فلقد بدت غير سعيدة البتة منذ أن عادت إلى المنزل، أو حتى قبل أن تغادره. بدأ يندم لأنه سمح لها أصلاً بالذهاب، إذا كان ذلك وراء تفاقم المشكلة بدل معالجتها. بدت لامتناهية في اللطافة مع الأشخاص

الذين تحدثت إليهم في تلك الليلة، ولبقة، وصبورة، وذكية. كانت الابنة التي لطالما عرفها. لكن ما لم يعرفه أبداً أن كل ما استطاعت التفكير به الآن، هو باركر ورؤيته مجدداً. سوف تعيش ثلاثة أيام معه في باريس، وكانت مستعدة للمشي على الجمر للوصول إلى هناك. باركر هو الشيء الوحيد الذي يحفزها في الوقت الحاضر، والقوة التي تعطيها الدعم، والجوهر العميق لحبهما.

الفصل 15

رافق ماكس وصاموئيل كريستيانا في السيارة إلى المطار في زيوريخ، ومازحاها بشأن المهمة الصعبة المفروضة عليهما. إنهما يحبان السفر معها، ويستمتعان في باريس، ويشكل ذلك تغييراً جميلاً للروتين الذي يعيشانه أيضاً. بدوا مثل الفرسان الثلاثة وهم على الطريق مجدداً، حتى ولو لفترة غير طويلة. لا يعرفان أبداً أنها ستلتقي بباركر في باريس. لم تقل أي شيء لهما. لا تريد أن يعرف أحد، ولا حتى هما. لا تريد أية أخطاء. ليست هذه عطلة نهاية أسبوع في كوهايتو، بعيداً عن عيني والدها. المكان قريب جداً من المنزل، وعرفت أن غلطة واحدة ستجعل الصحافة تحضر خلال دقيقة. يتوجب عليها هي وباركر توخي الحذر والحفاظ على التكتم.

وصلوا إلى مطار شارل ديغول في باريس، وتمت مرافقتهم من قبل أمن المطار إلى نقطة الجمارك، كما هي الحال دوماً. ثمة سيارة مع سائقها في انتظارها، وصعد ماكس وسام معها. لا يناديانها هنا كريكي، وإنما يتوجهان إليها باحترام بالقول "صاحبة السمو" وذلك منذ عودتهم إلى المنزل. بدا غريباً سماع ذلك منهما الآن، لكنّها قبلت ذلك.

رافقها أحد مدراء الريتز حين وصلت، وتم اصطحابها إلى جناح جميل يطلّ على ساحة الفاندوم. وقفت من دون صبر، تنظر إلى جمال الساحة. رتبت بعض الأغراض، وطلبت الشاي، وذرعت الغرفة ذهاباً وإياباً بعصبية، ثم، وكما في الأفلام، طرق أحدهم بابها. فتحته، ووجدته أمامها، جميلاً أكثر من أي وقت مضى. باركر، في السترة والسروال الرسمي، وقميص زرقاء

مفتوحة عند العنق. وقبل أن تتمكن من النظر إليه جيداً، أصبحت بين ذراعيه. قبّلا بعضهما بشغف كبير بحيث نفد الهواء تقريباً منهما. لم تشعر يوماً بهذه السعادة لرؤية أي كان في حياتها. لم يريا بعضهما منذ شهرين تقريباً. إنه آخر سبتمبر، وغادر هو في بداية أغسطس. شعرت كما لو أنها شخص يغرق ويحتاج إلى الهواء. عجزت عن الكلام بسبب الفرح، فيما أبعدها قليلاً عنه للنظر إليها.

قال وهو سعيد جداً أيضاً: "ياإلهي، تبدين جميلة جداً". كان معتاداً على رؤيتها مثلما كانت في سيناف، بشعرها المربوط في جديلة، وهي ترتدي السروال القصير وتنتعل الجزمة، من دون ماكياج أو أناقة. الآن، ها هي ترتدي فستاناً صوفياً باللون الأزرق الشاحب تماماً مثل لون عينيها، وتضع اللآلئ حول عنقها وفي أذنيها. حتى أنها تنتعل الكعب العالي، مثلما أشارت له. ولا يجدر بهما القلق بشأن الأفاعي، مثلما مازحها.

كان كل شيء في رؤية بعضهما البعض مثالياً. خططت للقيام بنزهة معه، أو للتوقف في قهوة صغيرة عند الضفة اليسرى. وخطرت له الفكرة نفسها، لكنهما أصبحا بدل ذلك في السرير، ملتصقين بذراعي بعضهما البعض خلال دقائق معدودة. كانا مثل شخصين يتضوران جوعاً، ويحتاجان إلى الغذاء قبل التمكن من فعل أي شيء آخر. وقد ازداد حبهما لبعضهما خلال الشهرين اللذين لم يريا فيهما بعضهما البعض.

استلقيا بعد ذلك مرتاحين على الشراشف المكوية لسريرها في الريتز، ينظران إلى التفاصيل الرائعة في السقف، ومن ثم في عيني بعضهما البعض. لم تستطع التوقف عن تقبيله، ولم يستطع هو منع نفسه عن الإمساك بها بقربه. كان الوقت في أواخر بعد الظهر حين نهضا أخيراً، وتشاركا حماماً في المغطس العملاق لجناحها. إن تواجدهما مع بعضهما البعض كان أشبه بعقار أصبحا مدمنين عليه، ولا يستطيعان الآن العيش من دونه.

خرجا أخيراً من الغرفة، وتنزها أولاً حول ساحة الفاندوم، ومن ثم حول

الضفة اليسرى. أصيب سام وماكس بالذهول والسرور حين شاهداه، وأدركا حينها مغزى عطلة نهاية الأسبوع. بقيا على مسافة بعيدة عنهما، ولحقا بالعاشقين الشابين فيما مشيا وتحدثا لساعات. بدا وكأنهما لم يبتعدا أبداً عن بعضهما. تحدثا عن المواضيع نفسها التي اعتادا عليها، وأخبرها هو عن مشروع بحثه، فيما أخبرته هي عما تقوم به في فادوز. تحدثا عن وقتهما في سيناف، والأشخاص الذين أحباهم هناك، ومخاوفهما على أهل إريتريا المرحين والخيرين. لم يذكر أي منهما فيونا لأن الأمر حزين جداً. هذا الوقت مخصص لكي يكون وقتاً سعيداً لهما، وكان كذلك.

تناولا القهوة في الدو ماغو، وتحدثا حول المزيد من المواضيع، ثم عبرا الشارع وصولاً إلى كنيسة سان جرمين دي بري، فأضاءا الشموع وتعبدا. أشعلت كريستيانا شموعها على نية أهل إريتريا وسيناف، وفيونا، وأشعلت شمعة لهما أيضاً، متمنية أن يتمكنا بطريقة ما من العثور على حل لمشكلتهما، بحيث يحصل أمر عجيب لوالدها، ويسمح لهما بالمضي في حبهما. عرفت أن الأمر بحاجة إلى أعجوبة لكي يحصل. شعرت بالارتياح لمعرفة أن باركر كاثوليكي أيضاً، لأن هذا كان سيشكل عائقاً كبيراً أمام والدها، وكبيراً جداً، وربما عائقاً لا يمكن تجاوزه البتة. هناك على الأقل عائق لا يجدر بهما التغلب عليه. هناك الكثير من العوائق الأخرى الواجب القلق بشأنها، ولحسن الحظ أن الدين ليس واحداً منها. فعرش الليشتنشتاين كاثوليكي منذ القرن السادس عشر، وكان والدها تقياً جداً في الإيمان.

عادا بعد ذلك إلى الفندق، وتوجب عليهما تأخير العشاء حين مارسا الحب مجدداً. كانت الساعة التاسعة والنصف حين ارتدت كريستيانا بذلة بيضاء وكنزة اشترتهما السنة الماضية من ديور. بدت مثل ملاك صغير، فيما غادرت الفندق مجدداً متأبطة ذراعه. كان ماكس وسام ينتظران خارجاً مع السيارة.

توجها في السيارة حتى عثرا على مطعم صغير، وجلسا هناك لساعات

يتحدثان. كانا لا يملان أبداً من اهتمامهما ببعضهما البعض، وشغفهما في مشاريع بعضهما، واهتمامهما برفاهة بعضهما. إنه تبادل دائم من المعلومات بينهما، وكذلك الضحك، والنكات، والمواضيع التي تسحرهما معاً. كانت تحب خصوصاً سماع أخباره عن مشروعه في الإيدز، إذ أصبحت مطلعة على ذلك في سيناف، وقد أصبح الموضوع الآن عزيزاً على قلبها، تماماً مثله هو، وكل شيء يهمه.

"وماذا عنك حبيبتي؟ كيف تجري عملية قص الأشرطة؟" توصلا معاً إلى هذه التسمية بعد أن شرحت له ما تعنيه المسألة.

"أنجز الكثير منها هذه الأيام. إنها تجعل والدي سعيداً، وكذلك الأشخاص الذين أقوم بذلك لأجلهم. يشعرون بالأهمية إذا افتتحت مبنى لهم، أو أي شيء يريدونه". كان غريباً حتى بالنسبة إليها أن تدرك أن الأمر يحدث فرقاً بالنسبة إليهم، وأن حضورها لقص شريط، أو قول بضع كلمات، أو مصافحة يد، أو لمس رأس برقة، يمكن أن يجعلهم يشعرون وكأنهم يتشاركون في سحرها ولباقتها لدقيقة، ويصبحون بالتالي مختلفين نوعاً ما. إنه أمر أخبرته عنه مطولاً في البريد الالكتروني، عن غرابة أن تكون شخصاً محط الإعجاب والتقدير، من دون أن يتعرفوا إليها فعلاً، أو يعرفوا ما إذا كانت تستحق فعلاً الاحترام والإعجاب اللذين يكنّونهما لها، لمجرد اللقب الذي ولد معها. بدا الأمر سحرياً بالنسبة إليه أيضاً، الأميرة الخرافية التي تبارك الأشخاص بعصاها السحرية وتنشر السعادة من حولهم. ضحكت حين قال لها ذلك، متمنية لو أنها تستطيع فعل شيء مماثل لها ولباركر. لكنّ الحياة فعلت ذلك في العديد من النواحي. فرؤيته مجدداً كانت نعمة كبيرة يتشاركانها هما الاثنان. وتشارك هذه النعمة أعطاهما المزيد لمشاركته مع الآخرين. ففي دفء حب باركر، شعرت كريستيانا أنها تستطيع فعل أي شيء، وقال هو إنه يشعر بالطريقة نفسها حيالها. المشكلة الوحيدة التي يواجهانها، وهي مشكلة ضخمة، كانت أنهما يعيشان لحظات مسروقة.

تلك الليلة ناما في ذراعي بعضهما، مثل ولدين نائمين، بعدما مارسا الحب مجدداً. لم يستطيعا الشبع من بعضهما، لأن عطش جسميهما وروحيهما لبعضهما البعض كان كبيراً ولا يروى أبداً، أو على الأقل ليس لمدة طويلة. عليهما التعويض عن شهرين، وفي صباح اليوم التالي مازحته كريستيانا قائلة إنهما لا يستطيعان التعويض عن كل شيء في عطلة نهاية أسبوع واحدة.

قال باركر: "امنحيني إذاً العمر كله". وكان يبدو جدياً، فيما استلقت هي على السرير قربه.

قالت وهي تبدو حزينة مجدداً: "أتمنى لو أستطيع". كانت تكره التفكير في وضعهما الميؤوس منه. فما لم تكن راغبة في التهرب من مسؤولياتها وتحطيم قلب والدها، لا تمتلك ببساطة أي خيار. "لو كان باستطاعتي قول ذلك، لكنت لك. أنا لك في كل شيء". باستثناء شيء واحد. لا تستطيع الموافقة على الزواج به، وربما لن تتمكن من ذلك أبداً لأنها تعرف من دون شك أن والدها لن يوافق، وهي لا تريد الزواج من باركر من دون موافقته. فكسر المعتقدات والتقاليد التي تربّت عليها هو طريقة خاطئة للانطلاق. وباركر يريد الزواج منها أكثر من أي شيء آخر في الحياة. إنه مغرم بها منذ سبعة أشهر، وبدا الأمر بمثابة دهر بالنسبة له. أراد المزيد الآن، وكذلك هي. وعدا بعضهما البعض بعدم التفكير في ذلك اليوم، والاستمتاع بالوقت الذي لديهما. سوف يعود إلى بوسطن، وسوف تعود هي إلى زيوريخ ليلة الاثنين.

أمضيا يوم السبت وهما يمشيان بمحاذاة السين، ينظران إلى أكشاك الكتب، ويلعبان مع الكلاب الصغيرة في محلات الحيوانات، ويركبان في الباتو موش لمجرد الاستمتاع بذلك، ويتناولان الغداء في كافيه فلور. شعرت، وكأنهما مشيا في كل الضفة اليسرى، ودخلا إلى محلات ومعارض التحف القديمة، قبل السماح لسام وماكس بأخذهما إلى الضفة اليمنى عبر جسر ألكسندر الثالث. مرّا أمام اللوفر بكل روائعه، وتحدثا عما كان عليه شكله عندما كان قصراً. ابتسمت وقالت إن أمها كانت من آل بوربون ومتحدرة من

عائلة أورليانز. كانت صاحبة سمو ملكي، وليست صاحبة سمو، من كلتا الجهتين. شرحت لباركر أنه لكي يكون الشخص صاحب سمو ملكي، لا بد أن يكون متحدراً مباشرة من الملوك، وهذه حال أمها. أما والدها فيتحدر من أمراء، ولذلك هو صاحب سمو فقط. بالنسبة إلى باركر، غير المعتاد على كل التقاليد الملكية التي ترعرعت عليها، كان هذا أمراً صعباً، وفي الواقع، محيراً قليلاً، تماماً مثلما هي بالنسبة إليه. كانت المرة الأولى التي يشاهد فيها جواز سفرها، مع اسمها الأول فقط عليه.

"هذا فقط؟ ما من اسم شهرة؟" بدا الأمر ممتعاً بالنسبة إليه، وابتسمت هي.

"هذا فقط. كريستيانا من الليشتنشتاين. يمتلك كل المتحدرين من نسل ملكي جوازات سفر مثل هذا، من دون أي شهرة على الإطلاق. حتى ملكة انكلترا، يقول جواز سفرها إليزابيت فقط مع حرف R خلفه لأنها الملكة".

قالت معتذرة مع ابتسامة حزينة: "أظن أن اسم الأميرة كريستيانا ويليامز يبدو غريباً قليلاً".

قال بنعومة فيما قبّلها مجدداً: "ليس بالنسبة إليّ".

في طريقهما إلى الفندق، توقفا في مشرب الريتز لتناول مشروب. كانا يشعران بالعطش والتعب، لكنهما قضيا يوماً رائعاً. طلب باركر كأس شراب، وكريستيانا فنجان شاي. لطالما قال لها باركر إنها تأكل مثل العصفور. كانت صغيرة الحجم، ولها جسم نحيل وإنما أنثوي جداً، وهذا ما وجده مثيراً جداً، علماً أنه أثبت ذلك غالباً.

كان هناك رجل يعزف على البيانو في مشرب الريتز، وفيما جلسا هناك يستمتعان بالموسيقى، ضحكت كريستيانا.

"لماذا تضحكين؟" سأل باركر مع ابتسامة سعيدة. كل ما أراده من عطلة نهاية الأسبوع في باريس أن تدوم إلى الأبد، تماماً مثلها هي. إنهما متفقان تماماً حول هذا المفهوم.

"كنت أفكر فقط في مدى حضارة ذلك مقارنة مع سيناف. تخيل لو كان لدينا بيانو في خيمة الأكل". ففي النهاية، هناك بدأت قصة حبهما.

ضحك معها، "كان ليضفي لمسة جميلة جداً".

قالت بصوت مشتاق، وظهر حبها لأفريقيا في عينيها: "يا الله، كم أشتاق إلى ذلك. وأنت ألست كذلك؟"

"أنا أيضاً، ولكن أيضاً لأنه كان باستطاعتي الاستيقاظ كل صباح ورؤيتك، وإنهاء اليوم وأنا أراك. وعليّ الاعتراف أنه بالإضافة إلى ذلك، كان عملي ممتعاً أكثر في هارفارد". أكثر مما كان في سيناف، رغم أنه أحب المرضى الذين عاينهم هناك. في بوسطن، لا يعاين أي مرضى، وإنما يجري أبحاثاً تنسيقية. ذكر أنه تلقى رسالة من الرجل الألماني الذي يرأس الفريق الذي سافر معه مع فريق "أطباء بلا حدود". قالت كريستيانا إنها معجبة كثيراً بعملهم، تماماً مثل باركر.

قالت، وابتسم هو لها: "لو كنتِ طبيبة، لفعلت ذلك".

"أعرف ذلك".

"أتمنى لو أنني أستطيع تخصيص حياتي لمساعدة الأشخاص، مثلما تفعل أنت. فالأشياء التي أقوم بها لوالدي تبدو غبية جداً. مسألة الأشرطة. إنها لا تعني أي شيء، لأي كان". على الأقل بالنسبة إليها.

قال برفق: "أنا واثق من أنها تعني شيئاً لهم".

"لا يفترض ذلك. لست أكثر من لجنة ضيافة. والدي هو الذي ينجز العمل الحقيقي، فهو الذي يتخذ القرارات الاقتصادية التي تؤثر إيجاباً في البلاد، أو سلباً إذا اتخذ القرار الخطأ، علماً أنه يتخذ عموماً القرارات الصحيحة". ابتسمت بإخلاص. "إنه يبذل جهوداً إنسانية، ويجعل الأمور أفضل بالنسبة إلى الأشخاص. إنه يأخذ مسؤولياته على محمل الجدّ كثيراً".

"وأنت أيضاً". كان باركر متأثراً جداً بهذه الصفة لديها.

"لا يشكل ذلك أي فرق. فقص الشريط لن يغير أبداً حياة أي شخص".

أرادت بدء العمل في المؤسسة ذلك الشتاء، لكن لم يتسنّ لها الوقت بعد. كان والدها يبقيها مشغولة جداً في الظهور معه في المناسبات الرسمية، علماً أنه كان يجدر بفريدي تحمل مسؤولية العديد منها، لكنّه لم يفعل ذلك أبداً. في بعض الحالات، كانت كريستيانا تحمل الكرة نيابة عنهم هم الثلاثة. على الأقل، إذا بدأت العمل في المؤسسة، سوف تشعر بأنها تنجز شيئاً مفيداً. لكنّ الذهاب إلى حفلات العشاء الرسمية، وكل الواجبات الأخرى الصغيرة بدت تافهة جداً بالنسبة إليها. ولهذا السبب، عليها التخلي عن باركر. بدا الأمر وحشياً جداً بالنسبة إليها، لمجرد أن تكون أميرة، وتطيع والدها، وتخدم شعب الليشتنشتاين.

سأل باركر بحذر: "هل يفعل شقيقك أي شيء؟" عرف أنه موضوع مؤلم لها.

"لا، عند المستطاع. يقول إنه ينتظر لينضج حين يصبح هو الأمير الحاكم، وسيكون ذلك بعد وقت طويل من الآن. أتمنى أن يكون كذلك". أومأ باركر برأسه. بدا شقيقها مثل وغد كبير، لكنّه لم يقل ذلك لها.

في النهاية، صعدا إلى الأعلى لتبديل ملابسهما وتناول العشاء، لكنهما لم يفلحا في الخروج مجدداً من غرفتهما. فقد انتهيا بممارسة الحب مجدداً، وجلسا بعد ذلك في المغطس معاً، وطلبا خدمة الغرف. ثم ناما في ذراعي بعضهما البعض مجدداً. إنها عطلة نهاية الأسبوع المثالية.

في اليوم التالي، حضرا قداساً في كنيسة القلب الأقدس واستمعا إلى تراتيل الراهبات. كان يوماً جميلاً، ومشيا في البوا دو بولوني، وابتسما للأشخاص الذين كانوا يقبلون بعضهم أو يجرّون أطفالهم وكلابهم. كان يوماً مثالياً. ذهبا لتناول الآيس كريم، وتوقفا لشرب القهوة، وعادا أخيراً، مسترخيين وسعيدين، إلى ساحة الفاندوم، وتوجها مشياً إلى الريتز. طلبت من البواب أن يحجز لهما للعشاء في مطعم لو فولتير، الذي كان مطعمها الصغير الأنيق المفضل في باريس. هناك عدد قليل من الطاولات، وجو حميم، وخدمة رائعة، وطعام مذهل.

في الساعة التاسعة مساء، غادرا الفندق، وهما يرتديان ثيابهما لتناول العشاء وبمعنويات مرتفعة. كانت كريستيانا ترتدي بذلة زرقاء فاتحة أنيقة جداً من ماركة شانيل، مع حذاء عالي الكعب، وتضع قرطين ماسيين في أذنيها. أحبت ارتداء الثياب الجميلة كرمى له، رغم أن هذا مختلف حتماً عما كانا عليه في سيناف، وأحب هو مدى أناقتها الآن.

فيما خرجا من ردهة الفندق، وضع ذراعه حولها ما إن خرجا من الباب الدوار. كان الهواء منعشاً، وابتسمت هي له بحب حين ظهر فجأة وميض من الأضواء أمام وجهها كما لو أنه انفجار صاروخي. لم يكن حتى لديها الوقت لاستيعاب ما يحصل وركضا إلى السيارة المنتظرة، ووراءهما مجموعة من مصوري الباباراتزي. بدا باركر مذهولاً، وكريستيانا فجأة غير سعيدة حين أبعدهما ماكس بسرعة.

قال ماكس للسائق: "انطلق! انطلق! انطلق!"، فيما جلس سام بالقرب منهما في المقعد الخلفي، واختفوا خلال ثوانٍ قليلة، ولكن ليس قبل أن ينال منهم مصوران إضافيان.

قالت كريستيانا: "اللعنة!" وهي تنظر إلى ماكس في المقعد الأمامي. "كيف حصل ذلك؟ هل تعتقد أن أحداً اتصل بهم؟"

قال معتذراً: "أظن أنه حادث عرضي، لقد حذرتك تقريباً، لكنكما خرجتما بسرعة. خرجت مادونا من الفندق قبلكما مباشرة. إنها تنزل في الفندق نفسه أيضاً، وكانوا في انتظارها. أظن أنك كنتِ جائزة إضافية". لكنهم تعرفوا حتماً إليها لحظة خرجت من الفندق، والتقطوا لها الصور وهي تبتسم بحنان لباركر، مع ذراعه حولها. لا مجال لتفسير الأمر بصورة خاطئة أو عدم التأكد من وجود علاقة عاطفية. "سوف نسلك الباب الخلفي لاحقاً".

قالت بحزن: "لقد فات الأوان على ذلك". ونظرت إلى باركر الذي لا يزال مذهولاً. لم يتسنّ له الوقت بعد ليكشف عن ردة فعل، ولا تزال عيناه متأثرتين بالأضواء الوامضة التي ظهرت أمامهما. كانت كريستيانا متأكدة من

أن الصور ستظهر في مكان ما. فهي دوماً كذلك. في وقت غير ملائم يكون محرجاً، أو على الأقل غريباً. وإذا رآها والدها، وهذا ما سيحصل إذا ظهرت الصور، لن يعجبه الأمر أبداً. ولاسيما كذبها بالقول إنها كانت رحلة تسوق. ولا يحب منها فضح نفسها في الصحافة. فقد عانوا بما فيه الكفاية مع فريدي.

كانت كريستيانا هادئة في الطريق إلى المطعم، وشعر باركر بالأسف لرؤيتها منزعجة. حاول تهدئتها، وتحلت هي بروح رياضية حيال المسألة، لكن بدا جلياً أنها قلقة. "أنا آسف صغيرتي".

"أنا أيضاً. لم نكن بحاجة إلى هذا الصداع. كان الأمر جميلاً جداً حين لم يعرف أحد به". وضرورياً.

قال وهو يحاول أن يبدو متفائلاً: "ربما لن يستخدموها".

قالت بحزن: "سوف يفعلون. إنهم يفعلون دوماً ذلك، يرتكب أخي الحماقات طوال الوقت بحيث يحاولون دوماً وضعي في الخانة نفسها. فضيحة أمير وأميرة الليشتنشتاين. يحبون قول أشياء عن أفراد السلالات الملكية. وأنا حريصة جداً على البقاء بعيدة عن الصحافة بحيث يتحمسون دوماً عند رؤيتي".

"كان حظاً سيئاً أن ينتظروا مادونا". اتفقت مع ماكس على أنه كان يجدر به تحذيرها، لكنّه شرح أنها كانت قد غادرت الغرفة بلا شك حين رآهما، لأنها خرجت من الباب خلال ثوانٍ، وتسللت مادونا بسرعة إلى سيارة ليموزين مع أولادها.

حاولت ألا تدع الأمر يفسد العشاء عليهما، لكنّ باركر لاحظ أنها لا تزال قلقة. استمتعا بالعشاء على أية حال، لكنّه ألقى بثقله على الأمسية. شعرت بقلق شديد حيال ما سيقوله والدها حين يشاهد الصور في الصحف، ويشاهد باركر. لقد فتح ذلك علبة كبيرة من الديدان لم تكن مستعدة لمواجهتها بعد، مما جعل الأمور تفلت من يدها. لكنّها لا تستطيع فعل أي شيء لتغيير الأمر.

دخلوا عبر مدخل الخدمات في فندق الريتز، في شارع كامبون. إنه

المدخل نفسه الذي استعملته الأميرة ديانا حين نزلت في الفندق. يستخدم العديد من المشاهير وأفراد العائلات المالكة المدخل الخلفي، ويستعملون المصعد الصغير لتفادي الباباراتزي الذين ينتظرونهم أمام الباب الرئيسي. وعادا أخيراً إلى أمان غرفتها، فاسترخت مجدداً بين ذراعيه. مارسا الحب مجدداً في تلك الليلة، وكان هناك إحساس بالمرارة الحلوة. خافت جداً أن يتم استعمال الصور الفوتوغرافية التي التقطت لها لإجبارها على التخلي عن باركر. فحين يعرف والدها بالأمر، ستصبح بالكامل تحت رحمته، وهذا آخر شيء تريده.

كانت لا تزال قلقة بشأن الأمر، ونامت متشنجة في تلك الليلة، واستيقظت مرات عدة نتيجة الكوابيس. حاول باركر تهدئتها قدر المستطاع، وكان كلاهما هادئين أثناء تناول الفطور في صباح اليوم التالي، فيما تولى نادل خدمة الغرف صبّ القهوة لهما. انتظرا حتى غادر الغرفة لمناقشة الأمر أكثر. لا تثق كريستيانا في أي شخص الآن. لقد صعقت بهجوم الباباراتزي في الليلة الفائتة. خافت من مناقشة الأمر مع والدها، إذا نشرت الصور فعلاً في الصحافة.

قال باركر بحذر: "حبيبتي، لا يمكننا فعل أي شيء حيال ذلك، لقد حصل. انتهى الأمر. سوف نعالج المسألة إذا نشرت الصور". كان باركر يتحدث بهدوء وهو يرشف القهوة الساخنة.

قالت وهي تبدو متوترة وغير حزينة: "لا، لن نعالج المسألة، إذا نشرت الصور". كانت متعبة بعد نوم سيئ في الليلة الفائتة، وقلقة من دون شك. "إذا حصل، سوف أعالج أنا المسألة. وهكذا سيفعل والدي. سوف أواجهه لوحدي. لم أشأ أن يحصل ذلك لنا حتى نصبح مستعدين. سوف أواجه صعوبة لإقناع والدي بقصتنا. لن يسمح لي بمناقشة الأمر معه مرتين. والطريقة للشروع في مثل هذا الحديث لا يفترض أن تكون كذبة. كذبت عليه بشأن المجيء إلى باريس". لكن كما هي الحال دوماً، لم يكن لديها أي خيار آخر. لطالما كانت مجموعة خياراتها ضيقة جداً، ومختصرة في أفضل الأحوال. "لا أحب ذلك. الفضائح في الصحافة مزعجة جداً". كانت تملك عدائية حيال ذلك، على عكس

شقيقها، أو ربما بسببه وبسبب فضائحه المستمرة، أصبحت أكثر حساسية تجاه ذلك.

"نعم، هذا صحيح". لم يخالفها الرأي، ولم يكشف عن أية ردة فعل تجاه ما قالته. "لكن كل ما يمكننا فعله هو الاستفادة من الأمر قدر الإمكان. ما هو الخيار الآخر الذي نملكه؟"

"لا شيء". تنهدت وشربت قهوتها وبذلت جهداً لعدم ضربه بسبب ذلك. لم تكن غلطته، لكنّه يسبب لها مخاوف كبيرة، ولاحظ هو ذلك.

بعد الفطور، ارتديا ثيابهما وخرجا. تنزها قليلاً في فوبورغ سانت هونوريه للتفرج على المحلات، ثم ذهبا إلى لافونو لتناول الغداء. استرخت أخيراً، وشعرت بالارتياح لأن أحداً لم يلحق بهما. بقي سام وماكس على مسافة قريبة منهما، واستمرا في إجبار كريستيانا وباركر على استعمال المدخل الخلفي للفندق في شارع كامبون للدخول والخروج. فهذا أكثر أماناً وحذراً.

بعد الغداء، عادا إلى الفندق. وضبّا أغراضهما، ثم استلقيا على السرير. لقد حجز كل منهما آخر رحلة ممكنة ليتمكنا من قضاء أطول وقت ممكن مع بعضهما. لا يريدان خسارة دقيقة واحدة مع بعضهما، أو حتى أقل من العمر كله، بسبب الباباراتزي. فبالرغم من أنها تعرف بأن فرصها بإقناع والدها ضئيلة لا بل منعدمة، إلا أنها لم ترغب في أي شيء يوقع الخلل في ذلك التوازن، ولا شك في أن الصحافة الفضائحية ستفعل ذلك.

استلقيا معاً على السرير لوقت طويل، وأخيراً مارسا الحب مجدداً للمرة الأخيرة، برفق وبطء ورقة، متذوقين لحظاتهما الأخيرة معاً. وبعد ذلك، استلقت بين ذراعيه وبكت. أصبحت خائفة جداً الآن ألا تتمكن أبداً من رؤيته مجدداً. أرادت كل شيء كان لهما قبلاً، في سيناف، وكل ما لديهما الآن هو تلك اللحظات القليلة المسروقة التي يستطيعان العثور عليها. جعلها تعده بأن يأتيا إلى باريس مجدداً، حين تتمكن من ذلك. قال إنه سيرتب جدول مواعيده ما إن تبلغه بذلك. فبصفته طبيب أبحاث، وليس طبيباً يعاين المرضى بصورة

منتظمة، فإن لديه حرية أكبر في فعل ذلك. لا تعرف بعد ما الذي سيكون عليه تأثير صور الباباراتزي، إذا نشرت. قالت إنهما يحتاجان إلى التخفي لبعض الوقت وانتظار ما سيحصل. على أمل ألا يحصل أي شيء. لكنّ هذا طلب كبير جداً. وإذا حصل ذلك، يكونان محظوظين جداً.

خرجا أخيراً من السرير، واستحما معاً، وارتديا ثيابهما. لم يستخدم أبداً غرفته طوال عطلة نهاية الأسبوع، لكنّها أعطتهما الاحترام، وكان سعيداً تماماً لدفع أجرتها، حتى ولو مقابل لا شيء. خصوصاً إذا كان هذا يجعل الأمور أفضل بالنسبة إليها. أراد باركر فعل كل شيء ممكن لجعل العلاقة تنجح. كانت معتادة على الوضع أكثر منه هو، وعلى القيود المفروضة عليها، ولذلك كان راغباً جداً في الالتزام بقواعدها، أو قواعد والدها. كان فعلاً مغرماً بها، وأكثر من الحياة نفسها، أراد رؤيتها مجدداً، والزواج منها يوماً ما إذا كانا محظوظين كفاية. قالت إن هذا مستحيل، لكنّه كان مصراً على التشبث والانتظار. إنها المرأة الوحيدة التي أحبها بهذه الطريقة. وكانت هي مغرمة به بالقدر نفسه.

قبّلا بعضهما طويلاً وبقوة قبل أن يغادرا الغرفة، ثم غادرا الفندق معاً عبر الباب الخلفي. تولى ماكس وسام الاهتمام بكل الترتيبات الضرورية. ذهبا إلى المطار في السيارة نفسها، لأن رحلتيهما في الوقت نفسه تقريباً، هي إلى زيوريخ وهو إلى بوسطن. وأخيراً، جاءت لحظاتهما الأخيرة. قبّلته قبل أن يخرجا من السيارة، ثم وقفت تنظر إليه بحزن في المطار. لم يعد بوسعها تقبيله هنا، وفهم هو ذلك. هذا هو عبء هويتها، وبات يقبل الأمر تماماً الآن.

"أحبك". قالت وهي تقف على مسافة قدمين منه وتواجهه. "شكراً على عطلة نهاية الأسبوع الرائعة". قالت بتهذيب وابتسم هو. إنها دوماً لبقة ومهذبة، حتى عندما تكون قلقة، كما حصل بعد تصوير الباباراتزي لهما.

"أحبك أنا أيضاً كريكي. سيكون كل شيء على ما يرام. حاولي ألا تقلقي كثيراً بشأن الباباراتزي". أومأت برأسها ولم يقل هو أي شيء. ثم، وبعد أن

عجزت عن تمالك نفسها، تمددت ولمست يده وأمسك هو بها. "سيكون كل شيء على ما يرام". قال لها بهمس. "أراك قريباً، أليس كذلك؟"

أومأت برأسها والدموع في عينيها. لفظت كلمة أحبك مجدداً، وكما لو أنه توجب عليها تمزيق نفسها للابتعاد عنه، مشت ببطء نحو طائرتها، فيما حمل ماكس وسام حقائبها، وحمل باركر حقيبته وذهب للتحقق من رحلته. التفت للنظر إليها فيما مشت بعيداً. التفتت هي وابتسمت له بشجاعة، ورفعت له يداً ثم لمست قلبها، فيما لمس هو قلبه في القسم الآخر من المطار وكأن هناك عالمين يفصلان بينهما.

الفصل 16

شهدت كريستيانا أسبوعاً حافلاً بعدما عادت إلى فادوز. أجرت سلسلة من الارتباطات والظهورات الرسمية، وأقام والدها حفلتي عشاء في فادوز ليلتي الثلاثاء والأربعاء. في صباح يوم الخميس، فيما كانت ترتدي ثيابها لحضور غداء رسمي طلب منها والدها حضوره، دخلت سكرتيرتها، ومن دون أية كلمة، سلّمتها صحيفة دايلي ميرور البريطانية. حتى ذلك الحين، كانت تتواصل مع باركر باستمرار عبر البريد الالكتروني وطمأنته بأن شيئاً لم ينشر في الصحافة. وها هو الآن. الصحافة البريطانية نشرتها أولاً. وقد فعلتها بطريقة مشهودة. هذه هي حالها دوماً.

كانت العناوين الرئيسية ساطعة، وأظهرتها الصورة وهي تبتسم لباركر، وتبدو مبتهجة جداً وفي منتهى السعادة، فيما هو يبتسم لها ويضع ذراعه حولها. بدا جلياً أن أحدهما متيّم بالآخر، أو الاثنين ببعضهما. لطالما شعرت بالغباء حين تنظر إلى صورها في الصفحة الأولى. ولم تكن تلك الصور عادة تمتّ لها بصلة عاطفية. حصل لها ذلك مرة واحدة فقط، وكانت صغيرة جداً. أصبحت حذرة جداً بعدها. باستثناء هذه المرة مع باركر، علماً أنها مهمة كثيراً، وقد ذهبت بنفسها إليهم على خطى مادونا. إنه فعلاً حظ سيئ. حدّقت في الصورة مع شعور بالإحباط.

كان العنوان موجزاً، ولحسن الحظ غير سيئ جداً، رغم أنه كان يمكن أن يكون كذلك. لكن حتى ما قاله العنوان ليس ما كانت تريد أن يقال عنهما. "قصة عاطفية جديدة وساخنة في الليشتنشتاين: الأميرة كريستيانا... ومن هو

أميرها الساحر؟" قال النص إنهما كانا يغادران فندق الريتز في باريس، خلال عطلة نهاية أسبوع رومنسية على الأرجح. وأضاف النص إنهما يشكلان ثنائياً جميلاً. وأشار إلى أن علاقات شقيقها العاطفية كانت كثيرة جداً، فيما علاقات شقيقته أكثر تكتماً عادة، ولذلك فإن هذه العلاقة هي على الأرجح العلاقة الأهم. تخيلت وجه والدها حين يقرأه.

أرسلت بسرعة بريداً الكترونياً إلى باركر لإطلاعه على المستجدات. أخبرته عن اسم الصحيفة وأن الصورة ظهرت في الصفحة الأولى، وبأنه يستطيع النظر إليها في الانترنت. هذا كل ما قالته. كانت على عجلة كبيرة لقول المزيد، وخرجت متوجهة إلى الغداء الرسمي الذي يقيمه والدها. وكما توقعت، لم يتفوه بأي شيء عن الموضوع خلال الغداء. لم يكن أسلوب والدها يقضي بقول التلميحات أو فعل الأمور بإجراءات جزئية. إنه يفضل مواجهة الأمور كما هي، مثلما يفعل مع شقيقها.

بعدما غادر الضيوف القصر، سألها ما إذا كانت تستطيع منحه بضع دقائق من وقتها، وعرفت ماذا سيحصل. لا بد من ذلك. لا يمكنها الظهور في الصفحة الأولى لصحيفة لندنية، مع رجل لم يسمع به أبداً، خلال لقاء رومنسي، ويتجاهل المسألة. سيكون ذلك كثيراً جداً.

لحقته إلى غرفة جلوسه الخاصة وانتظرت حتى جلس، ثم فعلت الشيء نفسه. نظر إليها لبرهة طويلة، وبدا عليه الاستياء الممزوج بالحزن. ولبرهة استمرت دهراً تقريباً، لم يقل أي شيء على الإطلاق، وكذلك فعلت كريستيانا. لن تتطرق هي إلى الموضوع، في حال حصلت أعجوبة ما وأراد هو التحدث معها عن شيء آخر، لكنّ الحال ليست حتماً كذلك. بدأ الكلام أخيراً.

"كريستيانا، أفترض أنك تعرفين ما الذي أريد التحدث بشأنه معك". حاولت أن تبدو متفاجئة، وبريئة، وساذجة، لكنّها أخفقت. شعرت بالذنب يسيطر على كل وجهها، وأومأت أخيراً برأسها.

قالت بصوت أعلى قليلاً من الهمس: "أظن ذلك". لطالما كان والدها لطيفاً

معها، لكنّه يبقى الأمير الحاكم ويستطيع اعتماد طريقة مروّعة حين يريد ذلك. وفي النهاية، إنه والدها، وتكره أن تكون سبب غضبه أو حتى استيائه.

"أفترض أنك رأيت الصورة في الدايلي ميرور هذا الصباح. أعترف أن صورتك جميلة، لكنني تساءلت نوعاً ما عن هوية الرجل الوسيم قربك. لم أتعرف إليه". لا شك في أنه ليس من سلالة ملكية، لأن والدها يعرفهم جميعاً. أشار نوعاً ما، من دون أن يقول ذلك، إلى أنه قد يكون مدرّب تنس أو شيئاً من هذا القبيل. "وأنت تعرفين أنني لست مولعاً جداً بقراءة أخبار ولديّ في الصحافة. أتيحت لنا فرصة فعل هذا كثيراً مع شقيقك. لا أتعرف عادة إلى أي من صديقاته أيضاً". إنها صفعة كبيرة في وجه باركر، موحية بأنه الرديف الذكر للفتيات الحقيرات اللواتي يخرج معهن فريدي، وليست هذه الحال. كان باركر مثقفاً ومحترماً، طبيباً، ومن عائلة جيدة. أما النساء اللواتي خرج فريدي معهنّ فكنّ ممثلات أو عارضات أو أسوأ.

قالت كريستيانا، وهي تحاول أن تبدو هادئة، لكنّها كانت تشعر بالذعر: "ليس هكذا على الإطلاق، بابا". لم تكن الانطلاقة جيدة. إنها تعرف والدها، وليس مسروراً على الإطلاق. "إنه رجل طيب".

"أتمنى ذلك، إذا كان تقرير الصحيفة دقيقاً وأمضيت عطلة نهاية الأسبوع معه في الريتز. هلاّ ذكرتك بأنك قلت لي إنك ذاهبة للتسوق؟" كانت عيناه مليئتين بالعتب والاستياء.

"أنا آسفة، بابا. أنا آسفة لأنني كذبت عليك". تصوّرت أن الاعتذار الخسيس هو الطريقة الوحيدة للمضي، وكانت مستعدة للتذلل إذا سمح لها برؤية باركر. "كانت غلطة مني، أعرف ذلك".

ابتسم لها برفق. "لا بد أنك تحبين فعلاً هذا الرجل، كريكي، إذا كنت مستعدة لتحمل كل ذلك". ولم يفته أبداً أنهما كانا يبدوان معاً في غاية السعادة، وهذا هو الأمر الذي أقلقه كثيراً. "حسناً، فلنتجاوز ذلك. من يكون؟"

توقفت لالتقاط أنفاسها لبرهة طويلة. خافت كثيراً ألا تفعل ذلك بطريقة

صحيحة. ويرتبط كل مستقبلهما على ما إذا فعلت ذلك بطريقة صحيحة أم لا. إنه عبء كبير جداً.

"عملنا معاً في سيناف، بابا. إنه طبيب، يجري أبحاثاً حول الإيدز في هارفارد. كان مع أطباء بلا حدود، ثم تابع أبحاثه معنا في المخيم. لقد عاد الآن إلى هارفارد. إنه كاثوليكي، من عائلة متماسكة، ولم يتزوج أبداً من قبل". هذا كل ما استطاعت التفكير به لقوله دفعة واحدة، لكنّ المعطيات التي قدمتها لوالدها كانت محترمة على الأقل، وتصف صورة محترمة لباركر.

إن طبيعة المعلومات التي أعطته إياها كانت كل ما يحتاج إلى معرفته، خصوصاً أنه كاثوليكي وغير متزوج قبلاً. انفطر قلبه. "هل أنت مغرمة به؟" لم تتردد هذه المرة. أومأت برأسها. "هل هو أميركي؟" أومأت برأسها مجدداً. يجب ذلك على سؤاله الأكثر أهمية. أنه أميركي عادي، وغير ملائم لأميرة، ابنة أمير حاكم، ليس سوى مجرد شخص تعرفه.

"بابا، إنه فعلاً رجل طيب. إنه من عائلة جيدة. والده وشقيقه طبيبان. إنهم من سان فرانسيسكو". لا يهتم إذا جاءوا من القمر على متن مركبة صاروخية. فهو لا يحمل أي لقب. إنه غير ملائم البتة لها، برأيه. وهو يعرف أن البلاط الملكي العائلي وأفراد البرلمان سيوافقونه الرأي، رغم أنه يستطيع تجاهل رأيهم إذا أراد ذلك. وعرفت كريستيانا ذلك أيضاً. عرفت أيضاً أنه لن يستعمل نفوذه أبداً للسماح لها بالزواج من شخص عادي. فهذا مناقض لكل معتقداته.

قال لها برفق: "تعرفين أنه لا يمكنك فعل ذلك، سوف تجعلين نفسك بائسة، وتجعلينه هو بائساً أيضاً إذا استمريت في رؤيته. سوف تنتهين مع قلب محطم، وكذلك هو. إنه شخص عادي، كريستيانا. لا يملك لقباً. ليس حتى أوروبياً. لا مجال أبداً لذلك إذا كنت تسأليني عن رأيي". كان وجهه صارماً، وبدأت تبكي.

"دعني إذاً أراه فقط. لن أتزوج منه. يمكننا اللقاء بين الحين والآخر.

أعدك أن يبقى الأمر سراً".

"أفترض أنك كنت متكتمة في عطلة نهاية الأسبوع في باريس، سوى أنك كنت أكثر غباء مما أنت، ولا أظن أنك كذلك. صاحبة السمو تقيم علاقات مع رجال في غرف الفنادق. ليس هذا جميلاً جداً".

قالت والدموع تنهمر على وجنتيها: "بابا، أنا أحبه".

قال برفق: "أنا أكيد من ذلك، كريكي، أعرفك جيداً حسب ما أظن لأتأكد من أنك لا تفعلين ذلك باستخفاف. وهذا ما يجعل الأمر أكثر خطورة بالنسبة إليك. لا يمكنك الزواج منه أبداً، فلماذا تقيمين علاقة عاطفية ستنتهي بتحطيم قلبك وقلبه. ليس هذا عادلاً له. إنه يستحق أن يغرم بامرأة يمكنه الزواج منها. ولست أنت هذه المرأة. يوماً ما، حين تتزوجين، يجب أن يكون زوجك من سلالة ملكية. هذا موجود في دستورنا. ولن يوافق البلاط الملكي العائلي أبداً عليه ولو بعد مئة عام".

"سيفعلون إذا طلبت منهم ذلك. يمكنك فرض نفوذك عليهم". عرف كلاهما أنه بوسعه فعل ذلك. "ثمة أمراء وأميرات في كل أنحاء أوروبا يتزوجون من أشخاص عاديين هذه الأيام. حتى أولياء العهد. يحدث ذلك في كل مكان بابا. نحن سلالة ميتة، وإذا عثرنا على الشخص الملائم، حتى لو لم يكن من أصل ملكي، ألا تفضل أن أتزوج من رجل جيد، يحبني ويكون لطيفاً معي، بدل الزواج من رجل سيئ صودف أنه أمير؟ انظر إلى فريدي". قالت له بعنف وأجفل هو. "أتريدني أن أتزوج من رجل مثله؟" هزّ والدها رأسه. هذا موضوع آخر تماماً، لكنّها كانت تستعمل كل ما يمكنها، وهي تعرف تماماً كم يغضبه فريدي.

"شقيقك حالة خاصة. وأنا أريدك طبعاً أن تتزوجي من رجل جيد. لكنّ الأمراء ليسوا جميعاً مهملين مثل فريدريك. قد ينضج يوماً ما، لكن عليّ الاعتراف أنه إذا جئت إلى المنزل مع رجل له عاداته، سأحبسك في دير. وكريستيانا، لن أفعل ذلك هنا. أنا واثق من أن الرجل محترم وكل ما تقولينه.

لكنّه ليس مؤهلاً للزواج بك، ولن يكون هكذا أبداً. لا أريد رؤيتك معه مجدداً في العلن. وإذا كنت تحبينه، أنصحك بشدة أن تنهي العلاقة معه قبل أن تصبح أسوأ. سوف تتأذيان أنتما الاثنان. طالما أنا حيّ، لن تصل العلاقة إلى أي مكان. إذا كنت وحيدة وغير سعيدة هنا، سوف نبدأ بالبحث لك عن زوج، واحد ملائم. لكن كريستيانا، هذا الرجل غير ملائم. لا يمكنك رؤيته مجدداً". للمرة الأولى في حياتها، كرهت والدها فعلاً. كانت تبكي بشدة حين أجابته، ولم تره قبلاً بهذه الفظاظة. لقد كان لطيفاً معها طوال حياتها، وها هو يحرمها الآن من الشيء الوحيد الذي تريده فعلاً، حياة مع الرجل الذي تحب، وموافقته عليها. لكنّه رفض.

"بابا أرجوك... لسنا في القرن الرابع عشر. ألا يمكنك التحلي بالمزيد من العصرية حيال ذلك؟ يتحدث الجميع كم أنت حاكم مبدع وعصري. لماذا لا تسمح لي بالتواجد مع شخص عادي، أو حتى الزواج منه يوماً ما؟ لا أهتم إذا حمل أولادي ألقاباً أو كانوا أشخاصاً عاديين. أتخلى حتى عن لقبي إذا أردت ذلك. لست مؤهلة لتولي العرش. لن أتمكن أبداً من الحكم هنا، حتى لو لم يفعل فريدي. لماذا يهم إذاً الشخص الذي أتزوجه؟ لا أكترث لأن أكون أميرة، بابا، أو أتزوج من أمير". قالت وهي تبكي بشدة، فيما نظر هو إليها يائساً.

"لكنني أهتم. لا يمكننا تجاهل تقاليدنا، أو دستورنا، متى يحلو لنا. هذا هو الواجب والشرف. عليك تنفيذ واجبك، حتى لو كان مؤلماً، حتى لو تطلب ذلك منك تقديم التضحيات. لهذا السبب نحن هنا، لقيادة الأشخاص وحمايتهم ولنظهر لهم عبرنا ما نتوقعه منهم، وما هو الشيء الصحيح الواجب فعله". إنه صفاتي ومثالي، مع نفسه ومعها، ملتزم بالتاريخ والتقاليد. لا يجري استثناءات على القواعد، حتى لنفسه.

"هذه مهنتك، بابا، وليست مهنتي. لا يهتمون بمن أتزوج، ولا يجدر بك أنت أيضاً ذلك طالما أنه رجل جيد".

"أريد أن تتزوجي من أمير جيد".

"لن أفعل. أقسم لك أنني لن أتزوج أبداً إذا فعلت ذلك". بدا قلقاً فيما أجابته. إنها تحب هذا الأميركي الشاب أكثر مما يظن.

"سيكون ذلك خطأً كبيراً. بالنسبة إليك، أكثر مما هو بالنسبة إليّ. إذا كان يحبك، لا يجدر به انتهاك ميراثك، كرمى لك. عليك الزواج من شخص من عالمك، يفهم واجباتك وتقاليدك، عاش الحياة نفسها مثلك، شخص له أصل ملكي، كريستيانا. الشخص العادي لن يحترم أبداً حياتك. لن ينجح الأمر أبداً. ثقي بي".

"إنه أميركي. ولا يهمه ذلك أبداً. ولا أنا أيضاً. هذا غبي وفظ جداً". لم توافقه على أي شيء قاله، وعرفت أن باركر سيفعل الشيء نفسه أيضاً. إنها تحارب ألف سنة من التقاليد، من دون أي جدوى.

"لست أميركية. أنت أذكى من فعل شيء مثل هذا. أنت ابنتي وتعرفين ما أتوقعه منك. إذا كان هذا ما حصل حين ذهبت إلى أفريقيا، أنا آسف جداً لأنني سمحت لك بالذهاب. لقد خنت ثقتي". هذا ما قالته لباركر، وكل ما كانت تخشى أن يقوله والدها. والواقع أنه أسوأ.

كان عنيداً ومتصلباً، يعيش في قرن آخر، مصمماً على اتباع التقاليد والدستور وعدم إجراء أي استثناء رحمة بها. لن يعطيها حتى بارقة أمل. والأسوأ من ذلك أنه مقتنع تماماً بأنه محق. عرفت أنه لن يتراجع أبداً. شعرت وكأن كلماته حطمت قلبها. كانت تشعر بألم جسدي تقريباً حين نظرت إلى والدها يائسة ونظر هو إليها بحزن. لا يحب أن يسبب لها الألم، لكنّه شعر أنه لا يملك أي خيار آخر.

أخيراً قال: "أريدك أن تتوقفي عن رؤية هذا الرجل، وتعود إليك أنت طريقة إنهاء العلاقة. لن أتدخل كرمى لك. ولم يفعل أي شيء خطأً لغاية الآن. ارتكبتما حماقة بالذهاب إلى باريس وفضح نفسيكما. شاهدت ما حصل، إذ كشفوك على الفور. عليك إنهاء العلاقة كريكي، بأسرع ما يمكن، من أجلكما معاً. أترك البقية لك". بعد ذلك، وقف والتفت بعيداً. لم يضع ذراعيه حولها

لأنه يعرف كم هي غاضبة ويائسة، وبدا الانتظار أكثر حكمة. إنها بحاجة إلى الوقت للتفكير في كل ما قاله، وعقد الصلح مع الأمر، وإخبار هذا الرجل. كل ما أراده وكل ما تمناه الآن هو أن تسامحه يوماً ما. لكنّه كان يقوم بما هو مقتنع بأنه ملائم لها.

وقفت ونظرت إليه وهي غير مصدقة. لم تصدق أنه يريد فعل ذلك بها. لكنّه فعل. شعر أنه واجبه، وقال ذلك لها. ثم، وفيما كانت لا تزال تبكي، التفتت وغادرت الغرفة من دون أية كلمة أخرى. لم يعد هناك أي شيء لقوله. حين عادت إلى جناحها في القصر، طلبت من سكرتيرتها أن تلغي لها كل مواعيدها وظهوراتها لبقية اليوم، أو بالأحرى لبقية الأسبوع. أغلقت بعدها باب غرفة نومها، واتصلت بباركر في الولايات المتحدة. أجاب على الفور، وكان ينتظر سماع أخبارها. شك في أنها كانت تتحدث مع والدها بشأن الموضوع بعد أن نشرت الصورة في الصحيفة، ويريد قول شيء ما. كانت كريستيانا تبكي حين أجاب على الهاتف. لا يبشر ذلك خيراً حول ما قاله لها والدها.

قال بهدوء: "لا بأس، لا بأس إهدئي". حاولت وأخفقت ثم التقطت أخيراً أنفاسها كفاية لإخباره بكلمات سريعة ما قاله لها والدها.

"قال إنه علينا التوقف عن رؤية بعضنا على الفور". بدت مهزومة، وخائفة، ومثل طفلة مجدداً، وكل ما أراده هو وضع ذراعيه حولها وتهدئتها ومنحها القوة.

قال وهو يبدو قلقاً: "وما رأيك؟" كان يخشى من ذلك. لقد حذرته منذ أن كانا في سيناف. وكانت محقة. يصعب التصديق أن الأشخاص في هذا القرن يستطيعون اتخاذ مثل هذا الموقف القديم، لكنّ والدها فعل ذلك على ما يبدو. إن كل مفهوم أصحاب السمو، والسمو الملكي قديم أصلاً. لكنّها في الواقع أميرة، وسواء أرادت ذلك أم لا، عليها التكيف مع الأمر. وكذلك هو، وإصرار والدها على أن تتزوج فقط من رجل له دم ملكي.

"لا أعرف ماذا أقول. أحبك. لكن ما الذي أستطيع فعله؟ لقد منعني تماماً

من متابعة العلاقة معك. قال إنه لن يسمح لنا أبداً بالزواج، وأنا أعرف أنه يقصد ذلك. عليه تجاهل البرلمان والبلاط الملكي العائلي للسماح لنا بالزواج، وهو لن يفعل ذلك". وشعرت أنه من الخطأ الهروب. لا يمكنها فعل ذلك. أرادت إذنه. باركر يصدق ذلك الآن، وكان خائب الأمل تماماً مثلها. بالنسبة إليه، هذا جنون. هذا غير منطقي. فكّر لبرهة في أن يقترح عليها اللقاء سراً إلى أن يموت والدها، وحين يحكم شقيقها البلاد، يمكنها الهروب. لكنّ هانس جوزف يمكن أن يعيش فعلياً عشرين أو ثلاثين سنة إضافية، ولن تكون هناك حياة لهما. لقد وجّه والدها ضربة قاضية لكلاهما.

"هل تلتقين بي مجدداً لعطلة نهاية أسبوع؟" حصل صمت طويل فيما فكرت في الأمر. "أريد مناقشة هذا معك شخصياً. ربما نستطيع التوصل إلى حل ما". رغم أنه عليه الاعتراف الآن بأنه من المستبعد أن يتوصل إلى حل يمكنها قبوله، ويقبل به والدها أيضاً. لا تريد الهروب وتحديه، رغم أنها ستفعل ذلك ربما مع الوقت. عرف أيضاً أن وعد أمها مهم بالنسبة إليها، تماماً مثل موافقة البرلمان والبلاط الملكي. فلكي تتزوج باركر، عليها تحديهم جميعاً. عرف أن هذا كثير جداً. وكان يفكر في التحدث إلى والدها شخصياً، إذا أرادت كريستيانا ذلك، وإذا وافق الأمير على رؤيته. سوى ذلك، لا يملك أية اقتراحات للوقت الحاضر. تمنى فقط لو أنه يستطيع وضع ذراعيه حولها، وكذلك فعلت هي. هذا أصعب كثيراً مما تصور. لقد كانت كل مخاوفها محقة.

"سأحاول". أجابت أخيراً بشأن عطلة نهاية الأسبوع. "لا أعرف متى أستطيع ذلك. عليّ الكذب مجدداً. ولا يمكننا فعل ذلك غالباً". في الواقع، شكت في أنه إذا التقته مجدداً، ستكون هذه آخر مرة تراه فيها. لا يمكنها الاختباء من والدها إلى الأبد، ولن يتركها البابارازي أبداً، مهما توخت الحذر. لكنّها أرادت رؤيته مرة إضافية. ولو لهذه المرة فقط، ولن تطلب إذن والدها لفعل ذلك. كانت واثقة من أنه لن يسمح لها حتى بذلك. لا تنوي الطلب منه. "سأرى متى أستطيع. قد لا يكون ذلك قبل فترة. لديّ شعور بأنه سيراقبني عن كثب. علينا

الاكتفاء بالبريد الالكتروني والهاتف لبعض الوقت".

قال بهدوء: "لن أذهب إلى أي مكان". كان يحاول أن يبدو أكثر هدوءاً أمامها مما هو فعلاً، فلقد كان خائفاً كثيراً. فبسبب التقاليد القديمة لوالدها وبلدها، سيخسرها. والدها يحطم قلبيهما معاً. "أحبك، كريكي. سنرى ما يمكننا التوصل إليه".

قالت وهي تبكي مجدداً: "أخبرته أنني لن أتزوج أبداً". وانفطر قلبه معها. كان ألمها كبيراً بقدر ألمه، أو ربما أكثر، لأنها شعرت بالغدر من شخص تحبه.

"فلنهدأ قليلاً قبل أن تصبحي الأميرة العذراء في البرج. ربما إذا تحلينا بالصبر الكافي سنتغلب عليه مع الوقت. ماذا لو تحدثت إليه؟" اقترح باركر بحذر.

قالت بحزن: "أنت لا تعرفه، لن يقابلك ولن نتمكن من التغلب عليه. إنه مؤمن تماماً في ما يفعله". بدت جذلة لبرهة، ثم قهقهت. "وبالمناسبة، لست عذراء".

قال ضاحكاً: "لن أقول إذا لم تفعلي". لم يكن مستعداً للتخلي عنها بعد، بالرغم من والدها. بدا كثيراً الطلب منها الهروب معه والتخلي عن كل شيء، ولا يظن أنها تستطيع ذلك. إنها تملك حساً كبيراً بالواجب لتحدي والدها والتقاليد ودستور بلدها. يبدو ذلك مثل الخيانة بالنسبة إليها. أرادت التفوق على والدها وإقناعه. وحتى باركر بدأ يعتقد أن الأمر ميؤوس منه. وهي تكره الفضيحة كثيراً بسبب شقيقها. لكنّ باركر كان مصمماً على العثور على طريقة. لا بد أن تكون هناك واحدة. رفض الهزيمة. طلب منها الاتصال به مجدداً بعد ساعات قليلة لمجرد التكلم، وطلب منها التحلي بالهدوء. شعرت بتحسن بعد التكلم إليه، فقد كان حاضراً لمساندتها، وكان شخصاً طيباً جداً. لكنّها ما زالت تعجز عن رؤية طريقة لتحسين وضعهما. عرفت أن والدها لن يتراجع أبداً. أرادت رؤية باركر مرة إضافية، ثم رأت أنه يجدر بها فعل ما

طُلب منها، والقول وداعاً له. هذا يحطم قلبها فعلاً.

بقيت كريستيانا محبوسة في جناحها لمدة خمسة أيام. لم تفتح الباب لأي كان، باستثناء سكرتيرتها مرة واحدة كل يوم، حين كانت تقبل بمقدار صغير من الطعام على صينية. اتصلت بباركر وأرسلت له بريداً الكترونياً. لم تقبل أية اتصالات هاتفية، ولم تذهب إلى أي مكان. ولم تجرِ أي اتصال مع والدها. سأل عنها مرات عدة في اليوم، وكان يقال له الشيء نفسه كل مرة، بأنها لم تخرج من جناحها. كان حزيناً جداً، لكن مثلما لم يكن لديها هي أي خيار في وجه رفضه الصارم، شعر هو أيضاً أنه لا يملك أي خيار، نظراً للتقاليد التي يلتزم بها، وحتى الوعد الذي قطعه لأمها. كانا كلاهما عالقين في جزء من التاريخ، مهما كان هذا مؤلماً. وكذلك باركر معهما، مع نتائج مشؤومة للجميع. لكن مهما كان الأمر صعباً، لا طريقة للخروج منه، في الوقت الحاضر.

في إحدى الليالي اليائسة، اتصلت كريستيانا بقريبتها فيكتوريا في لندن. كانت معنوياتها مرتفعة، مع خطيبها الجديد قربها، وبدت وكأنها تشرب، وهذا أمر بديهي. لذا، لا تستطيع توفير الكثير من المساعدة لكريستيانا في وضعها الحالي.

"حبيبتي، رأيتك في الصحيفة... يا إلهي، هذا الرجل الذي كنت معه وسيم جداً، لماذا لم تخبريني؟ أين عثرت عليه؟"

قالت كريستيانا بملل: "في سيناف". كانت تشعر برهبة، ولذلك اتصلت. فعند مواجهة وضعها، بكت لساعات طويلة، واتصلت بفيكتوريا طلباً للعزاء، لكنّها ليست جيدة في ذلك. إنها مشغولة جداً في الاستمتاع للتركيز على أي شيء آخر.

"أين؟" بدت فيكتوريا متفاجئة.

"في أفريقيا. كان أحد الأطباء هناك".

"كم هذا رائع! هل يعارض والدك؟"

قالت كريستيانا يائسة وهي تأمل في الحصول على نصيحة: "نعم".

قالت بغرابة: "طبعاً حبيبتي. إنه متشبث جداً وقديم الطراز. فكري كم هو محظوظ لأنه لا يملك ابنة مثلي. لكن قولي لي مجدداً، إنه يشبه فريدي. أفترض أن هذا عقاب كاف، رغم أنني أحب الصبي. كان هنا الليلة الماضية". ظنت كريستيانا أنه في فيينا، لكنّها لم تتحدث إليه منذ أيام، قبل عطلة نهاية أسبوعها في باريس.

"يقول بابا إنه عليّ إنهاء العلاقة، ولن أستطيع أبداً الزواج منه لأنه لا يحمل لقباً".

"كم هذا غبي. لماذا لا يعطيه واحداً؟ يستطيع ذلك. أنت تعرفين. يفعلون ذلك طوال الوقت هنا، لأتفه الأسباب. حسناً، ليس تماماً، أفترض... لكنهم يستطيعون. سمعت عن أميركي اشترى اللقب لأنه اشترى منزل شخص ما".

"لا يفعل والدي مثل هذه الأشياء. أمرني بإنهاء العلاقة".

"كم هذا مزعج. سأقول لك شيئاً. لماذا لا تلتقين به سراً هنا؟ لن أخبر أحداً". باستثناء تاجر المخدرات، وخادمتها، ومصففة شعرها، وأفضل عشرة أصدقاء عندها، وخطيبها الجديد نجم الروك، وربما حتى فريدي، في ليلة ما حين يثملان معاً، ويبدو أنهما يفعلان ذلك غالباً. أحبت كريستيانا الفكرة، لكنّها عرفت أنها لن تنجح أبداً. وإذا أصبحت واحدة من زمرة فيكتوريا، سينتهي والدها بسجنها. يبدو أن فيكتوريا تصبح أسوأ يوماً بعد يوم، وأكثر استفزازاً. لم تكن كريستيانا واثقة تماماً ما إذا كان السبب شخصيتها أو المخدرات. حتى والدها علّق على الأمر حين عادت كريستيانا إلى المنزل قائلاً إنه بعد كل ما سمعه يبدو أن فيكتوريا أصبحت منحرفة تماماً ويجدر بكريكي البقاء بعيداً عنها. فريدي، بلا شك، يحب كل ما يجري معها.

في النهاية، لم ينفعها التحدث إلى فيكتوريا بأي شيء، ولم يقدم لها حتى العزاء. كانت تحب التحدث إلى فيونا، بأفكارها الذكية، وحكمتها الكبيرة، وأفكارها العملية، لكنّها رحلت وعرفت كريستيانا أنها لم تكن لتفهم أبداً دقة الوضع. لا تعرف شيئاً عن حياتها الملكية. لا تملك أحداً للتحدث إليه، ولا أحد

لتقديم الاقتراحات أو العزاء، باستثناء باركر، الذي كان محبطاً مثلها. كان تعيساً جداً، وكل ما أراده من كريستيانا هو أن تلتقي به في مكان ما، لكنّها لا تستطيع فعل ذلك بعد. إنها تنتظر حتى تهدأ الأمور، كي لا تلفت الانتباه إليهما، مهما قررا.

الأسوأ من كل ذلك كان اتصالاً من فريدي. لقد ذهب إلى أمستردام، وقال إنه يقضي وقتاً رائعاً فيما فيكتوريا وخطيبها معه. تأسفت كريستيانا فوراً لأنها تكلمت معه. بدا متعالياً، وكان كذلك.

"حسناً، لا تلوميني بعد الآن، يا أختي العذراء الصغيرة. كل تلك الخطابات التي وجهتها إليّ أنت ووالدي عن مواجهة مسؤولياتي. يا لها من كذبة، فيما هربتِ أنت إلى باريس مع صديقك. أنت سيئة بقدري أنا، كريكي، لكنك تعرفين كيف تغطين أفعالك أفضل، مع كل تلك التفاهات، فيما تقبلين يد والدي. لكنك لم تفلحي في تغطية أفعالك جيداً هذه المرة، عزيزتي، أليس كذلك؟" كان مزعجاً خلال الاتصال، وبعد برهة من رفعها السماعة، أقفلتها. إنها تكرهه أحياناً. وهي الآن تكرههم جميعاً، حتى والدها. هناك الكثير من النفاق والتقاليد والقوانين التي تتحكم بهم. الشخص الوحيد الذي لا تكرهه كان باركر. اقترح عليها أنه كلما أسرعت في الخروج من غرفتها المقفلة، توقف الجميع عن الانتباه إليها، واستطاعا بالتالي اللقاء ببعضهما في وقت أسرع.

في اليوم التالي لاقتراحه، فتحت كريستيانا أبوابها. عادت لإنجاز المهام التي كانت ملتزمة بها. فعلت كل ما يفترض بها فعله، وما كان متوقعاً منها. الشيء الوحيد الذي لم تفعله هو الذهاب إلى حفلات العشاء مع والدها أو إلى مناسبات معه. ولم تجلس أيضاً في غرفة الطعام معه لوحده. لا يمكنها فعل ذلك. كانت تتناول القليل من الطعام هذه الأيام، وقلبها يؤلمها، وكانت تأكل في غرفتها على صينية، فيما الكلب برفقتها. لم يلحّ والدها عليها. كانا يومئان لبعضهما حين يلتقيان في الممرات، لكن لم يتحدث أي منهما مع الآخر.

الفصل 17

في بقية شهر أكتوبر وأوائل شهر نوفمبر، أنجزت كريستيانا واجباتها مثل الأميرة. بدأت أخيراً تتحدث إلى والدها مجدداً، وإن بالقليل من الدفء والكثير من التحفظ. لم يؤذها يوماً بهذا القدر في كل حياتها، والأسوأ من ذلك أنه يعرف ويشعر بالغضب من نفسه. كان يحاول منحها أكبر قدر ممكن من المساحة والوقت للتعافي. تأثر لأنها لا تزال تمارس واجباتها، لكنه حزن كثيراً لأنها لا تزال غاضبة منه، رغم أنه يفهم السبب تماماً، حتى أنه تعاطف معها. شعر فقط أنه لا يستطيع فعل أي شيء آخر نظراً للظروف. إنه وضع مستحيل حتى بالنسبة إليه. كان حبيس معتقداته، ومقتنعاً بأنه يفعل الشيء الصحيح لابنته.

تسبب فريدي بإحدى فضائحه في ذلك الحين. لقد تشاجر مع أحدهم في مارك كلوب. كان ثملاً جداً، مثل العادة، وطلب منه المغادرة، فأخرجه البواب قسراً، وتشاجر مع الشرطة، اعتقلته الشرطة إلاّ أنهم لم يسجنوه، وأطلقوا سراحه بعدما تدخّل محامو والده وأعادوه إلى القصر في اليوم التالي. بقي في فادوز في الإقامة الإجبارية طوال الأسبوع التالي، ثم عاد إلى فيينا لتوليد المزيد من الفوضى. أصبح مشكلة جدية بالنسبة إلى والده، وبعد ما قاله لها بشأن باركر، لا تريد التعاطي معه أيضاً في الوقت الحاضر. ليست على علاقة طيبة لا مع والدها ولا مع شقيقها. وأصبحت حياتها في فادوز موحشة أكثر فأكثر كل يوم. كانت تتوق بشدة إلى باركر، لكنّه لم يتوصل إلى اقتراحات بارعة مثلما وعد. لا يوجد في الواقع أي شيء، وهي تعرف ذلك، لكنّها ما

زالت مصرة على رؤيته مرة واحدة، لقول الوداع.

جاءت الفرصة أخيراً حين ذهب والدها إلى باريس لمدة أسبوع، لعقد اجتماعات مع الأمم المتحدة بسبب التوتر في الشرق الأوسط. وبصفته بلداً حيادياً، كانت إسهامات الليشتنشتاين مهمة، على رغم مساحته الصغيرة. وكان والدها رجلاً محترماً جداً على الساحة السياسية الدولية. إنه مشهور بصدقه وحكمه الصائب.

اتصلت بباركر ما إن غادر. كان ذاهباً إلى سان فرانسيسكو للاحتفال بالشكر خلال أسابيع قليلة، لكنّه قال إنه يستطيع المجيء إلى أوروبا للقائها أولاً. لا مجال أبداً للذهاب إلى باريس لأن والدها موجود هناك. لندن هي أيضاً مركز للصحافة. وتوصل باركر إلى اقتراح رائع أعجبها كثيراً.

"ما رأيك في البندقية؟"

"إنها باردة في الشتاء، لكنّها جميلة جداً. أحب ذلك". وثمة احتمال كبير أن تكون خالية ولن يكتشف أحد وجودهما. إنها مقصد العشاق خلال الربيع والصيف، وليس خلال الشتاء. بدا المكان مثالياً لهما، ولاسيما لكريستيانا. فالبندقية في الشتاء تبدو المكان المثالي لقول وداع مأساوي.

أنجزت ترتيباتها عبر الهاتف، وكان الأمر معقداً أكثر مما ظنت. وتوجب عليها أخيراً الوثوق في سكرتيرتها سيلفي لأنها احتاجت إلى بطاقة اعتماد القصر لدفع ثمن تذاكرها. وافقت على لقاء باركر هناك. قال ماكس وسام إنهما سيرافقانها، رغم أنهما ترددا قليلاً، لأنهما عرفا من ستلتقي هناك. أخبرتهما أنها ستتحمل كل المسؤولية، وركبا بعد يومين في الطائرة. طُلب من سيلفي أن تقول لوالدها إنها موجودة في منتجع صحي في سويسرا. لكنّه كان مشغولاً جداً مع الأمم المتحدة في باريس لكي يتصل.

غادرت بسرية تامة، وشعرت بالقليل من العصبية حيال ذلك. لكن مهما فعلوا بعد ذلك، أو مهما قالوا لها، عليها رؤية باركر للمرة الأخيرة.

حجزت لهما سيلفي في قصر غريتي. حجزا غرفتين، مثلما فعلا في

باريس، لكنهما خططا لاستعمال واحدة فقط. وكان ينتظرها في الفندق حين وصلت. اتصلت به، وجاء إلى غرفتها على الفور، وأصبحت بين ذراعيه. لم يكن يوماً أكثر جمالاً برأيها، ولا هي برأيه أيضاً. بكت حين رأته، وبعد لحظات جعلها تضحك. كانت أياماً من الضحك والبكاء، والحب اللامحدود.

كان الطقس جميلاً ومشمساً، وسارا أميالاً في كل مكان. ذهبا إلى دور العبادة والمتاحف، وتناولا الطعام في المطاعم الصغيرة والمقاهي العادية، وتجنبا كل الأماكن الراقية التي قد يلحظهما أحد فيها، رغم أن البندقية بدت مهجورة في تلك الفترة من السنة. مشيا في ساحة القديس مرقص، ونظرا إلى الحمام، وحضرا القداس في كاتدرائية القديس مرقص، وركبا في الغندول تحت جسر الأمنيات، فيما نظر إليها بسعادة. كان الأمر مثل الحلم بالنسبة إليهما معاً، ولم يشأ أي منهما الاستيقاظ.

"تعرفين ما يعني هذا، أليس كذلك؟" همس لها بعدما مرا ببطء تحت جسر الأمنيات. غنّى سائق الغندول لهما، وكانت كريستيانا مستلقية عليه، مسرورة تماماً، مغطاة ببطانية نتيجة هواء نوفمبر البارد.

"ماذا؟" بدت هادئة وحالمة فيما نظرت إليه مع ابتسامة. انتقلا من أفريقيا إلى باريس وهما الآن في البندقية، لكنّ الرحلة التي تشاركاها يجب أن تنتهي هنا. لم تكن تفكر في ذلك حينها، وكانت تشعر بالسعادة فقط.

سألها باركر فيما شدّها بالقرب منه: "حين نمرّ تحت جسر الأمنيات معاً، ننتمي إلى بعضنا البعض إلى الأبد. هذا ما تقوله الأسطورة، وأنا أؤمن فيها. ماذا عنكِ أنت؟"

قالت بهدوء: "وأنا أيضاً". لم يكن لديها شك بأنها ستحبه لبقية حياتها، لكنّها شككت في أن تراه مجدداً بعد ذلك. ثم التفتت للنظر إليه وأخبرته مجدداً كم تحبه، بحيث لا ينسى هو هذه اللحظات أيضاً. الفرق بينهما هو أنه في عقلها وقلبها كانت تحرره، للمضي قدماً وعيش حياة من دونها، كما لو أنها ستموت. لكن في الواقع، كان قلبها محكوماً بالإخفاق، وخاضعاً لسيطرة

والدها. سوف تعيش الحياة المفروضة عليها إلى الأبد، ثم تتقاعد بهدوء يوماً ما. لا تنوي أبداً الزواج من أمير قد يعرّفها عليه والدها في وقت لاحق. عرفت من دون تردد أن باركر هو حب حياتها. وفي براعته، فيما تجولا في البندقية، ممسكين بأيدي بعضهما ومقبلين بعضهما، لم يخطر لباركر ما يجول في فكرها. كانت تنوي إخباره في الليلة الأخيرة.

في يومهما الثاني في البندقية، تجولا في المتاجر تحت القنطرة. كانت بمعظمها متاجر للمجوهرات وبعض المتاجر للتحف القديمة. دخلا أخيراً إلى متجر صغير في الزاوية تحت القنطرة. كان هناك بعض الأشياء التي أرادت كريستيانا رؤيتها، فدخلا إلى المتجر، يداً بيد. كان صاحب المحل كبيراً في السن، وتحدثت إليه كريستيانا بالإيطالية عن الأشياء التي أرادت رؤيتها، فيما تجول باركر في أرجاء المحل، ثم لاحظ شيئاً معروضاً في علبة لفت انتباهه. كان محبساً ذهبياً رفيعاً مرصعاً بقلوب صغيرة من الزمرد. كان واضحاً أنه قديم جداً ومستعمل قبلاً، لكنّ لون الحجارة أنيق جداً، فأراه إلى كريستيانا وطلب منها أن تسأل الرجل عن سعره. قال سعراً منخفضاً جداً، وحين رآهما مذهولين كلاهما بالسعر الزهيد للخاتم مقابل جماله، اعتذر ورفع السعر أكثر. أشار إليه باركر ليخرجه من العلبة بحيث تتمكن كريستيانا من تجربته، وتأثرت. وضعه في إصبعها وكان حجمه ملائماً تماماً، كما لو أنه صنع خصيصاً لها أو كان ينتمي لها في حياة سابقة. بدأت حجارة الزمرد الخضراء الصغيرة تسطع جمالاً في يدها الصغيرة. ابتسم لها باركر، ودفع للرجل ثمنه، فيما نظرت إليه بذهول ومن ثم إلى الخاتم الجميل الذي تضعه.

"لا أعرف ماذا يسمونه حين يطلبون أميرة للزواج، خصوصاً حين يكون والدها رافضاً".

قالت وهي تبتسم: "خاتم المقصلة، حسب ما أظن". وضحك هو عالياً.

"بالضبط. هذا خاتم مقصلتنا، صاحبة السمو". قال مع انحناءة محترمة جداً، كما لو أنه فعلها قبل ذلك ألف مرة. "يوماً ما، سوف أستبدله بواحد

أفضل، إذا سمحوا لي. لكن في غضون ذلك، هذا لأظهر لك كم أحبك، وأنا جاد في ذلك. وإذا ذهبنا إلى المقصلة معاً، أو ذهبت لوحدي، هناك على الأقل شيء تتذكرينه مني".

قالت والدموع تملأ عينيها: "سوف أتذكرك دوماً باركر"، وللمرة الأولى، فيما نظرت إليه، أدركت أنه يعرف هو أيضاً الهدف من هذه الرحلة. إنها رحلة الوداع، إما إلى الأبد أو ربما لوقت طويل جداً. سيكون صعباً، إن لم يكن مستحيلاً، عليها أن تستمر في الهرب لرؤيته. لم يكن الأمر أقل من أعجوبة حين تمكنت من فعل ذلك هذه المرة. إنه يعرف تماماً ماذا يحصل، وكذلك هي. إنهما يخزنان الذكريات في الوقت الحاضر، إلى أن يلتقيا مجدداً، إذا تمكنا من ذلك يوماً ما. ومثل السناجب في الشتاء التي تجمع البندق لحفظها لأيام الجوع. سوف تبدأ حياة الجوع معهما يوم يغادران البندقية. حتى ذلك الحين، إنهما يحتفلان بوفرة حبهما. وجاء خاتم الزمرد الصغير ليؤكد ذلك، وحين وضعه في إصبعها وأخبرها أنه يحبها، أقسمت لنفسه وله أنها لن تخلعه أبداً. أطلقا عليه لاحقاً اسم خاتم المقصلة، وهذا ما جعلها تبتسم على الدوام.

زارا قصر دوج وقصر بيساني، ثم قصر بيسارو.

تشاركا آخر عشاء لهما في مطعم صغير على ضفاف إحدى القنوات الصغيرة. غنّى رجل أغاني الحب لهما، وعزف على مندولين، وأمسكا بأيدي بعضهما حين كانا لا يأكلان. أخذا الغندول للعودة إلى الفندق، ووقفا خارجاً لبرهة طويلة، تحت ضوء القمر، وهما ينظران إلى بعضهما. كل لحظة تشاركاها خلال الأيام القليلة الماضية ستبقى محفورة إلى الأبد في ذكرياتهما.

قال لها باركر: "علينا أن نكون قويين، كريكي، تعرفين ذلك". ومن دون أن تقول هي له الأمر بكلمات كثيرة، عرف تماماً أن هذه المرة الأخيرة التي سيكونان فيها مع بعضهما، إلى الأبد أو لوقت طويل جداً. "سأكون دوماً معك، في وقت ما بطريقة ما. وإذا ساورك الشك في ذلك يوماً ما، انظري إلى خاتم المقصلة، تذكري ذلك، وسوف نعثر على طريقنا لبعضنا في يوم من الأيام".

فيما استمعت إليه، عرفت أنه في يوم من الأيام سيتزوج امرأة أخرى، وينجب منها الأولاد، ويعيش حياة سعيدة. لا تستطيع تخيل نفسها وهي تفعل ذلك. لا تريد شيئاً في حياتها غيره هو. وكل ما أراده هو كانت هي.

قالت وكانت تعني كل كلمة تقولها: "سوف أحبك حتى يوم مماتي". فيما تمنى هو ألا يكون ذلك قبل وقت طويل طويل.

ثم مشيا ببطء ودخلا لإمضاء ليلتهما الأخيرة. مارس الحب معها، ثم ارتديا ثيابهما ووقفا على الشرفة ونظرا إلى البندقية تحت ضوء القمر. كان المنظر رائعاً جداً.

قالت، وهي تنظر إليه: "شكراً لأنك أتيت للقائي هنا". وشدها ببطء إلى ذراعيه.

"لا تقولي هذا لي. أنا مستعد لأقطع العالم لأجلك. حين تريدين رؤيتي، اتصلي بي، وسوف أحضر بسرعة". اتفقا على أن يستمرا في التواصل مع بعضهما بالبريد الالكتروني. لا تستطيع تخيل حياتها من دون الاتصال به، حتى لو لم تتمكن من رؤيته مجدداً. وعدته بالاتصال به لأنها بحاجة إلى سماع صوته أيضاً. يستطيع والدها أن يمنعهما من رؤية بعضهما، لكنّه لا يستطيع منعهما من أن يحبا بعضهما. وحده الوقت يستطيع ذلك. وفي الوقت الحاضر، ما زالا مغرومين جداً ببعضهما.

ناما في ذراعي بعضهما تلك الليلة، يتململان بين الحين والآخر، يلمسان بعضهما، يتحسسان نفَس بعضهما على وجنتيهما فيما ناما ملتصقين. لم يشبعا من الإحساس ببشرة بعضهما، أو من النظر في عيني بعضهما.

وقفا في الحمام معاً في الصباح، وتركا الماء يجري عليهما، ثم ... للمرة الأخيرة. كانا يأخذان كل ما بوسعهما معهما. سيكون شتاء طويلاً وقاسياً لوقت طويل جداً من دون أن يلمسا بعضهما. كل ما يملكانه الآن هو حب بعضهما.

لم يكن هناك أي من البابارازي حين غادرا. لم يقل لهما أحد أي شيء

أو يطرح عليهما أي سؤال. تركهما ماكس وسام لوحدهما طوال الأيام الثلاثة. أمضى الحارسان وقتاً جيداً وهما يزوران البندقية معاً، وحين عبرا تحت جسر الأمنيات، مازح صاموئيل ماكس بالقول إن هذا يعني بقاءهما مع بعضهما إلى الأبد. وسأله ماكس ما إذا كان يريد أن يقتل الآن أو لاحقاً. لكنهما شعرا بالحزن حين شاهدا الطلة على وجهي كريستيانا وباركر حين غادروا إلى المطار. كان هناك صمت تام في الغندول، ومن ثم في السيارة، فيما غادروا البندقية ومشى الرجلان بعيداً فيما ودّع العاشقان بعضهما.

قال باركر وهو يمسكها بقوة بين ذراعيه: "أحبك، تذكري خاتم المقصلة وما يعنيه. أنا مستعد للموت من أجلك، كريكي. ومن يعرف ماذا يحصل في الحياة؟ قد تجدي نفعاً إحدى الشموع التي أشعلتها".

قالت بنعومة، وهي تتشبث به للدقائق الأخيرة: "أنا أعتمد على ذلك". ثم توجب عليها الرحيل. كانت رحلتها هي الأولى، وقبّلته مجدداً ومجدداً حتى رأى ماكس وسام أنه يجدر بهما جرّها بعيداً. "أحبك... سوف أتصل بك حين أصل إلى المنزل".

"سأكون هناك، حينما تريدينني، وهنا". لمس قلبه كما فعل حين تركها في أفريقيا. في قلبه، لم يتركها منذ ذلك الحين، أو حتى قبلاً.

قبّلا بعضهما للمرة الأخيرة، وشعرت كما لو أنها تسحب روحها من روحه، فمشت بعيداً نحو الطائرة. التفتت مرة واحدة، ولوّحت له، ورفعت رأسها عالياً، وألصقت عينيها بعينيه. لمست قلبها وأشارت إليه. أومأ إليها برأسه، من دون أن يفلت أبداً عينيها، ثم التفتت وصعدت إلى الطائرة.

الفصل 18

لم تتفوه كريستيانا بأية كلمة على الطائرة في الطريق من البندقية إلى زيوريخ. نظرت مرات عدة إلى الأسفل ولمست الخاتم الصغير في يدها مع قلوب الزمرد. لاحظه الرجلان، وتساءلا ما إذا كان العاشقان قد تزوجا في البندقية، لكنهما لا يظنان أنهما فعلا. بدا جلياً أن هذا الخاتم يحمل معنى كبيراً بالنسبة إليها. ابتسمت لهما حين وصلا إلى زيوريخ، وشكرتهما معاً على قدومهما إلى البندقية معها. ثمة شيء هادئ جداً فيها، حزين وبعيد، كما لو أن قلبها وروحها بقيا مع باركر، وعادت القشرة فقط إلى فادوز، وهذه هي الحال في الواقع.

كانت صامتة مجدداً حين وصلوا إلى القصر في فادوز بعد ساعتين. مشت السيارة ببطء، ولم تكن مستعجلة للعودة إلى القصر على في أية حال. كانت ثلاثة أيام رائعة في البندقية مع باركر، وكل ما لديها الآن هو قضاء حياتها هنا في السجن. تفضل المقصلة على ذلك. حياة من الواجبات الأبدية، لوالد حرمها من أحلامها، إكراماً لإرثها الملكي. بدا هذا ثمناً باهظاً جداً تدفعه ثمن من تكون، وهي لا تريد أن تكون ذلك.

كان الكلب خارجاً في الفناء حين وصلوا. قفز عليها، وربّتت عليه. تبعها إلى الداخل، وصعدت إلى الأعلى إلى غرفها. لم يقل لها أحد أن والدها ما زال في الخارج، ويفترض أن يعود بعد الظهر. كان توقيتهما مثالياً.

كانت سيلفي في مكتبها ونظرت إليها، ولم تطرح أية أسئلة. فهي لا تريد التجسس. سلّمت كريستيانا لائحة واجباتها لليوم التالي وبقية الأسبوع. لم يكن

هناك شيء غير اعتيادي في اللائحة، وبدا كل شيء مضجراً إلى أقصى حدّ.

قالت سيلفي بحذر، فيما نظرت إليها كريستيانا وهزّت رأسها: "أفترض أنك لم تشاهدي الأخبار". لاحظت سيلفي خاتم الزمرد الصغير أيضاً ولم تقل أي شيء. "أذهل والدك الجميع حين ألقى خطاباً تاريخياً في اجتماعات الأمم المتحدة". انتظرت كريستيانا لسماع الباقي من دون تعليق. شعرت سيلفي بالشيء نفسه مثل ماكس وسام، وهو أن جسم كريستيانا عاد، لكنّها لم تكن فعلياً هنا. بدت مثل آلة في حركاتها، وخالية من أي شعور. كان قلبها وروحها في الطائرة إلى بوسطن مع باركر.

"أي نوع من الخطب؟" سألت كريستيانا أخيراً، من دون اهتمام فعلي. لكنّها عرفت أنه يجدر بها البقاء على اطلاع على المواقف السياسية لبلدها، والمواقف التي يتخذونها في السياسات الدولية، ولاسيما في الأمم المتحدة. كانت الاجتماعات في باريس مهمة بشأن التعاطي مع مسائل الشرق الأوسط.

"اتخذ موقفاً قوياً جداً، نسبة إلى بلد حيادي، حول كيفية حل بعض المسائل. كان هناك الكثير من الحديث والجدل حوله. سئل كل سياسي ورئيس دولة في العالم عن رأيه في الموضوع. أعلن بعض الإجراءات القوية جداً. صدرت الكثير من الانتقادات من بعض الجهات، والكثير من المديح من جهات أخرى. سوف يعجّ المكان بالصحافة حين يصل إلى هنا. قال لي أحد مساعديه إن لديه أربع مقابلات اليوم. لكنّ الإجماع العام يقول إنه كان شجاعاً جداً، ولا بد من قول ذلك. أظن أن المفاجأة هي أن أحداً لم يتوقع أن يأتي هذا الكلام منه". في ظروف أخرى، كانت كريستيانا لتشعر بالفخر به. لكنّها خدرة جداً الآن، ولذلك لم تكترث.

كان هناك أيضاً عشاء رسمي تلك الليلة، في القصر، وللمرة الأولى منذ أكثر من شهر، وافقت كريستيانا على حضوره. هذه هي الحياة التي كتبت لها، وسلمتها إلى باركر. تماماً مثل والدها، إنها تقوم بواجبها. هذا كل ما تركته.

بقيت في غرفها بعد ذلك، وأفرغت حقائبها بنفسها، ونظرت إلى صورة

فيونا التي احتفظت بها على منضدتها. كانت صورة لها وهي تضحك، مع عينين مليئتين بالمفاجأة المرحة، وفمها مفتوح في قهقهة من الضحك. هكذا، تريد كريستيانا أن تتذكرها. كان هناك آخرون من الفريق في سيناف، لكنّ هذه الصورة المحددة لفيونا كانت عزيزة على قلبها. جعلتها تفكر فيها على أن سعيدة إلى الأبد. وكانت هناك صورة أخرى لباركر، وهو ينظر إليها مباشرة، في السروال القصير، والجزمة العالية، وقبعة رعاة البقر التي استعملها في المخيم. نظرت إلى كل الصور، ومن ثم إلى خاتمها.

لم ترَ والدها حتى العشاء الرسمي تلك الليلة. كان مليئاً بالحياة وبدا مسروراً جداً بنفسه. لقد أدى خطابه إلى زوبعة من التعليقات في باريس وحول العالم. أحيطوا بالصحافة لأيام عدة، الأمر الذي تجنبته كريستيانا تماماً. ذهبت لأداء عملها بهدوء وفعل ما هو مطلوب منها. التقت عيونهما ذات مرة عبر الطاولة خلال العشاء، ثم تفادته. لم تطلب أن يجلسوها قربه، ورغم رفضها للتواجد هناك، وجدت شركاء ممتعين خلال العشاء وأمضت سهرة ممتعة. ستكون هذه الأمسيات طويلة جداً من دون باركر. يصعب التصديق الآن أن الليلة الفائتة أمضتها معه في البندقية.

بمحض الصدفة، كانت تصعد ووالدها في نفس الوقت إلى الجناح الخاص بكل منهما. سمعت خطاه وراءها، فالتفتت لتنظر، والتقت عيناها بعينيه، فيما توقفت على السلالم وصعد هو بهدوء ووقف بالقرب منها.

قال بهدوء وعرفت إلى ما يشير: "أنا آسف، كريكي".

"أنا أيضاً". أومأت برأسها، والتفتت وصعدت السلالم إلى جناحها الخاص، وأغلقت الباب بهدوء، فيما توجه والدها إلى جناحه الخاص.

لم ترَه مجدداً إلا بعد يومين. توجب عليها إحضار ورقة من مكتبه، وشاهدته يجري مقابلة. كان منهمكاً جداً في الأوراق هذه الأيام، يدعم الموقف الذي اتخذه، رغم أنه بات يثير الجدل أكثر فأكثر كل يوم، ولاحظت أنهم زادوا حراسة القصر بطريقة حذرة. لديه ثلاثة حراس شخصيين يذهبون معه أينما

كان، وأصبح فجأة لكريستيانا حارسان. رغم عدم وجود مخاطر مباشرة، بدا ذلك أمراً حذراً، ولاسيما حيالها هي كما رأى هو دوماً. لقد أثار غضب الكثير من الأشخاص، رغم أن عدداً كبيراً من الناس أعجب بالموقف الذي اتخذه. كانت كريستيانا لا تزال غاضبة منه، وستبقى كذلك لوقت طويل، لكنّها أعجبت بشجاعته في الأمم المتحدة. إنه رجل شجاع وصاحب مبادئ قوية.

تحدثت إلى باركر مرات عدة بعد أن وصل. بدا متعباً، وإنما ودوداً دوماً حين تتصل به. كانت رسائله الالكترونية مرحة وممتعة. وفي بعض الأحيان، كان يرسل لها النكات التي تجعلها تضحك بصوت عالٍ. في أغلب الأحيان، كان يخبرها بما يقوم به، وكيف تجري الأبحاث، وكم يشتاق إليها. قالت له الأشياء نفسها.

خلال الأسبوعين التاليين، كانت مشغولة جداً في القصر. افتتحت بعض المشاريع الجديدة، واستمرت في إنجاز واجباتها الاعتيادية، وبدأت تتحدث إلى المؤسسة بشأن العمل معهم. قررت ألا تدرس في باريس خلال الربيع. أرادت الذهاب للعمل مع المؤسسة التي أنشئت تخليداً لذكرى أمها. هذا هو الشيء الوحيد الذي تهتم به، ويجعلها تشعر بالقيمة. وفي الأسبوع الذي التقت بهم، كان باركر في سان فرانسيسكو لتمضية عطلة الشكر. إنها عطلة استمتعت بها كثيراً حين كانت في بيركلي. ذهبت إلى منازل الأصدقاء في كل سنة، وتمنت لو أنها تستطيع أن تكون معه الآن مع والده وشقيقه. لكنّ هذا لن يحدث أبداً.

تحدثت إليه للتو ثم خرجت مع الكلب ولاحظت أن شقيقها وصل. لقد جاء في سيارة فيراري جديدة، حمراء اللون. وحين رآها، بدا في مزاج جيد، رغم أنها كانت لا تزال غاضبة منه أيضاً بسبب تعليقاته على وقوعها في شباك البابارازي في باريس. كانوا فظين وغير لطيفين معها، حتى فريدي.

"كيف حالك، صاحبة السمو؟" مازحها ووجهت إليه نظرة غاضبة ثم ضحكت.

"هل يجدر بي استعمال لقبك الآن؟" ضحكت له. كان مستحيلاً فعلاً، لكنه

شقيقها.

"طبعاً. أتوقع منك الانحناء أيضاً. سوف أحكم هذا القصر يوماً ما، تعرفين ذلك".

"أحاول ألا أفكر في ذلك". لن يملك الشجاعة أبداً لفعل ما قام به والدهما للتو على الصعيد العالمي، أو معرفة كيفية القيام بذلك. لقد رسم والدهما خطاً رفيعاً بين قوى الحرب والآراء، ونجح في أن يبدو مثل البطل. حتى باركر تأثر، رغم أنه لم يكن سعيداً منه هذه الأيام.

سألها فريدي، وهو يغير الموضوع: "ما رأيك في سيارتي الجديدة؟"

علّقت مع ابتسامة: "جميلة. تبدو باهظة".

"تقول الإشاعات إنني أستطيع شراءها، أو والدي على الأقل. اشتريتها للتو من زيوريخ". توجب عليها الاعتراف أنها سيارة جميلة، رغم أنه يملك سيارتين مماثلتين لها تقريباً، باللون نفسه. بدا أنه يملك شهية لامتناهية للسيارات السريعة والباهظة، وكذلك النساء السريعات والباهظات. لديه امرأة جديدة بين ذراعيه في الوقت الحاضر، وربما أخريات لم يسمع أحد بهنّ بعد. لديه حريم متبدل باستمرار. "هل تودين الركوب؟" عرض عليها بحماس، فيما ضحكت وهزت رأسها. فالطريقة التي يقود بها السيارات تجعلها تشعر بالدوار. حتى الكلب هرب بعيداً حين فتح باب السيارة.

"أودّ ذلك. لاحقاً. لديّ موعد الآن". كذبت عليه وأسرعت عائدة إلى القصر.

كما تبين لاحقاً، تناولوا العشاء هم الثلاثة معاً تلك الليلة. كان الجو متوتراً قليلاً، لأن والدهما منزعج حالياً من شيء قام به فريدي، ولا يريد مناقشته أمام كريستيانا. جلست معهما بهدوء، مستمتعة برفقتهما للمرة الأولى منذ شهرين، منذ الحادثة مع باركر. جاء شهر ديسمبر، وكانوا يتحدثون عن مشاريعهم في غشتاد خلال العطلات. بدوا مثل عائلة عادية لمرة واحدة. لم يتحدث أحد عن السياسة، أو السياسات الاقتصادية، أو حتى ما ارتكبه فريدي

مؤخراً من حماقات. كانوا مرتاحين جداً، وضحكت كريستيانا على نكات أخيها، وحتى والدهما ضحك قليلاً، رغم أن بعض النكات كانت مهينة نوعاً ما، لكنّها مسلية كما هي الحال دوماً. كان فريدي بلا شك مهرّج العائلة.

حين انتهوا من العشاء، حاول التحدث إلى كريستيانا وإقناعها بالركوب معه في السيارة الجديدة. لكنّ الطقس بارد خارجاً، والطريق مكسوة بالجليد ربما. لقد تساقط الثلج للمرة الأولى قبل أيام قليلة. شعر فريدي بالكثير من الإهانة لأنها لم تقبل دعوته، والتفت إلى والده.

"ماذا عنك، والدي؟ هل ترغب في جولة سريعة قبل النوم؟" كان والده على وشك أن يقول لا، لكنّه يمضي وقتاً قليلاً معه عموماً، ويغضب منه غالباً، ولذلك تردد هانس جوزف وبدا وكأنه يفكر في ضرورة بذل الجهد. فهو يكون دوماً مشغولاً جداً للقيام بمثل هذه الأمور خلال النهار.

"إذا وعدتني بأن الجولة هي لدقائق قليلة فقط. لا أريد أن أنتهي في فيينا فيما تثبت لي فاعلية المحرك".

قال فريدي، وهو يبدو مسروراً، مع ابتسامة لشقيقته: "أعدك". تلك الليلة كانت شبيهة بالأيام الغابرة، حين كان الولدان أصغر سناً. كان فريدي يعشق السيارات الرائعة منذ ذلك الحين. لم يتغير الكثير، سوى أن كريستيانا نضجت فيما لم ينضج هو. علّقت على هذا الأمر خلال العشاء، ومازحها بمناداتها أختي الكبيرة، رغم أنه أكبر منها بعشر سنوات، أي بعمر باركر تماماً.

خرج والدهما إلى القاعة، وطلب من أحد الرجال إعطاءه المعطف، ثم عاد معه بعد برهة. لقد شرب فريدي ما يكفي خلال العشاء بحيث لا يحتاج إلى واحد. لحقت بهما كريستيانا إلى الخارج. كان تشارلز، كلبها، نائماً في الأعلى في غرفتها.

كان الحراس في الخارج يتحدثون مع بعضهم بطريقة عادية. لقد بدلوا مناوباتهم للتو، ولم ينتبهوا إليهم أولاً حين خرجوا. رأت كريستيانا أن ظهورهم مع بعضهم عفوي بإفراط، نظراً للزيادة الحالية في احتياطات الأمن في القصر

بسبب تركيز السياسات العالمية على والدها في الوقت الحاضر. خلال دقائق معدودة، جاء الحرس المسؤولون عن الأمن للتحدث معهم، لكنّها رأت أنهم أخذوا وقتاً طويلاً لكي يصلوا إليهم. لم تشأ قول أي شيء حينها وإحراجهم، لكنّها ستذكر الأمر أمام سيلفي في الصباح وجعلها تبلغهم بذلك.

قال والدهما مازحاً: "هل أستطيع الافتراض أنني سأستمتع بجولة حضارية معك، فريدريك؟" كان في مزاج جيد بعد العشاء الجميل. "أو هل أحتاج إلى طبيب ليصف لي المهدئات بعدما أعود؟" هذه هي طريقته في تحذير فريدي لعدم السير بسرعة 150 ميلاً في الساعة.

"أعدك. ستكون جولة جميلة".

"لا تخف كثيراً بابا". حذرته كريستيانا، فيما دخل الرجلان إلى السيارة الطويلة والمنخفضة والجميلة بشكل مذهل، والتي بدت أشبه بالرصاصة.

أغلقا البابين، ولوّح لها والدها من النافذة المغلقة، والتقت عيناه بعينيها لبرهة. ثمة شيء حزين فيهما، كما لو أنه كان يقول لها كم يشعر بالأسف حيال موقفه تجاه باركر. عرفت أنه لن يغير رأيه، لكنّه أسف على الحزن الذي سببه لها. وفيما نظرت إليه وأومأت برأسها، كما لو أنها تقول له أنها فهمت، تحسست خاتم باركر في إصبعها، وانطلقت السيارة القوية، فيما ضغط فريدي بقوة على دواسة الوقود. لم تشاهد قبلاً أية سيارة تقلع بهذه السرعة. كانت على وشك العودة إلى الداخل لأنها شعرت بالبرد، لكنّها قررت الوقوف والمراقبة لدقيقة. تساءلت ما إذا نجح فريدي في إخافة والدها أم بعد. كان هو أيضاً يحب السيارات السريعة في شبابه- قد يكون الأمر وراثياً- لكنّ والدها لم يحب أبداً النساء السريعات، وإنما فقط أمها، حتى اليوم.

كانت تراقبهما مع ابتسامة على وجهها، متسائلة متى سيعودان، وفيما وقفت هناك، أبطأ فريدي السيارة، بحيث يستطيع الإلتفاف عند منعطف في الطريق، وفيما فعل، وظهر ضوء الفرامل، صدر صوت انفجار قوي جداً بحيث بدا وكأن السماء تنزل على الأرض. في الوقت نفسه الذي سمعت فيه

كريستيانا الصوت، ظهرت فجأة كرة نارية عملاقة من المكان الذي كانت فيه السيارة، واختفى فعلياً والدها وفريدي والسيارة. فتحت فمها فيما نظرت إلى المشهد، ولم يتحرك أحد، ثم بدأ الجميع يركضون فجأة. ركض الحراس فوراً إلى الطريق بأسرع ما يمكنهم، فيما قفز آخرون إلى سيارات وأسرعوا نحو مكان الانفجار، وبدأت كريستيانا تركض. كان قلبها يخفق بشدة، ورأت فجأة أمام عينيها فيونا مستلقية في الوحل... بقيت تركض وتركض... انطلقت فجأة الصفارات في الهواء، وركض الرجال بسرعة متجاوزينها، واستعرت النيران بشدة. وصلت إلى المكان الذي كانت فيه السيارة في الوقت نفسه تقريباً مع الرجال. كانوا يتدافعون في كل مكان، ووصلت سيارات إطفاء القصر، وراح الرجال الذين يمسكون بالخراطيم يقذفون الماء في كل مكان، وسحب أحدهم كريستيانا إلى الخلف. ثم جرّها بعيداً فيما حدّقت فيهم جميعاً. كل ما استطاعت رؤيته هو النار المستعرة، في كل الهواء تقريباً، من دون أية سيارة، مع حفرة كبيرة محترقة في الأرض تحت المكان الذي كانت فيه. لقد اختفى فريدي ووالدها في الجو. وضع أحدهم قنبلة تحت سيارة فريدي. لقد اختفت كل عائلتها.

الفصل 19

بعد ذلك، لم يعد باستطاعة كريستيانا تذكر ما حصل، ليس مثل اليوم الذي ماتت فيه فيونا. تذكر أنها عادت مشياً إلى القصر، فيما ركض الناس في كل مكان، واصطحبها اثنان من رجال الأمن إلى غرفتها وبقيا هناك معها. ظهرت سيلفي، ووجوه أخرى تعرفها، ووجوه لم يعد باستطاعتها تذكرها. جاء رجال الشرطة وذهبوا، وخبراء المتفجرات، وجنود. وصلت شاحنات من الرجال المرتدين ثياب مكافحة الشغب، والشرطة السويسرية، وسيارات الإسعاف، وشاحنات تخص محطات الأخبار. لم تكن سيارات الإسعاف ضرورية. لا يمكن العثور حتى على فتات صغير لوالدها وشقيقها. في الساعات الأولى، لم يتبنَّ أحد مسؤولية القنبلة، ولم يكشفوا عن أنفسهم لاحقاً. لقد كان ثمن شجاعة والدها في اجتماعات الأمم المتحدة باهظاً جداً. لا بد أنهم وضعوا القنبلة في وقت ما بين الوقت الذي وصل فيه فريدي وبعد العشاء. لكن إذا وضعوها تحت سيارته، يعني ذلك أنهم لم ينووا أبداً قتل الأمير الحاكم، وإنما ربما ولي العهد فقط كرسالة تحذيرية لوالدها. لكن مع حماس فريدي حيال السيارة الجديدة، والعشاء العائلي الودود، نجحوا في قتل الأمير الحاكم أيضاً، بمحض الحظ السيئ.

كان القصر والأماكن المحيطة به تعج بالرجال الذين يرتدون البذلات طوال الليل، وكما لو أنها مصابة بالدوار، أصرّت كريستيانا على ترك غرفتها مع حراسها والمشي بينهم. ما إن غادرت القصر، حتى شاهدت سام وماكس يركضان نحوها. من دون التفكير أو قول أية كلمة، أخذها ماكس بين ذراعيه

وبدأ يبكي، فيما وقف سام والدموع تنهمر على وجنتيه. لقد انتمى هذان الرجلان إلى العائلة منذ أعوام، وكل ما استطاعت كريستيانا فعله هو التحديق مرة جديدة في الحفرة السوداء التي لا تزال تحترق حيث كانت السيارة عندما انفجرت.

في البداية، أدرك عدد قليل فقط من الأشخاص أن الأمير هانس جوزف كان في السيارة؛ فلقد ظنوا أنه فريدي فقط، وكان هذا سيئاً كفاية. لكنّ الخبر انتشر بسرعة، وانتقل عبر الحراس الذين شاهدوه يدخل إلى سيارة الفيراري مع ابنه. كانت مأساة مزدوجة وخسارة مزدوجة للبلاد، والعالم، تلك الليلة. أحيطت كريستيانا بالحراس الذين يحملون مسدسات، مع ماكس وسام على جانبيها، فيما جالت تائهة. رفضت العودة إلى القصر. بدت وكأنها تريد البقاء بالقرب من المكان الذي كانا فيه حين اختفيا في الهواء، بحيث تتمكن نوعاً ما من إرجاعهما أو العثور عليهما. كان يستحيل فهم مضاعفات كل ما حدث، وكل ما يعني ذلك بالنسبة إلى الليشتنشتاين. نظرت إلى سام وماكس، ورأتهما يبكيان، فبدأت تدرك أنها خسرت شقيقها ووالدها. أصبحت يتيمة ولا يملك بلدها أي قائد.

"ماذا سيحصل؟" سألت ماكس وهي تبدو مذعورة.

"لا أعرف". قال بصدق. ما من أحد يعرف. فبالإضافة إلى المأساة الشخصية التي طالتها، كانت تلك معضلة سياسية عملاقة بالنسبة إلى البلد. بالفعل، كان فريدي الوريث الذكر الوحيد للأمير الحاكم، ولا تعتبر النساء مؤهلات لوراثة العرش. لا يوجد فعلياً أي شخص ليتولى منصبه.

لم تخلد كريستيانا إلى السرير أبداً تلك الليلة. ما زال يستحيل عليها فهم ما حصل. كان مراسلو الأخبار في كل مكان، والخدمات السلكية ترسل المذيعين. فبعد خطابه المميز في الأمم المتحدة، أصبح هانس جوزف جزءاً أساسياً من الأخبار، وتم اعتبار انفجار السيارة بمثابة خبر عالمي مهم. لا شك في أن الحدثين يرتبطان جداً ببعضهما. لحسن الحظ، نجحت مجموعة من

الحراس في حماية كريستيانا من فرق الأخبار.

في مرحلة ما من منتصف الليل، صعدت كريستيانا إلى الأعلى وساعدتها سيلفي على ارتداء ثياب الحداد السوداء. عادت ونزلت إلى الأسفل، وكان كل مساعدي وأمناء سر والدها موجودين هناك، يدونون الملاحظات ويجرون الاتصالات بطريقة مسعورة. لم تكن لديها فكرة بمن يتصلون أو ماذا يفعلون. جاء مساعده الرئيسي إليها، فيما جالت هي مثل الشبح التائه، وأخبرها أنه يجدر بهم إجراء الترتيبات.

"ترتيبات ماذا؟" بدت ضائعة. كانت مصدومة. بدت كفوءة وعاقلة، لا بل هادئة، لكنّها لم تفلح في فهم ما حصل. كل ما بقيت تفكر فيه هو أن بابا رحل. شعرت مجدداً أن عمرها خمس سنوات، واستطاعت فجأة تذكر كل ما حصل صباح اليوم الذي ماتت فيه أمها... والآن فريدي... المسكين فريدي... رغم كل حماقاته، لقد رحل الآن هو أيضاً. أصبحت وحيدة تماماً في العالم.

كانت تجلس في مكتب والدها مع أمناء سره فيما الحرس المسلحون موجودون في الغرفة حين وصل أعضاء برلمان والدها. لقد جاءوا كلهم، أي الخمسة والعشرون، وكانوا يرتدون جميعاً سترات سوداء وربطات عنق سوداء، مع عيون منهكة. كانوا مع بعضهم، في مجموعات صغيرة، في منازل بعضهم البعض طوال الليل، يشاهدون الأخبار ويبكون ويناقشون ما يجب فعله. ثمة مشكلة كبيرة، مشكلة لم يواجه البلد مثلها قبلاً. لم يعد يوجد أمير حاكم، ولا يوجد أحد ليرث الحكم لأنه مات مع ولي العهد، ولا يمكن التفكير في النساء، حسب الدستور. بالإضافة إلى المأساة الشخصية الكبيرة التي حصلت تلك الليلة، ثمة كارثة كبيرة على البلد أيضاً.

"صاحبة السمو". تحدث رئيس الوزراء إليها برفق. لاحظ أنها ليست في حالة تتيح لها الكلام. لكن لم يكن لديهم أي خيار. إنهم مجتمعون منذ الرابعة فجراً، بعد ساعات قليلة من تبلغهم الخبر، وانتظروا حتى الساعة الثامنة للمجيء إلى القصر. بقي الجميع، بما في ذلك كريستيانا، مستيقظين طوال

الليل. كان القصر يشع بالأنوار في ظلمة نوفمبر. "صاحبة السمو، علينا التحدث إليك". قال رئيس الوزراء مجدداً. كان هو العضو الأكبر بين الأعضاء الخمسة والعشرين وكان محط ثقة والدها. "هل تجلسين معنا؟" أومأت برأسها، وهي لا تزال تبدو مذهولة، وأخلوا الغرفة إلا من الحراس الذين كانوا يحملون الأسلحة. لا يعرف أحد ما يمكن توقعه لاحقاً، أو ما إذا كان تفجير السيارة حادثاً فردياً، أو نذيراً باعتداء أوسع، أو حتى بهجوم على القصر. كان هناك جنود سويسريون يحملون الأسلحة داخل القصر وخارجه. قدمتهم الحكومة السويسرية على الفور وأرسلتهم من زيوريخ.

جلست كريستيانا، وهي تحدق في أعضاء البرلمان، فيما جلسوا جميعاً على كراسيهم حول الغرفة. إنهم يجلسون في ما كان مكتب والدها، وشعرت بالغرابة لأنه ليس موجوداً. تساءلت لبرهة أين هو، ثم تذكرت كما لو أن انفجاراً ثانياً حصل في عقلها. تذكرت أكثر من أي شيء آخر تلك النظرة التي تبادلاها مباشرة قبل انطلاق شقيقها في السيارة. نظرة الاعتذار والندم التي ستطاردها طوال حياتها، إضافة إلى الجدال المرّ الذي أنشأ هوة بينهما طوال شهرين. لم يتعافيا بعد من تلك الأزمة، لكنّ الجروح بدأت تشفى تلك الليلة، وها هو قد رحل الآن. بقيت تقول لنفسها إنها لن ترى أياً منهما مجدداً، ووجدت استحالة في استيعاب الأمر.

"علينا التحدث إليك. نحن جميعاً متأثرون جداً وحزينون كثيراً على خسارتك الهائلة. إنه شيء فظيع يتجاوز حدود التفكير. تقبلي منا أرجوك أعمق التعازي، منا جميعاً". أومأت برأسها، وهي عاجزة عن الكلام فيما انهمرت الدموع من عينيها. كانت في الواقع فتاة في الرابعة والعشرين خسرت للتو كل العائلة التي كانت لديها. ولا يوجد أحد لمواساتها، وحدهم هؤلاء الرجال الذين يريدون التحدث إليها. تعرفت إلى كل واحد منهم فيما نظرت حول الغرفة. كل ما استطاعت فعله هو الإيماءة برأسها. إنها صدمة لا يمكن وصفها، وهم يدركون جميعاً ذلك. كان وجهها شاحباً جداً، وبدت شفافة تقريباً.

"لكن علينا التحدث إليك بشأن العرش أيضاً. فبلدنا لا يملك أي قائد. إنه وضع يجب حله على الفور، حسب دستورنا. فمن الخطير ألا يكون أحد مسؤولاً عنا، خصوصاً في الوقت الحاضر". في الوقت الحاضر، تم تعيين رئيس الوزراء لمعالجة أية كارثة وطنية، وهذه فعلاً واحدة. لكنهم شعروا جميعاً بعدم الارتياح لعدم وجود أحد يملأ الكرسي الذي تركه والدها شاغراً فجأة وعلى نحو غير متوقع. "هل تستطيعين فهم ما أقوله لك، صاحبة السمو، أم أنك منزعجة جداً؟" تحدث إليها كما لو أنها أصبحت فجأة صمّاء. في الواقع، كانت تشعر بتعاسة كبيرة لأنها أصبحت فجأة محرومة من كل شيء. لكنّها ما زالت قادرة على الفهم، إن لم يكن على الإجابة.

أخيراً، أجبرت الكلمات على الخروج من فمها، للمرة الأولى تقريباً منذ حصول الكارثة. "أفهم". استطاعت القول.

"شكراً، صاحبة السمو. ما نريد مناقشته معك هو من سيتولى وراثة العرش". كان مطلعاً تماماً على تاريخ عائلتها، ويعرف كل فرد من الأفراد المئة في البلاط الملكي العائلي. "لديك أقارب عدة في فيينا يأتون مباشرة في تسلسل الوراثة. إنهم مرتبطون بك، طبعاً، لجهة والدك. لكن في الواقع حين راجعت اللائحة في الليلة الماضية، وجدت ان أول سبعة منهم على الأقل، أو حتى ثمانية أو تسعة منهم، غير ملائمين أبداً لتولي العرش. فجميعهم كبار جداً في السن ويعانون من الأمراض. والعديد منهم لم ينجبوا أي أولاد، ولا ينتقل الإرث بالتالي عبرهم. والعديد من الباقين في اللائحة هم من النساء. وأنت تعرفين قوانيننا بشأن وراثة النساء. علينا إذاً الانتقال إلى ما بعد المرتبة العشرين في تسلسل الوراثة، أو حتى المرتبة الخامسة والعشرين، للعثور على رجل في العمر الملائم، وبصحة جيدة، ولست واثقاً حتى من أنه سيقبل. إنهم جميعاً نمساويون، ولا يملك أي منهم روابط وثيقة مع الليشتنشتاين، مما يقودنا إلى موقع مهم جداً.

كان والدك رجلاً عصرياً جداً، أو مزيجاً مثيراً بين الاثنين. فقد احترم

كل تقاليدنا المبجّلة، وآمن في كل شيء ناضلت من أجله هذه البلاد طوال ألف عام. لكنّه في الوقت نفسه أنشأ عدداً من الأمور الجديدة والأكثر حداثة من دون التخلي عن الأمور القديمة. رأى أنه يجدر بالنساء الحصول على حق الاقتراع، قبل فترة طويلة جداً من منحهن هذا الحق. وكان يحترمك كثيراً، يا صاحبة السمو. أخبرني مراراً كم أنت مهتمة بسياساتنا الاقتصادية، والاقتراحات الذكية جداً التي قدمتها، خصوصاً بالنسبة إلى فتاة شابة في عمرك". لم يذكر أبداً شقيقها فريدي، والأمر غير ملائم الآن، لكن الأمير الحاكم قال دوماً للعديد من وزرائه إنه لو لم تكن القوانين الحالية موجودة، لكانت كريستيانا مؤهلة لاستلام العرش أفضل من شقيقها. "لدينا مشكلة كبيرة هنا". تابع قائلاً، بعد أن توقف لالتقاط أنفاسه. "لا نملك أحداً مرتبطاً مباشرة بوالدك، ويكون بالفعل الخيار الصحيح لوراثة العهد. وكما نعرف جميعاً، تنتقل هذه الأمور بالدم، وليس بالمهارة في أغلب الأحيان. لكن إذا أردنا اتباع سلسلة الأسلاف المباشرين للعثور على شخص بالعمر والجنس الصحيحين، سنضطر إلى النزول كثيراً في تراتبية الوراثة. لا أظن أنه خطر في بال والدك، ولم يكن يجدر به ذلك، ألا يحكم يوماً الأمير ولي العهد. لكن مع هذه المصيبة التي حصلت الليلة لك ولنا، يا صاحبة السمو، ومع كل احترامي، أعتقد أنني أعرف الآن ما كان سيفعل والدك لو واجه هذا الوضع. لقد ناقشنا الأمر مطولاً، طوال الليل، ووافقنا جميعاً على أن الخيار الوحيد الصحيح لوراثة العرش هو أنت".

حدّقت فيه كريستيانا كما لو أنه كان مجنوناً، وتساءلت لبرهة ما إذا كانت كذلك. إنها تحلم ربما بكل ذلك، ولم يمت والدها وشقيقها وعليها الاستيقاظ خلال دقيقة، بعد الفرار من هذا الكابوس اللعين.

نقترح إصدار قانون جديد، وإجراء طارئاً، لتتم الموافقة عليه من قبل البلاط العائلي الملكي على الفور، وتغيير الدستور وتعديله للسماح بانتقال الإرث إلى النساء من الآن وصاعداً، وفي هذه الحالة، إليك أنت تحديداً. بالإضافة إلى ذلك، ناقشنا الليلة أيضاً أننا ندرك تماماً أنك متحدرة في سلالتك

من ملوك فرنسا، من جهتي العائلة المباشرة لأمك. فإذا قبلت وراثة اسم والدك، وأصبحت الأميرة الحاكمة لليشتنشتاين، وهذا ما نأمله نحن وشعبنا، نتمنى أيضاً، في هذه الحالة، ونظراً لعلاقاتك بصفتك متحدرة مباشرة من ملوك فرنسا، أن تصبحي الأميرة الحاكمة بصفتك صاحبة السمو الملكي وليس صاحبة السمو. وأنا مؤمن تماماً في أن والدك كان ليوافق على ذلك أيضاً، علماً أنه لا بد من الحصول على الموافقة بشأن ذلك من البلاط الملكي العائلي، وعلى الفور أيضاً. علينا ملء الوراثة الشاغرة بأسرع ما يمكن. لا يمكننا ترك الليشتنشتاين من دون قائد. صاحبة السمو، أنا أسألك نيابة عنا جميعاً، بصفتي رئيس الوزراء وواحداً من أتباعك وأفراد شعبك، وباسم والدك، هل تقبلين بذلك؟" كانت الدموع تتساقط فعلاً بغزارة على وجنتي كريستيانا فيما سمعت ذلك. إنها فتاة في الرابعة والعشرين وطُلب منها للتو أن تصبح قائدة لبلدها، الأميرة الحاكمة خلفاً لوالدها. لم تشعر يوماً بهذا الخوف في حياتها، وكانت ترتعد من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها، نتيجة الرعب والحزن والصدمة. لاحظ كل من في الغرفة أنها كانت ترتجف. بالكاد استطاعت الكلام. لقد تأثرت كثيراً، لكنّها شعرت أنها غير مؤهلة البتة للمنصب. كيف تستطيع أن تكون على مستوى والدها؟ وصاحبة سمو ملكي؟ كان بوسعهم الطلب منها أيضاً أن تصبح ملكة. وبطريقة ما، فعلوا ذلك. أحبت فكرة تأهل النساء لاستلام العرش، وهذا ما رأته على الدوام، لكنّها شعرت أنها أقل أهلية من أن تتحمل مثل هذه المسؤولية الكبيرة.

"لكن كيف أستطيع فعل ذلك؟" كانت تبكي بشدة بحيث بالكاد استطاعت الكلام.

"نعتقد أنك قادرة على ذلك. وأنا واثق تماماً من أن والدك كان يرى ذلك أيضاً. صاحبة السمو، أنا أسألك، أتوسل إليك، أن تساعدي بلدك الليلة. سوف نفعل كل ما بوسعنا لدعمك ومساعدتك. ما من أمير حاكم شعر يوماً أنه مؤهل للحكم. هذا أمر تتعلمينه وتعتادين عليه. أعتقد فعلاً أنك قادرة على ذلك، وأن

والدك يريد منك ذلك. هل تقبلين ما نقترحه عليك؟ وإذا قبلت، تكون هذه، يا صاحبة السمو، نعمة لنا جميعاً، ولك أيضاً، وبلا شك لبلدنا".

جلست منهارة في مقعدها، وهي تنظر من وجه إلى آخر، وكان الجواب موجوداً في عيني كل واحد منهم. لو شاهدت أياً منهم مشككاً أو متردداً أوغاضباً، لعرفت من دون تردد أنه يجدر بها قول لا. لكن كل واحد منهم كان على العكس ينظر إليها بتفاؤل ويتوسلها لقبول ما طلبوه منها. كانوا يتوسلونها، والأسوأ من ذلك، أنها استطاعت سماع صوت والدها يطلب منها فعل ذلك. جلست تحدق فيهم يائسة، وهي لا تزال ترتعد، ولم تشعر يوماً بهذا الخوف أو الحزن في حياتها. وكما لو أن قوة غريبة أجبرتها على ذلك، أومأت برأسها ببطء، عاجزة عن تصديق ما تقوم به. سيكون هذا لبقية حياتها، حتى تموت. سوف يتوجب عليها الآن تحمل الأعباء نفسها التي تحملها هو. سيتوجب عليها العيش لأجل بلدها وليس لأجل نفسها. لم يعد الواجب مجرد كلمة بالنسبة إليها، وإنما سيكون طريقة عيش لا يمكنها الفرار منها. وفيما فكرت في ذلك، مرتعدة مثل الحصان المذعور في إسطبله، نظرت في عيني رئيس الوزراء وتحدثت بهمس خافت.

قالت كلمة واحدة فيما نظرت إليهم. "نعم".

ما إن نطقت بالكلمة، حتى أصبح جميع من في الغرفة يبتسمون وبدوا مرتاحين. فعلى الرغم من المأساة الكبيرة التي حصلت تلك الليلة، كان أعضاء البرلمان مسرورين. ذكّرها رئيس الوزراء أن إليزابيت أصبحت ملكة إنكلترا في عمر الخامسة والعشرين، وكان البلد أكبر كثيراً والمسؤولية أعظم. لم يشك أبداً لا هو ولا من كان في الغرفة في قدرتها على حكم الليشتنشتاين، وبصورة جيدة، في عمر الرابعة والعشرين. بدت كريستيانا مذهولة تماماً.

ومن ثم أخبرها ما سيحصل لاحقاً. "سوف يتصل كل واحد منا بأربعة من أفراد البلاط الملكي العائلي، لتقديم هذه الاقتراحات عليهم. أنك ستكونين الأميرة الحاكمة للايشتنشتاين، وأول امرأة تفعل ذلك، ويُسمح بعدها للنساء

بوراثة العرش، وسيصبح لقبك صاحبة السمو الملكي الآن، نظراً لسلالة أمك. نحن خمسة وعشرون وسوف نتصل بكل البلاط العائلي الملكي اليوم. إذا صوّتوا لصالحك، وصالحنا، سوف نجري حفلاً خاصاً لتقليدك المنصب الليلة، في هذا المكتب. أنا أتوق جداً لأن يحصل ذلك. لا تستطيع الليشتنشتاين البقاء من دون قائد، ونحن نؤمن صراحة أنك الشخص الأفضل، الشخص الصحيح، والشخص الوحيد القادر على ذلك". وقف بعدها ونظر إليها وإلى كل من في الغرفة وأضاف: "فليكن الله معنا جميعاً، ومعك أنت، صاحبة السمو. سوف أتصل بك لإبلاغك بالنتائج بعد ظهر اليوم". وقبل أن تتمكن من التقاط أنفاسها أو تغيير رأيها، خرجوا جميعاً من الغرفة. وقفت هناك لبرهة طويلة بعدما غادروا، ونظرت إلى صور جد جدها، وجدها، ووالدها المعلقة هناك. نظرت في عيني والدها في الصورة التي تشبهه كثيراً، وبكت ثم غادرت الغرفة.

الفصل 20

اصطحب ثلاثة رجال مسلحون كريستيانا إلى الأعلى إلى غرفتها، حيث كانت سيلفي في انتظارها. بدت مصدومة مثل كل شخص آخر في القصر تلك الليلة، كما بدت مرتعبة ومرهقة وحزينة جداً. لقد كان الأمير هانس جوزف رجلاً رائعاً. وقبل أن تدخل كريستيانا تماماً إلى الغرفة، ذكرتها بضرورة التحضير لمراسم الجنازة. مراسم رسمية، لكليهما، الأمير الحاكم وولي العهد. لم يكن بوسع كريستيانا التفكير حتى في الأمر، فكيف بالأحرى التحضير له.

"هل تحبين الاستلقاء لدقائق معدودة، صاحبة السمو، قبل أن نبدأ؟" أومأت كريستيانا برأسها، وهي تفكر أن هذه المرأة لا تعرف حتى ما سيحصل. إذا صوّت البلاط الملكي العائلي مثلما يريد رئيس الوزراء، سوف تصبح هذه الليلة الأميرة الحاكمة. من المرعب التفكير حتى في ذلك.

بعد برهة، غادرت كريستيانا الغرفة، وقالت إنها ستعود بعد نصف ساعة. لحقها الرجال الثلاثة المسلحون، ووقفوا مباشرة خارج الباب، فيما استلقت كريستيانا. ثمة شخص وحيد تريد التحدث إليه الآن، الشخص الوحيد الذي عرفت أنه سيساعدها ويدعمها. لم تتحقق من بريدها الالكتروني لمعرفة ما إذا تلقت رسالة منه. إنها واثقة من أنه سمع الأخبار. فمهما كان بلدها صغيراً، كانت واثقة من أن القنبلة التي قتلت والدها وفريدي هي انفجار سمع في كل أرجاء العالم.

رفعت سماعة الهاتف الموجود قرب سريرها، وطلبت رقم الهاتف الخلوي الخاص بباركر. حتى في خضم بؤسها وارتباكها، تذكرت بغموض

أنها عطلة الشكر وأنه موجود في سان فرانسيسكو.

أجاب من الرنة الأولى وكان ينتظر اتصالها. عرف أنه لا يوجد أي أمل في الوصول إليها لو حاول الاتصال بها. فكل شيء رآه في الأخبار أوحى بالفوضى في القصر في فادوز.

"ياإلهي... كريكي؟... هل أنت بخير؟... أنا آسف جداً... أنا آسف جداً... سمعته في الأخبار". استمعت إلى صوته ووقفت هناك وبكت. "حبيبتي، أنا آسف جداً لأن هذا حصل. لم أستطع التصديق حين شاهدت الأمر". عرضت الأخبار ناراً مشتعلة أمام القصر، فيما الجنود وشرطة مكافحة الشغب يركضون في كل مكان. بدا القصر مرتبكاً جداً. شعر باركر بالرعب حين لم يأتوا على ذكرها في أي خبر كان. كل ما عرفه أنها على قيد الحياة.

"ولا أنا". قالت بيأس، محاولة عدم تذكر ذلك مجدداً... تلك اللحظة المريعة التي تحولت فيها السيارة إلى كرة نار ملتهبة، آخذة معها والدها وفريدي. "كنت واقفة هناك عندما حصل الحادث".

"الحمد لله أنك لم تكوني في السيارة معهما". في البداية، خاف أن تكون معهما. وفيما قال ذلك، تذكرت فجأة أن فريدي عرض عليها الركوب معه أولاً، لكنّها رفضت. إنه القدر. "هل أنت على ما يرام؟ أتمنى لو أنني هناك لمساعدتك. ما الذي أستطيع فعله؟ أشعر بعجز كبير".

"لا يمكنك فعل أي شيء. عليّ البدء بالتحضير لمراسم الجنازة خلال دقائق. إنهم ينتظرونني، لكنني أردت التحدث إليك أولاً. أحبك... حصل شيء آخر مرعب". قالت وهي تبدو حزينة جداً، فيما تمالك باركر نفسه لسماع المزيد من الأخبار السيئة. كان يصعب التصديق أنه يمكن أن يحصل أسوأ من ذلك، أو حتى مثله. "لا يوجد أحد مؤهل مباشرة للعرش. كل أقارب والدي كبار جداً في السن... إنهم نمساويون... باركر، يريدون تغيير القانون بشأن وراثة النساء. سوف يعرضون الأمر على البلاط العائلي اليوم". اختنقت مرة جديدة أثناء البكاء. "يريدون جعلي الأميرة الحاكمة... أوه، ياإلهي، كيف

أستطيع فعل ذلك؟ لا أعرف أي شيء عن الأمر، لا أستطيع أبداً أداء الواجب... وسوف تتحطم حياتي إلى الأبد. عليّ حكم البلاد حتى أموت، أو نقل الإرث إلى أحد أولادي يوماً ما..". كانت تبكي بشدة بحيث بالكاد استطاعت الكلام، لكنّه سمع كل كلمة مما قالته. على مسافة آلاف الأميال، بدا مصدوماً مثلها. لم يستطع حتى أن يتخيل ما يعنيه ذلك.

"ويريدون جعلي صاحبة سمو ملكي، بسبب أمي، وليس صاحبة سمو".

قال برفق، محاولاً تلطيف الصدمة عليها: "لطالما كنتِ ملكة بالنسبة إليّ كريكي". بدت مسؤولية كبيرة، حتى بالنسبة إليه. لكنه مثل وزرائها، لم يشكك أبداً في قدرتها على أداء المهمة. عرف أنها تستطيع ذلك، وأنها ستفعل ذلك جيداً. لكن لم يخطر في باله أبداً ما يعنيه ذلك بالنسبة إليهما. كل ما استطاع التفكير به الآن هو مدى قلقه عليها. لا يتوجب عليها فقط مواجهة حزن خسارة عائلتها، وإنما عليها الآن أن تتحمل مسؤولية حكم بلد أيضاً. يصعب فعلاً تصديق ذلك.

قالت، وهي تبكي بشدة: "باركر...، سوف أموت عانساً". بدت مثل طفلة صغيرة فيما بكت، وكل ما أراده الآن هو وضع ذراعيه حولها.

"لا أرى لماذا سيحصل ذلك. كان والدك متزوجاً ورزق بأولاد. الملكة إليزابيت في انكلترا متزوجة ولها أربعة أولاد، ولا أظن أنها كانت أكبر منك بكثير حين أصبحت ملكة. لا أرى لماذا يجدر بأمر استثناء الآخر؟" قال بوعي، وهو يحاول تهدئتها. الشيء الوحيد الذي لم يستوعبه هو موقعه في الصورة الآن. بدا الأمر أسوأ بالنسبة إليهما. فمع وضعها الجديد بصفتها صاحبة سمو ملكي، وليس صاحبة سمو، أصبح حتماً أقل ملاءمة لها. الفرق الوحيد الآن هو أنه باستطاعتها إصدار القوانين، ولم يكف عن التساؤل ما إذا كان ذلك يغير أي شيء. كان والدها يملك السلطة للسماح لها بالزواج من شخص عادي، ورفض استعمالها. لكن لم يكن لدى باركر أدنى فكرة ما إذا كان الأمير نفسه يستطيع الزواج من شخص عادي، ولم يشأ السؤال في خضم الحزن الحالي

لكريكي. عرف أن ملوكاً آخرين تزوجوا أناساً عاديين، خصوصاً في الدول الاسكندنافية، وتذكر بغموض أنهم منحوهم ألقاباً وكان كل شيء على ما يرام. في الوقت الحاضر، يكفيه لقب طبيب، ولن يقلق بشأن الباقي. لديها ما يكفي من الهموم الآن في عقلها. لم يشأ زيادة مخاوفها.

"الملكة إليزابيت كانت في الخامسة والعشرين". صححت له كريستيانا بصوت مختنق، وضحك هذه المرة.

مازحها قائلاً: "أظن أنك تصبحين بهذا العمر بعد سنة. هل تريدينهم أن ينتظروا سنة؟"

قالت وهي تبدو يائسة وصغيرة جداً: "أنت لا تفهمني، إذا قال البلاط العائلي نعم، ستكون هناك جلسة تقليد منصب خاصة الليلة... سأصبح الأميرة الحاكمة بدءاً من الليلة... كيف سأتمكن من فعل ذلك؟" راحت تبكي بشدة مجدداً. المؤسف أنها خسرت والدها وشقيقها قبل ساعات فقط، وهم يضعون الآن بلداً بكامله على كتفيها. من الصعب على أي كان استيعاب كل ذلك دفعة واحدة.

"كريكي، يمكنك فعل ذلك. أعرف أنك قادرة. وفكري فقط أنك تستطيعين الآن إصدار كل القوانين".

"لا أريد إصدار القوانين. كرهت حياتي قبلاً، وسوف تصبح الآن أسوأ... ولن أراك مجدداً". لم تستطع التوقف عن البكاء، وتمنى أكثر من أي وقت مضى لو يستطيع الإمساك بها وتهدئتها. سوف تشهد الكثير من المصاعب في الأيام المقبلة.

"كريكي، يمكنك الآن فعل أي شيء تريدينه. سوف نرى بعضنا مجدداً... لا تقلقي بشأن ذلك. متى يصبح بإمكانك رؤيتي، سأحضر فوراً. وإذا لم تتمكني، سأحبك على أية حال".

"لا أعرف ما الذي أستطيع فعله. لم أكن يوماً أميرة حاكمة قبلاً، ولا أريد أن أكون كذلك". لكنّها عرفت أنها لا تستطيع الرفض. شعرت وكأنها

تدين لوالدها بتحمل هذه المسؤولية، ولذلك وافقت.

أقحمت سيلفي رأسها عبر الباب في تلك اللحظة ونقرت على ساعتها. عليهما الشروع في العمل. يجب تنظيم مراسم الجنازة الرسمية لكليهما. كانت كريستيانا خارجة عن أطوارها. لا تملك الوقت حتى للبكاء على والدها وشقيقها كما يجب، ولا فرصة لاستيعاب ما حصل، وسيتوجب عليها خلال ساعات أن تحكم بلداً وتصبح مسؤولة عن ثلاثة وثلاثين ألف شخص. إنّ مجرد التفكير في ذلك كان مرعباً، واستطاع سماع ذلك في صوتها.

"كريكي، عليك أن تهدئي. لا أستطيع تخيل كم هذا مريع. لكن عليك فعل كل ما بوسعك للصمود الآن. لا يسعك فعل أي شيء آخر. اتصلي بي متى شئت. أنا هنا، حبيبتي. أحبك. أنا هناك معك. حاولي الآن أن تكوني قوية".

"سأفعل...أعدك.. هل تظن أنني أستطيع ذلك؟"

"أعرف أنك تستطيعين". بدا حنوناً وهادئاً.

"ماذا لو لم أنجح؟" ارتعد صوتها فيما سألته.

"تتظاهرين حينها بالأمر لبعض الوقت وتتوصلين إلى الحل. لا يعرف أحد الفرق. أنت المديرة. كل ما عليك فعله هو التصرف على هذا النحو... الشروع ربما بقطع بعض الرؤوس. شيء من هذا القبيل". قال ممازحاً، لكنّها لم تبتسم. إنها مرتبكة تماماً.

"أحبك باركر... شكراً لك على مساعدتي".

"أنا مستعد دوماً صغيرتي، دوماً..."

"أعرف". وعدته بالاتصال به مجدداً، وذهبت لرؤية سيلفي في مكتبها. لديها كومات من الأوراق على مكتبها. يتوجب على كريستيانا اتخاذ القرارات، فيما تتولى سيلفي مع موظفي والدها الباقي. كل ما عليها فعله هو التخطيط لمراسم الجنازة في الوقت الحاضر. سوف تقلق بشأن الباقي لاحقاً. وأينما ذهبت، رافقها رجال مسلحون. ما زالوا في أعلى درجات التأهب.

أول شيء فعلته كريستيانا هو التخطيط لجنازتين رسميتين. واحدة في

فيينا وأخرى في فاودز. وأدركت مرعوبة أنه لا توجد جثتان لدفنهما. لذا، خططت هي وسيلفي لإقامة قداس في كاتدرائية سان ستيفن في فيينا، وفي اليوم التالي، يقيمون قداساً في كاتدرائية سان فلورين في فادوز. اليوم هو الخميس، وخططوا لإجراء أول قداس يوم الاثنين المقبل، وفي فادوز في اليوم التالي. توجب عليها اختيار الموسيقى ونوع الزهور. قرروا وضع تابوتين فارغين خلال القداس، وتقبل التعازي لاحقاً في قصر الليشتنشتاين. كانت التدابير الأمنية هائلة، نظراً لما حصل. ويصح الشيء نفسه في فادوز.

عملت على الأمر طوال اليوم مع سيلفي وموظفي والدها، وكانت لا تزال تعمل، من دون نوم منذ الليلة الفائتة، حين اتصل بها رئيس الوزراء وسلمتها سيلفي الهاتف. قالت إنه لم يشأ إخبارها عن مضمون المكالمة. عرفت كريستيانا، لكنهم لم يخبروا أحداً بعد.

قال بصوت جدي: "لقد وافقوا". وحين سمعت ذلك، لهثت كريستيانا. في جزء صغير جداً داخلها، تمنت ألا يوافقوا. لكنهم فعلوا. عليها الآن تحمل نتائج قبولها بعرضهم ذلك الصباح. "أطلقوا عليك أيضاً لقب صاحبة السمو الملكي. نحن فخورون جداً، صاحبة السمو. هل يمكنك فعل ذلك في تمام الساعة الثامنة مساء هذه الليلة؟" إنها الآن الساعة السادسة. "أظن أنه يجدر بنا فعل ذلك ربما في الكنيسة. هل من شخص تريدينه أن يكون موجوداً غير الوزراء، ياصاحبة السمو؟" أرادت باركر هناك، لكن هذا غير ممكن. الأشخاص الوحيدون الذين أرادتهم هم سيلفي وسام وماكس. إنهم أفضل أصدقائها الآن، والشكل الوحيد من العائلة الذي بقي لديها. كانت تودّ الطلب من فيكتوريا أن تأتي، لكن لا يوجد متسع من الوقت.

"سوف نعلن الخبر للصحافة غداً صباحاً، لمنحك ليلة من الراحة. هل يلائمك ذلك، صاحبة السمو؟"

قالت وهي تحاول أن تبدو لبقة وليس مرعوبة: "طبعاً. شكراً لك". تذكرت أن باركر قال لها بضرورة التظاهر بالأمر لفترة، ولن يعرف أحد.

وأدركت حين أقفلت السماعة، بعد شكر رئيس الوزراء مجدداً، أنه بعد الساعة الثامنة مساء من هذه الليلة، سوف يناديها الجميع من الآن وصاعداً بلقب صاحبة السمو الملكي. لقد تغير كل شيء في حياتها بلمح البصر... مع انفجار سيارة... يستحيل استيعاب كل ما يحصل. لقد صوّت البلاط العائلي الملكي بالإجماع على السماح لها بحكم البلاد. وكل ما تستطيع فعله الآن هو الصلاة كي لا تخذلهم، وتعمل بأكبر كد ممكن طوال حياتها للتأكد من ذلك. لكنّها وجدت كرسي والدها كبيراً جداً عليها، خصوصاً مع قامة صغيرة مثل قامتها.

قالت لسيلفي فيما أقفلت السماعة: "علينا الذهاب إلى الكنيسة في تمام الساعة الثامنة. وأحتاج إلى سام وماكس".

"هل هناك قداس؟" بدت محتارة. لم تخطط له ولم تبلغ أحداً به. بدت كريستيانا منهارة وغامضة.

أجابت كريستيانا: "نوعاً ما، سوف يكون هناك أعضاء البرلمان فقط ونحن". أومأت سيلفي برأسها وذهبت لإبلاغ سام وماكس. كانت الساعة السابعة حين عثرت عليهما. وقبل دقائق قليلة من الساعة الثامنة، غادرت كريستيانا مع الآخرين مكتب والدها متوجهين إلى الكنيسة. وفيما فعلوا ذلك، لم تكف عن التفكير أنه قبل أربعٍ وعشرين ساعة فقط، كان والدها وشقيقها لا يزالان على قيد الحياة.

تلقت اتصالاً من فيكتوريا بعد ظهر ذلك اليوم، حيث قدمت لها تعازيها وأخبرت كريستيانا أنه حين ينتهي كل شيء، عليها المجيء والمكوث معها في لندن. أدركت كريستيانا أنه من الآن وصاعداً لن تتمكن من القيام بمثل هذه الأمور مجدداً. من اليوم وصاعداً، حين تذهب إلى أي مكان، سوف تكون زيارة رسمية. ستكون حياتها أكثر تعقيداً مما كانت قبلاً. وأكثر خطورة أيضاً نظراً لما حصل.

حين وصلوا إلى الكنيسة، كان الوزراء والأسقف في انتظارهم. بدا الوزراء حزينين وقبّلها الأسقف على وجنتيها. قال لها إنها مناسبة سعيدة

وحزينة في الوقت نفسه. تحدث عن والدها لبضع دقائق، وفيما أدرك سام وماكس وسيلفي ما يحصل، بدأوا هم الثلاثة يبكون. لم يخطر في بالهم أبداً أن هذا يمكن أن يحصل.

خطر في بال رئيس الوزراء إحضار تاج والدة كريستيانا من الخزنة، وسيف والدها ليستعمله الأسقف أثناء مراسم التقليد. وضع رئيس الوزراء التاج برفق على رأسها، وانحنت هي أمام الأسقف في الفستان الأسود البسيط الذي ارتدته طوال اليوم، فيما لمسها على كل كتف، بعد تلاوة الطقوس التقليدية باللغة اللاتينية، وأعلنها صاحبة السمو الملكي كريستيانا، الأميرة الحاكمة لليشتنشتاين، فيما انهمرت سيول من الدموع على وجهها. بالإضافة إلى تاج أمها، الذي كان مرصعاً بالكثير من الماس ويعود إلى القرن الرابع عشر، كانت قطعة المجوهرات الوحيدة التي تضعها هي ذلك الخاتم الصغير المرصع بحبات الزمرد التي على شكل قلب والذي أهداها إياه باركر في البندقية، ولم يغادر إصبعها منذ ذلك الحين.

التفتت نحو وزرائها وموظفيها الثلاثة الأوفياء، وهي لا تزال تبكي، فيما باركهم الأسقف جميعاً. نظرت إلى أتباعها الجدد، وبدت مثل شابة صغيرة جداً، مع التاج الكبير والفستان الأسود العادي، الذي ترتديه منذ ذلك الصباح، فيما كانت تحضر لمراسم جنازة والدها وشقيقها. بدت مثل طفلة متنكرة مع التاج، لكن مهما كانت صغيرة أو خائفة، أصبحت الآن كريستيانا صاحبة السمو الملكي، الأميرة الحاكمة لليشتنشتاين.

الفصل 21

كانت مراسم الجنازة الرسمية التي أقيمت لوالدها وفريدي في كاتدرائية القديس ستيفن في فيينا حدثاً عظيماً ومهيباً. وقف كاردينال فيينا، وأسقفان، وأربعة مطارنة، وعشرات الكهنة على المذبح. جلست كريستيانا لوحدها في الصف الأمامي، مع حراس مسلحين حولها. تم إعلان تقليدها المنصب الجديد قبل ثلاثة أيام. مشت وراء التابوتين الفارغين أثناء دخولهما إلى الكنيسة وخروجهما منها، فيما مشى حراس يحملون أسلحة بالقرب منها.

استغرق القداس ساعتين، وتلت الصلوات جوقة المرتلين في فيينا. طلبت منهم عزف كل الموسيقى التي عرفت أن والدها يحبها. كان قداساً حزيناً ومؤلماً، وبكت كريستيانا فيما جلست لوحدها، من دون أحد قربها لمواساتها، أو حتى الإمساك بيدها. كان قلبا ماكس وسام معها من حيث وقفا قربها، لكن لم يكن بوسعهما فعل أي شيء لها. بصفتها الأميرة الحاكمة، عليها الوقوف لوحدها الآن، مهما كانت اللحظة صعبة أو المهمة قاسية. لقد بدأت رسمياً حياتها كصاحبة سمو ملكي، الأميرة الحاكمة لليشتنشتاين.

حين أنشدوا "آفي ماريا"، انهمرت الدموع على وجنتيها فيما وقفت وأغلقت عينيها وهي ترتدي فستاناً أسود ومعطفاً طويلاً وقبعة سوداء كبيرة مع حجاب سميك.

بعدها، حين انتهى القداس، مشت ببطء في ممشى الكاتدرائية، وراء التابوتين الفارغين، وهي تفكر في والدها وفريدي. تحدث جميع من في الكنيسة عن مدى جمالها، وكم من الصعب أن تواجه الكثير في سنها الصغيرة.

شارك في القداس ألفا شخص، تلقوا جميعاً دعوات رسمية. حضر رؤساء الدول والملوك من كل أنحاء أوروبا. بعد ذلك، توجهوا جميعاً إلى قصر الليشتنشتاين في فيينا. كان هذا أطول يوم في حياتها. كانت فيكتوريا موجودة، لكنّها بالكاد رأتها. لم تستوعب فيكتوريا بعد أن قريبتها أصبحت الآن الأميرة الحاكمة. في الواقع، إن كريستيانا نفسها لم تستوعب ذلك بعد. لا تزال في حالة صدمة.

تحدثت إلى باركر قبل القداس وبعده، وبدت مرهقة كثيراً. وفي تمام الساعة التاسعة من تلك الليلة، انطلقوا من فيينا للوصول إلى قصر فادوز قرابة الساعة الثالثة فجراً. مشوا في موكب طويل، مع سيارات مواكبة أمامهم وخلفهم. لم تعلن أية مجموعة بعد مسؤوليتها عن تفجير السيارة التي قتلت شقيقها ووالدها. وكان عدد رجال الأمن المحيطين بها كبيراً جداً. إنها حزينة ووحيدة، وهي الأميرة الحاكمة منذ ثلاثة أيام فقط. عرفت أنها ما إن تبدأ فعلاً مهنة الحكم، حتى تصبح الأمور أسوأ. تذكرت الآن بوضوح كيف كان والدها يبدو مرهقاً ومحبطاً في بعض الأيام. لقد أصبح هذا قدرها الآن.

كان ماكس وسام معها في السيارة في طريق العودة إلى فادوز من فيينا، وسألاها مرات عدة ما إذا كانت على ما يرام. أومأت إيجاباً برأسها. كانت متعبة جداً لتتكلم.

توجهت مباشرة إلى سريرها حين وصلوا إلى فادوز. عليها الاستيقاظ في تمام السابعة. فمراسم الجنازة في فادوز مقررة في تمام الساعة العاشرة من اليوم التالي. وهذه المراسم ستكون حزينة أكثر، لأنها في البلد الذي عرفت أنه أحبه، والمكان الذي ولد فيه، ومات فيه هو وابنه. شعرت كريستيانا بثقل العالم على كتفيها فيما مشت في الكنيسة وراء التابوتين الفارغين مجدداً، وكانت الموسيقى أكثر حزناً من اليوم السابق، أو هكذا بدت لها. شعرت بوحدة أكبر، في بلد طفولتها، بعدما رحلا الآن إلى الأبد.

كانت الجنازة في فادوز مفتوحة أمام العموم، وفتحوا قسماً من القصر

لتقبل التعازي بعد ذلك. كانت الإجراءات الأمنية مشددة جداً بحيث بدا القصر مثل مخيم مسلح. وكانت هناك كاميرات جديدة من كل أنحاء العالم تلتقط الصور لها.

جلس باركر يشاهد الجنازة في منزله في بوسطن. كانت الساعة الرابعة فجراً عنده، فيما شاهد الجنازة على شاشة السي أن أن، ولاحظ أنه لم يرَ كريستيانا أبداً أكثر جمالاً. بدت ملكية تماماً فيما مشت في الكنيسة وهي تضع القبعة والخمار. في اليوم السابق، شاهد الجنازة التي أقيمت في فيينا أيضاً. لقد كان معها في كل خطوة ممكنة، بقدر ما يستطيع. وحين اتصلت به في وقت متأخر من تلك الليلة، بدت منهكة تماماً. أخبرها كم كانت رائعة، وكم هو عظيم ما فعلته، وبعد دقائق قليلة، راحت تبكي مجدداً. بدا هذا أسوأ أسبوع في حياتها.

"هل تريدينني أن آتي إليك وأراك، كريكي". عرض عليها بهدوء، لكنّها عرفت أنه ما من طريقة لتتمكن من رؤيته الآن.

"لا أستطيع". كانت عيون العالم كلها عليها. وعرفا كلاهما أنها ستكون تحت المراقبة الشديدة لوقت طويل. لا تستطيع ارتكاب أية فضيحة، وعليها قيادة بلدها بمسؤولية. أصبحت حياتها ملك شعبها الآن. لقد أقسمت الحفاظ على الشرف والشجاعة والرفاهة، مثلما فعل والدها قبلها، وكل الذين جاءوا قبله. لقد تخلوا جميعاً عن حياتهم مثلما فعلت هي. عليها حذو حذوهم الآن، بأفضل ما يمكنها. واليوم أكثر من أي وقت مضى، لا تعرف متى يمكنها رؤية باركر مجدداً. لم يعد هناك عطلات نهاية أسبوع مسروقة في باريس أو البندقية، حيث تستطيع الاختفاء لبضعة أيام. عليها عيش المهنة التي قبلت بها في كل دقيقة وكل ساعة من اليوم، لبقية حياتها.

وفي اليوم الذي تلا الجنازة، كانت ترتدي ثياب الحداد الرسمية، بدأت حياتها كأميرة حاكمة. بالكاد أعطوها الوقت للحزن. كان لديها اجتماعات مع الوزراء، ورؤساء الدول الذين أتوا لتقديم التعازي، وعقدت اجتماعات للسياسة

الاقتصادية، وتوجب عليها زيارة المصارف في جنيف. شاركت في اجتماعات ومحاضرات ولقاءات من كل نوع كان. وخلال أربعة أسابيع، بدأ رأسها يدور وشعرت كما لو أنها تغرق، لكن رئيس الوزراء أخبرها أنها تبلي حسناً. برأيه، كان والدها محقاً. إنها أفضل شخص للمنصب.

ألغت مشاريعها في غتساد هذه السنة. لن يكون هناك عيد من أي نوع كان بالنسبة إليها. ليست متحمسة لذلك، واتفقت مع الوزراء أنه لن تكون هناك أية حفلات ترفيه رسمية طوال ستة أشهر، احتراماً لوالدها. ومهما كانت المقامات التي اجتمعت بها، كانت تكتفي بالدعوة إلى الغداء. في الواقع، لقد اختصروا فترة الحداد الرسمية من سنة إلى ستة أشهر.

التقت بالمسؤولين عن المؤسسة، وأقامت مأدب عشاء هادئة في القصر مع رئيس الوزراء، الذي كان يحاول تعليمها كل شيء تحتاج إلى معرفته بشأن مهنتها الجديدة. أرادت تعلم كل شيء بأسرع ما يمكن، وكانت تمتص المعلومات مثل الاسفنجة. غالباً ما تحدثت بعمق مع والدها عن سياساته ونهج حكومته، ولذلك لم يكن الأمر جديداً بالنسبة إليها. لكن المهنة والقرارات باتت الآن من مسؤوليتها، مع توجيهات وزرائها طبعاً.

كانت سيلفي معها في الليل والنهار. وكان ماكس وسام ملتصقين بها. لم تتغير الإجراءات الأمنية المشددة بعد، وحين اتصلت بها فيكتوريا وقالت إنه من الممتع زيارتها، أخبرتها كريستيانا بفظاظة أنها لا تستطيع المجيء. لقد ولّت أيام الطفولة الآن، ولديها أشياء جدية للقيام بها. كانت تبدأ يومها في مكتب والدها القديم في تمام الساعة السابعة وتستمر في العمل حتى وقت متأخر من الليل، مثلما كان يفعل هو.

الشيء الوحيد الذي تغير هو أن باركر أصبح قادراً على الاتصال بها الآن. لكن ما من طريقة أبداً لتراه، حتى ولو في زيارة ودية بين صديقين قديمين. كانت أميرة وحيدة وحاكمة، وعليها إبقاء كل أشكال الفضيحة بعيدة عنها قدر الإمكان. أخبرته أنه لا يستطيع المجيء لرؤيتها، ولا حتى لتناول

عشاء غير رسمي، بصفته صديقاً قديماً عملت معه في أفريقيا لمدة ستة أشهر على الأقل.

لم يكن يلحّ عليها، وكان مصدراً دائماً للدعم بالنسبة إليها. كانت تتصل به كل ليلة بعدما تنهي عملها، في منتصف الليل أحياناً عندها، فيما الساعة السادسة مساء عنده. كان يجعلها تضحك أحياناً، ولم تتشارك معه أية أسرار رسمية. وبقدر كونه الرجل الذي تحبه، أصبح الآن أفضل صديق لها.

كانت الصحافة معجبة جداً بها أيضاً، والتقطت لها الصور كلما غادرت القصر. وجدت الأمر متعباً، لكنّها أدركت في الوقت نفسه أنه جزء من حياتها الآن. لقد تغير كل شيء في حياتها. والشيء الوحيد الذي لم يتغير خلال الشهر الماضي هو وجود كلبها الوفي. لقد أصبح تشارلز جزءاً من المكتب الآن، وكان الموظفون يشيرون إليه ممازحين على أنه الكلب الملكي. كان مزعجاً وصاخباً وأحياناً سيئ التصرف مثلما كان قبلاً. وحدها صاحبته هي التي تغيرت. كانت تعمل ساعات لامتناهية، وتشتاق إلى والدها باستمرار، ولا تملك الوقت للعب أو الاسترخاء. كل ما استطاعت التفكير فيه الآن هو كيفية تمثيل بلدها وشعبها أمام العالم. بدأت تفهم أكثر وأكثر الإحساس الكبير بالواجب الذي سيطر على والدها، وكانت تفكر فيه كل يوم بقدر أكبر من الاحترام والحب.

إذا كانت لا تنجز أية مهمات رسمية، في الأسابيع التي تلت موت والدها وشقيقها، توجب عليها مواجهة مهام مؤلمة مثل تحمل التأثيرات الشخصية لذلك الموت. تم بيع سيارات شقيقها بهدوء، فيما جرى حفظ كل أغراض والدها الشخصية. كانت تكره المرور أمام غرف جناحه الفارغة، ولا تزال تشعر أنها دخيلة على مكتبه، لكنّها شعرت بامتنان كبير لموظفيه على دعمهم الكبير ومساعدتهم المهمة.

قبل يومين من الميلاد، كانت تتحدث مع باركر على الهاتف ولم يسمعها قبلاً متعبة إلى هذا الحدّ.

"ألن تفعلي أي شيء على الميلاد، حبيبتي؟ لا يمكنك الجلوس هناك

لوحدك". فمجرد سماع الوحدة والإرهاق في صوتها كان يجعله حزيناً. لقد أصبحت الأميرة الوحيدة في القصر في فادوز. لا يوجد أحد لتقضي معه الميلاد، ولم تبقَ لها أية عائلة. وحين سألها عن الأمر، قالت له إن كل ما ستفعله هو حضور قداس منتصف الليل. غير ذلك، سوف تذهب للعمل، حتى يوم الميلاد. لديها الكثير من الأمور الواجب تعلمها، والكثير من الأشياء الواجب فهمها، لتتمكن من إنجاز عملها بصورة أفضل. إنها تقسو كثيراً على نفسها، لكنّه لا يستطيع فعل أي شيء للمساعدة، عدا عن التكلم معها كل ليلة. بدا الوقت الذي قضياه معاً في البندقية بعيداً مليون سنة. الذكرى الوحيدة الباقية منه هي الخاتم الزمردي الصغير الذي تضعه دوماً.

يقضي باركر الميلاد هذه السنة مع شقيقيه في نيويورك. إنه مشغول جداً في مشروع بحثه للذهاب إلى كاليفورنيا خلال العطلة لرؤية والده. وعشية الميلاد، لم يسنح لها الوقت للتحدث معه ذلك اليوم. كانت تنوي الاتصال به بعد قداس منتصف الليل تلك الليلة.

تناولت عشاء هادئاً لوحدها، مع الكلب قربها. وعند التفكير في والدها وشقيقها، والأوقات السعيدة التي تشاركوها معاً، شعرت بألم في قلبها وبوحدة كبيرة لم يسبق لها مثيل في حياتها.

ذهب ماكس وسام معها إلى القداس، وهما دوماً معها الآن. لقد أصبحا حارسيها الشخصيين. كانا معها في السيارة حين ذهبت إلى كاتدرائية القديس فلورين. كان الليل بارداً جداً في فادوز تلك الليلة. الثلج يغطي الأرض، لكن الطقس كان صافياً طوال اليوم ودخل الهواء مثل الإبر إلى رئتيها حين خرجت من السيارة ومشت إلى الكنيسة، وهي ترتدي ثياب الحداد السوداء ومعطفاً أسود له قلنسوة. وحده وجهها الجميل كان ظاهراً.

كان قداساً جميلاً. أنشد المرتلون "ليلة صامتة" بالألمانية، وفيما استمعت إليها، انهمرت الدموع من عينيها. يستحيل عدم التفكير في الخسارة الكبيرة التي تكبّدتها، والتغيرات الهائلة التي حصلت في حياتها خلال الشهر الماضي.

حتى باركر أصبح ذكرى بعيدة تقريباً الآن، ووجوده غير حقيقي، مجرد صوت على الهاتف. لا يزال الرجل الذي أحبته، لكنّها لا تملك أية فكرة عن موعد لقائهما القادم، علماً أنها لا تزال تتوق إلى لمسته.

مشت ببطء إلى مكان المناولة، وهي تتبع أهل فادوز، الذين أصبحوا جميعاً أتباعها الآن. وفيما مرّت أمامهم في الممشى، ابتسمت لهم، رغم حزنها الكبير تلك الليلة، كما لو أنها تريد شكرهم على الثقة الكبيرة التي منحوها إياها. لقد كانوا جميعاً لطفاء جداً معها منذ موت والدها. أرادت كسب ثقتهم ومحبتهم، وشعرت أنها لم تنجح بعد. الشرف، الشجاعة، الرفاهة. لقد توصلت أخيراً إلى فهم معاني هذه الكلمات.

وصلت إلى المذبح تقريباً، حين وقف رجل كان يجلس في المقدمة والتفت إليها ورأت وجهه. توقفت في أرضها وحدقت به. لم تفهم لماذا هو موجود هنا. قال إنه سيكون في نيويورك. وقف هناك وابتسم لها وأمسك يدها برفق. وضع شيئاً في راحة يدها، ولأنها لا تريد أن تلفت الانتباه إليهما، تابعت طريقها نحو المذبح ورأسها محني مع ابتسامة على وجهها. إنه باركر.

تناولت القربان المقدس، وهي لا تزال تمسك بإحكام بالعلبة الصغيرة التي وضعها في يدها، ثم شاهدت ماكس يراقبها. لقد رآه، وكان يبتسم هو أيضاً. وكذلك الأمر مع سام. عادت بعد ذلك إلى كرسيها، وأحنت رأسها، وصلّت لوالدها وشقيقها، والأشخاص الذين تدين لهم بالكثير، وأخيراً لباركر. رفعت وجهها أخيراً، وبتوق شديد، كانت تنظر إلى ظهره، وتحبه أكثر من أي وقت مضى.

حين انتهى القداس، انتظرت في كرسيها حتى أصبح تقريباً أمامها، ثم توقف للسماح لها بالمرور. نظرت إلى وجهه، وشكرته، فيما ابتسم لها الناس، ولحقها بهدوء إلى الخارج. صافحت أيدي العديد من الأشخاص تلك الليلة خارج الكنيسة. وقف باركر بينهم، ونظرت في عينيه مع حب لا مثيل له فيما اقترب منها.

"جئت فقط لأقول لك ميلاداً مجيداً". قال لها وهو يبتسم. "لم أحب فكرة وجودك لوحدك".

"لا أفهم". قالت، وهي لا تريد الإيحاء بأي شيء.

"سأنام في زيوريخ وأعود في الصباح لقضاء الميلاد مع شقيقي وأولاده".

"متى وصلت؟" لا تزال تبدو مرتبكة. هل مضت أيام على وجوده هنا؟ لكنّها تحدثت إليه في بوسطن في اليوم السابق.

"الليلة. جئت فقط لحضور قداس منتصف الليل". إن فكرة ما قام به أثرت بها في الصميم. لقد جاء لساعات معدودة كي لا تشعر أنها وحيدة. أرادت أن تقول له أنها تحبه، لكنّها لا تستطيع فعل ذلك مع وجود الكثير من الأشخاص حولها. اقترب ماكس وسام وألقيا التحية عليه. بدا جلياً أن الأربعة أصدقاء قدامى. وضعت علبته الصغيرة في جيبها، ولم يكن لديها أي شيء لتعطيه إياه سوى حبها.

"لا أستطيع أخذك معي إلى القصر". همست له، وضحك هو.

"أعرف". همس لها. "سوف آتي للزيارة مرة أخرى. خلال خمسة أو ستة أشهر. أردت فقط تسليمك هذا". وأشار إلى جيبها. وفيما مشيا معاً بعيداً عن الكنيسة، مع ماكس وسام على جانبيها، تمددت للمس يد باركر مجدداً وأمسكتها بقوة.

مشوا جميعاً، وكانوا محاطين بالكثير من الأشخاص الذين أرادوا رؤيتها ولمسها. تمنت لهم ميلاداً مجيداً وشكرتهم، ثم التفتت إلى باركر بألم. "كيف أستطيع شكرك؟"

"سوف نتحدث عن ذلك. سأتصل بك حين أعود إلى الفندق". ثم انحنى أمامها برفق، مثلما يفعل لها كل أتباعها، وابتسم لها، وعاد إلى السيارة التي استأجرها، وألقى نظرة سريعة عليها مرة جديدة، وانطلق في السيارة. كان مثل الحلم الذي ظهر أمامها، ثم اختفى في الليل. هذا أجمل شيء يمكن أن يفعله أي كان. وضعت يدها في جيبها وتحسست العلبة الصغيرة فيما صعدت إلى

السيارة مع سام وماكس. لقد كان باركر مثالياً. لم يشك أحد في أي شيء. لقد كان موجوداً حين احتاجت إليه، كما هو دوماً، ثم ذهب. لم يكلفها أي شيء، وأعطاها الكثير.

انتظرت حتى أصبحت لوحدها في غرفة نومها لفتح العلبة الصغيرة التي تركها معها. بدا وكأن الغرض ملفوف بالقطن، وكان صغيراً جداً بحيث لم تتخيل ما هو. تمنت لو أنها استطاعت إعطاءه شيء في المقابل.

فتحت العلبة بعناية، فنزعت الورقة أولاً، ثم أزالت القطن وحين رأته، تأوهت. كان خاتماً ماسياً صغيراً وجميلاً، في علبة قديمة، وعرفت على الفور ما يعنيه ذلك. لكن كيف تستطيع قبول ذلك منه؟ لم يعد والدها موجوداً للوقوف بينهما، لكن لديها الآن بلد لقيادته، وشعب لتمثيله. لم يصبح الأمر ممكناً أكثر مما كان قبل ثلاثة أشهر. الفرق الوحيد هو أنها أصبحت الآن الأميرة الحاكمة، وهي التي تصدر القوانين. يمكنها بالفعل اقتراح قانون يسمح لها بالزواج من شخص عادي، وطلب الموافقة من البلاط العائلي. يستطيعون منحه لقباً ربما، إذا قرروا أن هذا ضروري لتشريف طلبها. لكنهم قدموا لها الكثير الشهر الماضي، ولا يمكنها طلب شيء منهم. جلست تحدق في الخاتم في يدها، وشعرت كأنها فتاة صغيرة مجدداً ثم وضعته في إصبعها. كان مقاسه مثالياً، كما لو أنه صنع خصيصاً لها. الماسة الصغيرة جميلة، وتعني لها أكثر من تاجها.

كانت لا تزال تنظر إليه متعجبة حين اتصل بها.

سألته بدهشة: "كيف استطعت فعل ذلك؟"

"أتمنى لو كان باستطاعتي وضعه بنفسي". قال بصوت مليء بالحب. لقد عاد للتو إلى فندقه.

"وأنا أيضاً". لكنّه قام بالأمر بالطريقة المثالية. لقد قدمه لها بطريقة كتومة جداً بحيث لا يمكن لأحد أن يعرف ما حصل.

سأل بحذر: "هل مقاسه جيد؟"

"تماماً".

أخذ نفساً عميقاً، وهو يشعر بالخوف هذه المرة، قبل أن يطرح السؤال التالي. "إذاً، ما رأيك، صاحبة السمو الملكي؟" عرفت تماماً ما يقصد، لكن لم تكن لديها فكرة بما تجيبه. فالإجابة عن هذا السؤال لم تعد ملكها هي.

"أظن أنك الرجل الأكثر تميزاً الذي عرفته في حياتي، وأنا أحبك من كل قلبي". لقد جاء في الواقع من بوسطن واجتاز كل تلك المسافة لليلة واحدة، ليتمنى لها ميلاداً مجيداً ويعطيها الخاتم. وإذا قبلت به، يكون لها، وهي له.

سأل بعصبية: "حسناً؟ هل الجواب نعم أم لا؟"

"يجب أن يقرر ذلك البلاط العائلي والبرلمان. واحتراماً لذكرى والدي، لا أظن أنني أستطيع سؤالهم قبل سنة".

قال بهدوء: "أستطيع الانتظار، كريكي". والواقع أنهما ينتظران منذ أن غادرا أفريقيا في نهاية يوليو. بدا الوقت مثل دهر، على رغم مضي خمسة أشهر فقط.

قالت بحذر: "أستطيع إعلان الخطوبة ربما خلال ستة أشهر، لكننا لا نستطيع الزواج قبل نهاية السنة".

قال متفائلاً: "ربما في الميلاد السنة القادمة، ماذا سيكون جواب البلاط العائلي برأيك؟"

"سأطلب منهم أن يجعلوك كونتاً، أو شيئاً آخر مماثلاً، لكي تصبح مؤهلاً للزواج بي. ولأكون صادقة، لا أعرف ماذا سيكون ردهم. ماذا عن عملك؟" بدت قلقة فجأة. لا تستطيع أن تطلب منه التخلي عن كل شيء لأجلها. لن يكون ذلك عادلاً.

"أكون قد أنهيت مشروعي في ذلك الحين". لقد فكّر في الأمر طويلاً لأشهر عدة، ومجدداً خلال رحلته إلى هنا. كان أكيداً. "ثمة عمل في مجال الإيدز أستطيع إنجازه هنا. فهناك عيادة أبحاث ممتازة للأيدز في زيوريخ". لقد فكر في كل شيء مطولاً قبل الليلة.

"لا أعرف ماذا سيقولون. أستطيع السؤال. لكن إذا قالوا لا...". تلألأت الدموع في عينيها لمجرد التفكير في ذلك. لا تستطيع خسارته الآن. لكنّها لا تستطيع أيضاً التخلي عن الشعب الذي كرّست له حياتها قبل شهر. "متى ستغادر؟" سألته فجأة. كانت تتوق بشدة لرؤيته، لكن لا مجال أبداً لذلك. ولا يستطيع العودة لزيارتها قبل أشهر. وحين يفعل، عليهما تدبير الأمور بطريقة جيدة. لا مجال أبداً لأن تهرب معه الآن. عليه زيارتها في القصر لمغازلتها. يجب أن يكون كل شيء مدروساً. عليها التصرف بشرف وشجاعة، والتفكير في رفاهة الآخرين قبل نفسها، مهما كلفها الأمر، ولو حتى الحب.

"طائرتي في العاشرة من صباح غد. سأغادر الفندق في تمام السابعة، وعليّ الوصول إلى المطار في الثامنة".

"عليّ إجراء بعض الاتصالات. أحبك باركر. سأدعك تعرف الجواب قبل أن تغادر. اعلم فقط كم أحبك وسأبقى دوماً كذلك".

قال وكأن ذلك يحدث فرقاً: "هذا الخاتم كان لجدتي". لقد حصل عليه من والده يوم الشكر. لكن كريكي لم تكن تريد الخاتم وإنما تريده هو.

"أحبه. لكنني أحبك أكثر".

أجرت اتصالاً هاتفياً واحداً، لكنّها لم تتلقّ أي جواب. استلقت بعدها على سريرها وهي تفكر في باركر طوال الليل. وفعل هو الشيء نفسه في الفندق. ولم يسمع منها أي خبر قبل أن يغادر. كان قلبه حزيناً جداً فيما غادر الفندق في الصباح.

اتصل بها رئيس الوزراء في تمام الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي. طلبت منه القسم للحفاظ على سرية الموضوع لكنّها طرحت عليه أسئلة مهمة. قال إنه تم اعتماد هذه الطريقة في دول عدة، ولا يرى أي مانع من عدم حصول ذلك في بلدهم، إذا كانت تشعر هي أن هذا الشيء الصحيح. في الواقع، لديها الحق الآن في تجاهل البلاط العائلي وحتى البرلمان. إنها تملك السلطة، مثلما كان والدها قبلاً، لكنّه لم يستعملها لصالحها.

"هو كذلك". قالت وهي تبدو سعيدة للمرة الأولى منذ أشهر. من المريع قول ذلك ولن تفعل ذلك أمامه، لكن حتى تقليدها منصب الأميرة الحاكمة لم يعنِ لها الكثير بقدر هذا الأمر.

"علينا إبقاء الأمور هادئة خلال خمسة أو ستة أشهر. يمكنك بعدها جعل الجميع معتادين على الفكرة. سوف أفعل ما بوسعي للمساعدة". قال وهو يبدو مثل عمّ حنون بدل رئيس وزراء. تمنت له ميلاداً مجيداً ثم أقفلت الهاتف.

نظرت إلى الساعة. إنها الثامنة والربع. ولم يتصل بها قبل أن يغادر الفندق. قالت له إنها ستتصل به. رفعت سماعة الهاتف للاتصال بجهاز الأمن، وطلبت منهم إرسال ماكس إلى غرفتها. بدت قلقة، فسألوها ما إذا كانت تواجه مشكلة، لكنّها قالت إنه لا يوجد شيء على الإطلاق. أمسكت حينها بورقة صغيرة وكتبت عليها كلمات قليلة. كان ماكس أمام بابها بعد خمس دقائق.

قالت فيما وضعت الورقة في مغلف وسلّمتها له: "بأية سرعة تستطيع الوصول إلى زيوريخ؟ إلى المطار".

"ساعة. أو ربما أكثر. هل هذا مستعجل؟" لاحظ في عينيها كم الأمر مهم بالنسبة إليها. ابتسم وهو يعرف من سيقابل. من السهل تخمين ذلك.

"مستعجل جداً. طائرته تقلع في العاشرة إلى نيويورك. إنه باركر".

"نعم، يا صاحبة السمو الملكي، سوف أجده".

"شكراً، ماكس". قالت وهي تتذكر بحنان الأيام في سيناف حين كان هو وسام يناديانها كريكي. لقد ولّت تلك الأيام إلى الأبد، تماماً مثل العديد من الأشياء الأخرى في حياتها. لكنّ أشياء أخرى حلّت مكانها، ولا تزال العديد من الأشياء الجديدة تظهر كل يوم. تمنت أن يتمكن ماكس من اللحاق به في الوقت المناسب. وإلا، سوف تتصل به في نيويورك. لكنّها أرادته أن يعرف الجواب قبل أن يرحل. يستحق ذلك على الأقل بعد كل الذي فعله.

انطلق ماكس من فادوز إلى مطار زيوريخ. أخذ واحدة من سيارات القصر واستمر بالضغط بشدة على دواسة البنزين. تحقق من الرحلات

المنطلقة إلى نيويورك، وعثر على الرحلة الصحيحة، وتوجّه إلى البوابة لانتظاره. لم تقلع الطائرة بعد. ومن ثم، بعد خمس دقائق، شاهده وهو يبدو متعباً ويمشي ببطء نحو البوابة، تائه التفكير. ذهل باركر حين شاهد ماكس، الذي وجه إليه ابتسامة عريضة وتمنى له ميلاداً مجيداً، ثم سلمه المغلف الذي أعطته إياه كريستيانا. كان مغلفاً صغيراً وأبيض، مع تاجها وأول حرف من اسمها عليه. الحرف ك مع تاج فوقه. لاحظ يدي باركر ترتجفان حين فتح المغلف، وقرأ الورقة بعناية، فيما ارتسمت ابتسامة عريضة ببطء على وجهه.

لقد كتبت على الورقة "نعم، أحبك، ك". طوى الورقة ووضعها في جيبه، ثم ربّت على كتف ماكس مع ابتسامة كبيرة جداً.

"هل أستطيع التحدث معها؟" سأل باركر فيما كانوا ينادون لرحلته. كان يضحك لنفسه. لقد طلبها للزواج، ووافقت، ولم يقبلا حتى بعضهما البعض. لكنّهما مخطوبان على أية حال. لا شك في أن الأمور تكون مختلفة مع أميرة! لم يضع حتى الخاتم في إصبعها، لكنّه قطع كل المسافة من بوسطن ليحضره لها ويراها فقط لبضع دقائق خلال قداس منتصف الليل.

اتصل ماكس بجهاز الأمن في القصر من هاتفه الخلوي، وطلب منهم التكلم مع صاحبة السمو الملكي. ابتسم لباركر فيما قال ذلك. تذكرا الأيام التي كانت فيها صاحبة سمو، وإنما فقط كريكي بالنسبة إليهم في سيناف. أصبحت على الهاتف بعد دقيقتين فقط، وسلم الهاتف إلى باركر.

"هل فهمت رسالتي؟" بدت قلقة وإنما سعيدة.

قال مبتسماً: "نعم، ماذا حصل؟"

"اتصلت برئيس الوزراء، ولا يرى أي مانع في أن يحصل ذلك. قال إنهم يفعلون ذلك في دول أخرى، فلمَ لا في بلدنا؟ نصبح عصريين جداً هنا هذه الأيام. في الحقيقة، إنني أستطيع تجاهل رأيهم على أية حال، لكن لدينا كل الدعم من رئيس الوزراء". وهذا ما يسهّل الأمور عليهما. ولم تعد مجبرة على الالتزام بوعد والدها لأمها. ابتسمت فيما نظرت إلى الخاتم في إصبعها. إنه

أفضل شيء رأته في حياتها. كانت تضعه مع خاتم الزمرد.

"هل يعني ذلك أننا مخطوبان؟" سأل باركر، وهو يلتفت بعيداً عن ماكس ويخفض صوته.

"نعم". كانت تبتسم هي أيضاً. "أخيراً". قالت بنبرة منتصرة. لقد عملا بكد للوصول إلى هنا، وكانا صبورين. لقد تدخل القدر نوعاً ما في ذلك، بطريقة صعبة، لكنهما حصلا في النهاية على الجائزة التي أراداها بشدة. "قال إنه علينا إبقاء الأمور هادئة لخمسة أو ستة أشهر. وأنا أوفقه. لا أريد التقليل من احترام والدي أو فريدي".

"هذا يناسبني". لم يكن يوماً سعيداً إلى هذا الحدّ في حياته.

نادوا على رحلته للمرة الأخيرة، وربّت ماكس على كتفه، فيما أومأ له باركر بعصبية.

"عليّ الركض. سوف أفوّت رحلتي. سأتصل بك من نيويورك".

"أحبك... شكراً على الخاتم... شكراً على مجيئك إلى هنا... شكراً لك". قالت وهي تسرع إلى قول كل شيء قبل أن يقفل الخط.

"شكراً لك، صاحبة السمو الملكي". قال فيما أطفأ الهاتف الخلوي وسلّمه إلى ماكس مع ابتسامة.

"استمتع برحلة جميلة". قال ماكس وهو يصافحه. "هل سنراك قريباً، سيدي؟" سأله مع ابتسامة ظريفة.

"لا تنادني سيدي، وأعتقد أنك ستفعل... في يونيو، ولوقت طويل بعد ذلك... ميلاد مجيد". لوّح له فيما ركض نحو الطائرة. كان آخر من دخل إليها، وأغلقوا الباب خلفه مباشرة.

عثر على مقعده وجلس عليه، وابتسم ونظر عبر النافذة مفكراً بها. بدت جميلة في الليلة الفائتة، حين رآها في الكنيسة. جلس هناك يفكر في كل شيء حصل خلال ساعات قليلة، فيما دارت الطائرة حول المطار وتوجهت نحو نيويورك. بعد فترة وجيزة، حلقوا فوق فادوز، وأشار قائد الطائرة إلى القصر

وقال إن أميرة حقيقية تعيش فيه. حين قال ذلك، ابتسم باركر لنفسه. يصعب تصديق ذلك. لا يزال الأمر مثل قصة خرافية بالنسبة إليه. لقد وقع في غرام فتاة لها ضفائر وتنتعل الجزمة العالية في أفريقيا. لكن تبين أنها أميرة تعيش في قصر، وأصبحت الآن هذه الأميرة أميرته، وسوف تبقى هكذا دوماً. لقد انتهت القصة بنهاية خرافية. وعاشا سعيدين إلى الأبد. وفي القصر، كانت الأميرة تبتسم هي أيضاً.